



جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

(١٢١٥ / ١٣١٧هـ - ١٨٠٠ / ١٨٩٩ م)

بحث أعد لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة
رنا محمد صالح

إشراف
أ.د. محمود علي عامر

العام الدراسي ٢٠١٨-٢٠١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

الإهداء

إلى من أستلهم منهم الصبر.....

إلى من علموني أن الطموح لا ينتهي....

إلى من علموني أنه بالإصرار يصنع المستحيل....

أهلي

إلى نور عيني الذين بهم أرى الدنيا...

أولادي

إلى زوجي الحبيب الذي شكل وجوده في حياتي حافزاً لإكمال علمي الذي

بدأت به منذ سنوات...

زوجي

إلى سمائي وأرضي وكرامتي وأغلى ما عندي...

وطني الغالي سوريا أعزها الله

إلى كل إنسان يؤمن بأن العلم هو السبيل الوحيد للارتقاء والسمو ورفعة

ومكانة الأمم....

بطاقة شكر

يسرني أن أقدم أسمى آيات الشكر والعرفان
لأستاذ الدكتور محمود علي عامر الذي منحني
الكثير من وقته الثمين وعلمه الغزير، وقدم لي
العديد من الملاحظات المهمة والتوجيهات القيمة،
وسدد خطأي، ووجه قاربي الصغير في بحر العلم
العميق، وأغنى بحثي بملاحظاته القيمة، جزاه الله
كل خير وأدام عليه الصحة والعافية.

الرموز الاصطلاحية :

ت = توفي

ج = جزء

(د, ت) = دون تاريخ للنشر

(د, م) = دون مكان للنشر

ص = صفحة

ط = طبعة

م = ميلادي

مج = مجلد

هـ = هجري

**منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع
عشر الميلادي (١٢١٥-١٣١٧هـ/١٨٠٠-١٨٩٩م)
فهرس المحتويات**

رقم الصفحة	العنوان
١	المقدمة
٥	التمهيد
٦	الفصل الأول: الأوضاع العامة في بلاد الشام في القرن التاسع عشر
٧	أولاً: الأوضاع السياسية:
١٤	١. أبرز الأحداث السياسية التي شهدتها بلاد الشام، الاحتلال المصري (١٢٤٧-١٢٥٦هـ/١٨٣١-١٨٤٠م)
١٧	٢. حركة الإصلاحات العثمانية (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م)
٢٢	٣. حوادث الستين (١٢٧٧هـ/١٨٦٠م)
٢٦	ثانياً: الأوضاع الاقتصادية:
٢٦	١. الزراعة
٢٩	٢. الصناعة
٣١	٣. التجارة
٣٢	٤. المواصلات
٣٣	ثالثاً: الأوضاع الاجتماعية: الطوائف الدينية المختلفة في بلاد الشام
٣٤	١. المسلمون: طوائفهم.
٣٦	٢. أهل الذمة: أ. المسيحيون
٤١	ب. اليهود
٤٥	الفصل الثاني: نشأة الحركة التاريخية وتطورها في القرن التاسع عشر
٤٦	أولاً: ما هو التأريخ
٥٧	ثانياً: فنون الكتابة التاريخية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر
٥٨	١. المصنفات التاريخية المحلية
٦٣	٢. كتب سير وتراجم
٦٧	٣. تأريخ الاحداث

٧١-٦٩	ثالثاً: المنشآت التعليمية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر
٧٣-٧١	أهم المراكز الفكرية في بلاد الشام ١. التعليم التقليدي أ. كتاتيب ب. مدارس دينية تقليدية
٧٤	٢. التعليم الحديث
٧٤	أ. تعليم عسكري
٧٤	ب. تعليم مدني
٦٩	- مدارس رسمية - مدارس خاصة
٨٢	الفصل الثالث: بواعث النهضة الفكرية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر
٨٣	أولاً: المستشرقون وأثرهم في النهضة الفكرية
٨٣	١. دوافع الاستشراق
٨٤	٢. مواقف المفكرين العرب من الاستشراق
٨٥	٣. المستشرقون ودورهم في النهضة الفكرية في بلاد الشام
٩٠	٤. أثر المستشرقين على الحياة الفكرية
٩١	ثانياً: بواعث النهضة الفكرية في القرن التاسع عشر
٩١	١. الإرساليات التبشيرية: تقسم إلى أ. الكاثوليكية ب. البروتستانتية ج. الروسية د. النمساوية هـ. الألمانية
٩٩	٢. المدارس الحديثة: تقسم إلى
١٠٠-٩٩	أ. مدارس الإرساليات التبشيرية ب. المدارس الوطنية
١١٤	٣. الجمعيات:
١١٤	أ. العلمية والأدبية والسياسية في بلاد الشام
١٢١	ب. الخيرية
١٢٢	٤. الطباعة:
١٢٤	أ. مطابع لبنان
١٢٩	ب. الطباعة في سوريا
١٣٧	٥. الصحافة والتأليف:

١٤٥	الفصل الرابع: نماذج من رواد الحركة التاريخية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر
١٤٦ ١٥٠-١٤٦ ١٥٥-١٥٠ ١٦٧-١٥٥	أولاً: نماذج عن تأريخ الأحداث: ١. أحمد حيدر الشهابي (١١٧٤-١٢٥١هـ/١٧٦١-١٨٣٥م) ٢. ميخائل الدمشقي (.....-١٢٥٧هـ/.....-١٨٤١م) ٣. ميخائيل مشاققة (١٢١٥-١٣٠٦هـ/١٨٠٠-١٨٨٨م)
١٦٧ ١٨٧-١٦٧ ١٩٥-١٨٧	ثانياً: نماذج عن المصنفات التاريخية المحلية: ٢. يوسف الدبس (١٢٤٩-١٣٢٥هـ/١٨٣٣-١٩٠٧م) ٢. نعمان القساطلي (١٢٧٢-١٣٣٩هـ/١٨٥٥-١٩٢٠م)
١٩٥ ١٩٩-١٩٥ ٢١٣-١٩٩	ثالثاً: نماذج عن تاريخ السير والتراجم ١. طنوس الشدياق (.....-١٢٧٦هـ/.....-١٨٥٩م) ٢. عبد الرزاق البيطار (١٢٥٣-١٣٣٥هـ/١٨٣٤-١٩١٦م)
٢١٤ ٢١٦ ٢١٦ ٢١٦ ٢٢٠ ٢٢٩ ٢٣١ ٢٣١ ٢٣٣ ٢٣٣ ٢٣٤	الخاتمة قائمة المصادر والمراجع: ١. التقاويم السنوية ٢. المصادر ٣. المراجع العربية ٤. المراجع المعربة ٥. المراجع الأجنبية ٦. المجالات ٧. الموسوعات ٨. المذكرات ٩. المخطوطات ١٠. مواقع الأنترنت

المقدمة:

لقد نشأ علم التأريخ عند العرب مع نشوء الأمم والدول، وتطور مع تطور مراحل الإدراك للواقع العربي، فجاءت نشأته طبيعية مرتبطة بالإنسان والزمان والمكان بشكل عام، فأصبح لكل أمة وجماعة تأريخها الخاص وطريققتها الخاصة التي تميزها عن غيرها بمقدار سويتها الحضارية وبمقدار احتكاكها مع الأمم والدول المجاورة، إضافة إلى السعي الذي تبذله كل أمة نحو البحث عن الحقيقة وتقصي مجريات الماضي ووقائعه.

- أما فيما يخص سورية فقد احتلت ومنذ القدم مكانة مرموقة في تاريخ العالم، ولعبت دوراً مهماً في رقي البشرية وتطورها من الناحيتين الفكرية والروحية، فقد تحولت بحكم موقعها الاستراتيجي إلى جسرٍ عبرت من خلاله التأثيرات الثقافية والحضارية، غير أن تلك البلاد عانت في القرن السادس عشر الميلادي من ويلات تمثلت في دخول عناصر جديدة بسطت سيطرتها على بلاد الشام، وتدخلت في شؤونها، وفرضت عليها نوعاً من العزلة عن العالم الخارجي شمل نواحي الحياة السياسية والفكرية والاقتصادية جميعها. فالحكم العثماني لم يقيم بأي تجديد فقد بقي الوضع على ما هو عليه، فالمراكز التعليمية ظلت ممثلة بالمساجد والكتاتيب، ولم يطرأ عليها أي تحديث، فلا اختراع، ولا تقدم في العلوم، بل جمع وترديد لما ورد في الكتب الفقهية والنحوية والصرفية، مشجعاً للزوايا والتكايا والطرق الصوفية التي انحرفت عن مسارها الصحيح (العبادة)، ليدخلها مظاهر من السحر والخزعبلات والشعوذات والتي كان لها تأثيرها الواضح على مجريات الحياة، إلى أن أطل القرن التاسع عشر بأحداثه الخطيرة ملقياً بظلاله على الأمة العربية عامة - وبلاد الشام خاصة - ربدء ما سمي بنهضة فكرية اتخذت اتجاهات عديدة في الفن والسياسة والاجتماع والعلم والأدب والفن، ولا يخفى على أحد ما كان من تأثير الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م على بلاد الشام، كون البلدين خضعا لأحداث سياسية واحدة تقريباً، تبعها حملة إبراهيم باشا لفتح الأبواب أمام تيارات الثقافة الأوروبية التي اتخذت من البعثات التبشيرية طريقاً لها. تلك الأمور مجتمعة نبهت الحكم العثماني إلى خطورة الوضع، ودفعته إلى البدء بحركة إصلاحات عامة عرفت باسم (التنظيمات العثمانية) بلغت أوجها عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م، تبعها صدور أول دستور للبلاد سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م. من هنا جاء سبب اختياري للبحث، فالوسائل العديدة والكثيرة التي فرضت نفسها على الواقع في بلاد الشام في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، والتي أثرت بشكل غير مباشر على منهج البحث العلمي كالانفتاح على الغرب، وما رافقه من ازدهار في مجال الطباعة والصحافة، وانتشار الجمعيات العلمية والأدبية، وقيام المدارس الحديثة، وبداية حركة الإصلاح العثماني، وما كان من أثر هذه العوامل على الوعي التاريخي، والذي نشطت على أثره حركة التأليف التاريخي، فتعددت ألوان الكتابة وطرقها.

لذا هدف البحث إلى:

- معرفة أثر تلك الفترة على الكتابة التاريخية، وذلك من خلال ما يلي:
- ١- تقديم فكرة عامة عن الأوضاع العامة لبلاد الشام من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
- ٢- الكشف عن ملامح الحياة العامة للحياة الفكرية من خلال دراسة أهم المنشآت التعليمية الممثلة في الكتاتيب والمدارس الرسمية والخاصة.
- ٣- التعرف على أهم مؤرخي التاريخ في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، ودراسة منهجهم في التأليف التاريخي، هل كانوا مجددين أم ناقلين أم ماذا؟
- ٤- إلقاء الضوء على أهم التيارات التي أثرت على الكتابة التاريخية ومعرفة أثرها على المجتمع، أكانت سلبية أم إيجابية.

- تبرز أهمية البحث من كونه:

- ١- اهتم بدراسة منهجية التاريخ في بلاد الشام في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وما كان تأثير النهضة الفكرية على منهج البحث.
- ٢- أهمية المرحلة التاريخية التي تناولها البحث، ممثلة ببداية خروج بلاد الشام من مرحلة التخلف والجمود، وبداية نهضة ممثلة بظهور المدارس الحديثة التي كانت تدرس العلوم العصرية.
- ولا يخفى على أي باحث أن دراسة أية حركة علمية هي من الدراسات التي تحتاج إلى جهد كبير، كونها تتطلب إماماً بجوانب هذا العلم ضمن الزمان والمكان المحددين، كما تتطلب فكراً عميقاً يمكن من تحليل النشاط العلمي التاريخي، وربط الأفكار ومقارنتها مع بعضها بعضاً للتوصل إلى النتائج المرجوة.

قد واجهت بعض الصعوبات تمثلت بفقدان بعض أجزاء من الكتب التي تم دراستها، فاعتمدت أثناء الحديث عنها على مجمل ما ذكر في دراسات سابقة، كما وجدت بعض الكتب حملت عنواناً واحداً، ونسبت إلى أكثر من مؤرخ في تلك الفترة.

- اعتمد البحث عن المنهج التاريخي في تتبع مراحل تطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، كما تم الاستعانة بمنهج التحليل والمقارنة والنقد في عرض أفكار مؤرخي التاريخ وبيان أثر بواعث النهضة الفكرية على الكتابة في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، هادفين من ذلك الوصول إلى استجلاء الحقيقة العلمية التاريخية، ومحاولة استخلاص النتائج الصحيحة.

وللوقوف على معرفة هذه الجوانب جميعها قسم البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

المقدمة: خصصت للحديث عن أهمية البحث، وإشكاليته، وسبب الاختيار، والمنهج المتبع، والصعوبات، وخطة البحث.

الفصل الأول: هو عبارة عن تمهيد تاريخي موجز لأهم الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية. أما **الفصل الثاني:** فقد أفرد للحديث عن نشأة الحركة التاريخية وتطورها في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، من خلال عرض دراسة مقتضبة عن نشأة هذه الحركة، وأهم مزاياها العامة، وما أصابها من تطور في القرن التاسع عشر، كما أفرد فيه أيضاً حيزاً للحديث عن فنون الكتابة التاريخية، مع ذكر أهم المنشآت التعليمية، وفي نهاية الفصل تم تقديم نظرة مختصرة عن الأوضاع التربوية والتعليمية للمدارس العثمانية في بلاد الشام.

الفصل الثالث: بُدئ فيه بالتعريف بأهم المستشرقين، وتبيان أثرهم على النهضة الفكرية، كما تم التطرق لأهم بواعث النهضة الفكرية التي تمثلت بالمدارس والإرساليات التبشيرية، والصحافة والطباعة والجمعيات والتأليف والترجمة.

الفصل الرابع والأخير: ذكر فيه بعض نماذج مؤرخي القرن التاسع عشر أمثال (أحمد حيدر الشهابي ١١٧٤-١٢٥١هـ/١٧٦١-١٨٣٥م)، (ميخائيل الدمشقي ١٢٥٧-.....هـ/.....-١٨٤١م)، (ميخائيل مشاققة ١٢١٥-١٣٠٦هـ/١٨٠٠-١٨٨٨م)، (طنوس الشدياق ١٢٧٦-.....هـ/.....-١٨٥٩م)، (يوسف الدبس ١٢٤٩-١٣٢٥هـ/١٨٣٣-١٩٢٠م)، (عبد الرزاق البيطار ١٢٥٣-١٣٣٥هـ/١٨٣٤-١٩١٦م) وذلك بدراسة أهم مؤلفاتهم مع التطرق إلى منهجهم، وأسلوبهم، وأهميتهم في الكتابة التاريخية.

- **الخاتمة** ضمت أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها.

الفصل الأول: الأوضاع العامة في بلاد الشام في القرن التاسع عشر

أولاً: الأوضاع السياسية: أبرز الأحداث السياسية التي شهدتها بلاد الشام في القرن التاسع عشر.

١. الاحتلال المصري (١٢٤٧-١٢٥٦هـ/١٨٣١-١٨٤٠م)

٢. حركة الإصلاحات العثمانية (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م)

٣. حوادث الستين (١٢٧٧هـ/١٨٦٠م)

ثانياً: الأوضاع الاقتصادية:

١. الزراعة

٢. الصناعة

٣. التجارة

٤. المواصلات

ثالثاً: الأوضاع الاجتماعية: الطوائف الدينية في بلاد الشام

١. المسلمون:

٢. أهل الذمة: أ- المسيحيون ب- اليهود

تمهيد تاريخي:

الشَّامُ والشَّامُ والشَّامُ والشَّامُ هو ذلك الاسم الذي أطلقه العرب على تلك البلاد التي عرفت ببلاد الشام، وشملت ضمن حدودها القديمة كلاً من (سورية)^١، (فلسطين)^٢، (لبنان)^٣. أطلق الأقدمون على هذه الأقاليم جميعها اسم (سوريا)، وعندما استولى العرب المسلمون عليها نحو ستمئة وأربعة وثلاثين مسيحية الموافق سنة أربعة هجرية سموها شاماً^٤. وقد ذكر العديد من العلماء والشرّاح والمفسرين أسباباً كثيرةً لتلك التسمية، نورد بعضاً منها:

- فمنهم من قال سميت شاماً لأن قوماً من بني كنعان نزلوها فتشاعموا إليها؛ أي: أخذوا الشمال، فسميت شاماً^٥.

بينما ذكر كتاب التعريف والإعلام: أن الشام بالسريانية الطيب، وسميت بذلك لطيبها وخصبها^٦، غير أن (المسعودي)^٧ صرح أن تسميتها تعود إلى أن في أرضها شامات سود وبيض وذلك في التراب والبقاع والحجر، وأنواع النبات والأشجار^٨.

- أما طائفة أخرى فقد أضافت: سميت شاماً؛ لأن بني إسرائيل قتلوا بني كنعان ونفوا ما بقي منهم، فصارت لهم، ثم وثب الروم على بني إسرائيل فقتلوه، وأجلوا من بقي عنها إلى العراق إلا قليلاً منهم، ثم جاءت العرب فقتلت الروم وسبّتهم، وهرب من سلم منهم إلى بلاد الروم، واستمرت بيد أولاد العرب إلى يومنا هذا^٩. في حين صرح آخرون أن سبب التسمية راجع إلى كثرة قراها وتداني بعضها

^١ سوريا: هناك اختلاف حول أصل التسمية فذكر بعضهم "أن الكتاب المقدس أورد اسم سورية بـ (أرام) نسبة إلى رام أحد أبناء سام بن نوح لأن أكثر سكانها القدماء كانوا من صلبه". أحمد إسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى العصر الأموي (دراسة اقتصادية - اجتماعية - فكرية - عسكرية) دار دمشق للتوزيع والطباعة، دمشق، ط٣، ١٩٩٤م، ص٢٧.

^٢ فلسطين: سميت بفلسطين بن سام أو بفلسطين بن كلثوم أو بفليستن بن كسلوخيم من بني يافث بن نوح ثم عربت فليشين. محمد كرد: خطط الشام، ستة أجزاء مكتبة النوري، دمشق، ط٣، ١٩٨٣م، ج١، ص٧.

^٣ لبنان: مشتق من اللفظ السامي (لبن) معناها البياض وتعود تلك التسمية إلى الثلج التي تغطي قممها العالية حوالي ستة أشهر في السنة. أنيس فريحة: أسماء القرى والمدن اللبنانية وتغير معانيها، جونية، ١٩٥٦م، ص٣٠٤.

^٤ نعمان القساطلي: الروضة الغناء في دمشق الفجاء، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٨٧٩م، ص٣.

^٥ محمد بن مكرم ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس وآخرون، جزأين، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٤م، ج١، ص٤٠.

^٦ عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ابن اصبع السهيلي: التعريف والإعلام فيما أبهم من القرآن من الأسماء والأعلام، مخطوط في الأزهر الشريف، رقم النسخة ٣٠٤٦١١، ص٤.

^٧ المسعودي: (...ت٣٤٦هـ/...٩٥٧م) علي بن الحسن بن علي أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد الله مسعود، مؤرخ، رحالة، باحث، من أهل بغداد، أقام بمصر وتوفي فيها، من تصانيفه (مروج الذهب) و(البيان) و(أخبار الأمم من العرب والعجم)، وغيرها من المؤلفات. خير الدين الزركلي: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ٨ أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ص٢٧٧.

^٨ علي بن حسن المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: يوسف أسعد داغر، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٩م، ج١، ص٣٨٧.

^٩ أبو البقاء عبد الله البديري: نزهة الأنام في محاسن الشام، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٠م، ص١١.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

من الآخر فشبهت بالشامات وقالوا يجوز فيه وجهان أحدهما أن يكون اليد الشؤمي وهي اليسرى، والثاني: أن يكون فعلاً الشؤم^١.

وعن حدودها نعود إلى قول (كرد علي)^٢ الذي قال:

"... حد الشام ينتهي بسفوح جبال طوروس المعروفة بالدروب عند العرب، آخذاً إلى ما وراء خليج الإسكندرونة لجهة أرض الروم، وكان جبل السّياح (بفتح السين وتشديد الياء) حداً بين الشام والروم... وما كان من جهة الشام على ضفة الفرات فهو شام، وما كان على الضفة الأخرى من الشرق فهو عراق... وما كان من دير الزور على الفرات إلى جهة الشام فهو من الشام، كذلك يقال في الرقة... كما أن أيلة هي آخر الحجاز وأول الشام، فالعريش أو رفح هي حد الشام الجنوبي الغربي"^٣.

قسّم بعضهم الشام إلى خمس شامات هي:

الأولى: غزة، والرملة، وعسقلان، وبيت المقدس.

والثانية: الأردن، وطبرية، والغور، واليرموك، وبيسان، ومدينتها الكبرى طبرية.

الثالثة: الغوطة، ودمشق، وسواحلها، ومدينتها الكبرى دمشق.

الرابعة: حمص، وحماء، وكفر طاب، وقنسرين، وحلب.

الخامسة: أنطاكية، والعواصم، وطرشوس^٤.

بالإمكان أن نختصر الكلام عن تاريخ بلاد الشام بالقول: إنها أقدم بلاد العالم، فيها قامت أكثر الديانات وأهمّها (اليهودية والمسيحية والإسلام) اللتان امتدتا في العالم كله. وكانت هذه البلاد في الأزمان الغابرة ذات شهرة عظيمة وعمران فائق، تداولتها أمم وممالك، فكانت أولاً وطناً للكنعانيين وغيرهم من نسل حام، وسكن نسل سام في نواحيها، ثم أتاها بنو إسرائيل، وطردوا الكنعانيين من أراضي فلسطين، وتسلب عليها ملوك آشور وبابل ومادي وفارس، أو ملوك مصر اليونانيين، استقلت بعدها برهة من الزمان، ثم أضيفت إلى مملكة مكدونية، وبعدها إلى المملكة الرومانية، إلى أن دخلها العرب، ثم تملكها التتر، وخلفهم الصليبيون الذين سيطروا على جزءاً كبيراً منها إلى أن استرجعها المماليك، ومن ثم دخلها العثمانيون، ورغم ما شهدته هذه البلاد من حوادث لا تزال تذكر وبحكم (موقعها الطبيعي) كبلاد ذات أهمية عظيمة^٥.

^١ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي: معجم البلدان، ٥ مجلدات دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٧٧م، مج ٣، ص ٣١٢/كرد علي: خطط الشام،، ج ١، ص ٨٠. ابن منظور، مختصر تاريخ ابن عساكر،، ص ٤١.
^٢ محمد كرد علي (١٨٧٦-١٩٥٣م): مؤلف مترجم، محقق وصحفي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ومؤسسه، صاحب مجلة المقيس، أئقن العثمانية والفرنسية وألم بالفارسية، زار مصر سنة ١٩٠١م، ثم عاد إلى دمشق، تولى وزارة المعارف مرتين زمن الحكم الفرنسي من مؤلفاته (خطط الشام ستة أجزاء)، (تاريخ الحضارة جزاء)، (أقوالنا وأمثالنا) وغيرها. خليل موسى: أدباء دمشق في العصر الحديث، منشورات جامعة دمشق، د.ط، ٢٠٠٨م، ص ٢٨٠-٢٨١.

^٣ كرد علي: خطط الشام،، ج ١، ص ٩-١٠.

^٤ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٤/سنتطرق بشكل مفصل إلى أهم التشكيلات الإدارية التي لحقت بولايات بلاد الشام في الفصل الأول.

^٥ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٤-٥/فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: عبد الكريم رافق، جورج حداد، جزاء، دار الثقافة، بيروت، ط ٢، ١٩٥٧م، ص ٣-٤.

الأوضاع العامة في بلاد الشام في القرن التاسع عشر:

أولاً: الوضع السياسي:

هناك مجموعة من الأسئلة تطرح نفسها عند التطرق للوضع السياسي العام لبلاد الشام في فترة خضوعها للحكم العثماني، بالإمكان إجمالها بما يلي: من هم العثمانيون؟ كيف نشأت دولتهم؟ متى خضعت بلاد الشام لحكمهم وعلى يد من؟ ما هي أهم الأحداث السياسية التي شهدتها تلك المنطقة؟ كيف كان رد الفعل العثماني على هذه التطورات التي أفرزتها أحداث القرن التاسع عشر؟

أسئلة كثيرة تدور في الأذهان؟ وأجوبة عديدة في كتب مختلفة، غير أن تبيناً بعضها والتعريف إليها يمكن القارئ من رسم صورة واضحة وعامة عن تلك الدولة، ويقدم موجزاً مفصلاً عن الوضع السياسي لبلاد الشام في الفترة المذكورة.

- البداية من هم العثمانيون ونشأتهم.

تعددت الروايات التاريخية عن نشأة تلك الدولة التي أحدث ظهورها خللاً تاريخياً واضطراباً حاداً في موازين القوى الدولية آنذاك^١. وهنا نستعرض ما تمّ الاتفاق والإجماع عليه في المصادر العثمانية عن أصلهم، والذي أرجع نسبهم إلى إحدى قبائل (الغز) التركمانية وهي قبيلة (قاي) التي وفدت إلى (الأناضول)^٢ مع جملة القبائل التركية الأخرى هرباً من الزحف المغولي^٣، وكان على رأس تلك القبيلة سليمان شاه^٤ وأرطغرل^٥ مؤسس هذه الدولة، يعود أول ظهور لإمارة آل عثمان على مسرح الأحداث إلى

^١ تمثل ذلك الخلل في أن ظهور هذه الدولة قد تسبب في حدوث مسألة شرقية، انتهت بزوال الامبراطورية البيزنطية وتفتت المملكة اللاتينية، وزوال السلطة المملوكية، وانتقال الخلافة الإسلامية من البيت العربي إلى البيت العثماني.

محمود عامر: تاريخ الدولة العثمانية، منشورات جامعة دمشق، د.ط، ٢٠٠٤، ص ١٥.

^٢ الأناضول: شبه جزيرة بأقصى غرب آسيا، يحدها البحر الأسود شمالاً، والمتوسط جنوباً، وبحر إيجه غرباً، ويصل البحر الأسود ببحر إيجه بحر مرمرة ومضيق البوسفور والدرنيل وبالقرب الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، كانت ملتقى الحضارات الشرقية والغربية، في العصور الوسطى استولى عليها الأتراك العثمانيين فيما بين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، ودخلت بعد ذلك ضمن الامبراطورية العثمانية محمد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة، مجلدان، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٥م، مج ١، ص ١٦٣.

^٣ سيد محمد السيد محمود: تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار، منشورات مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٧٩-٨٠.

^٤ سليمان شاه: تعددت الروايات حول تلك الشخصية غير أن القصة التي بدت أقرب إلى المنطق تلك التي تقول إن اسمه الحقيقي هو كوندز ألب توفي عام ١٢٣٠ وأطلق عليه اسم (سليمان شاه) لكي يربط ببني سلجوق بني عثمان خاصة أن العثمانيين عندما ظهوروا على مسرح التاريخ ادّعوا أنهم الخلفاء الشرعيون لبني سلجوق لمعرفة المزيد عن ذلك. يلماز

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

القرن الثالث عشر الميلادي عندما تقدموا بزعمارة أرطغرل لمساندة سلطان قونية^٢ السلجوقي علاء الدين الأول ضد الغزاة المغول، فمنحهم السلطان مقابل مساعدتهم تلك أقطاعاً من الأرض في الجزء الشمالي من آسيا الصغرى، وعلى إثر وفاة أرطغرل عين عثمان^٣ خلفاً لأبيه في رئاسة تلك القبيلة وإليه ينتسب سلاطين آل عثمان^٤. ومع مرور الزمن أخذت هذه الدولة الحدودية منذ عهد عثمان ومن جاء بعده بالتحول والتطور من قبيلة إلى دويلة صغيرة ثم إلى إمبراطورية، أخضعت وضمت جميع الأراضي التابعة لبيزنطة في (الأناضول والبلقان^٥) لجالعين من القسطنطينية^٦ التي استولوا عليها عام (١٤٥٣م/٨٥٧هـ) عاصمة لهم باسم استانبول (تعني مدينة السلام)^٧.

أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة: محمود الانصاري، مجلدان، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ١٩٨٨م، مج ١، ص ٨٤-٨٦.

^١ أرطغرل: بن كندز الب بن قاي بن كوك ألب بن صارقوق ألب بن قاي ألب ولد ٥٨٧هـ/ ١١٩١م استوطن مع عشيرته في القسم الشمالي الغربي من الأناضول اكتسب لقب غازي نتيجة غزواته المستمرة ضد البيزنطيين، توفي عام ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م وعمره ٩٠ سنة. أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية،، ص ٨٣-٨٧.

^٢ عندما سقطت الدولة السلجوقية تجزأت أملاكها في الأناضول إلى عشرة أمارات فتشكلت تلك الأمانة عقب انحلال دولة آل سلجوق بموت سلطان شاه سنة ١٠٩٢م. محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٩٨١م، ص ٨٣-٨٧.

^٣ عثمان بك بن أرطغرل ولد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، اشتهر بالذكاء والفتنة وليؤكد إمارته ويضمن استقلالها صك النقود باسمه وأمر أن يخطب باسمه في الصلاة لتعزيز سلطانه هاجم مدينة (قره) واستولى عليها سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م توفي سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م عن عمر يزيد عن ست وستين سنة. عامر: الدولة العثمانية،، ص ٢٣٤.

^٤ عامر: تاريخ الدولة العثمانية،، ص ٢٦.

^٥ البلقان: شبه جزيرة جنوب شرقي أوروبا بين البحر الأسود في الشرق والبوسفور والدرنديل وبحر مرمرة في الجنوب وبحر أيونيا والأدرياتي غرباً، ونهر الساف والدانوب شمالاً، وبذلك يدخل فيها ألبانيا صلب بلاد اليونان وجنوبي رومانيا وبلغاريا ومعظم يوغسلافيا. غربال: الموسوعة الميسرة،، مج ١، ص ٣٢٤.

^٦ خليل اينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٩.

^٧ القسطنطينية: عاصمة الإمبراطورية البيزنطية والعثمانية سابقاً، سميت باسم قسطنطين الأول الذي أنشأها عام ٣٣٠م وجعلها عاصمة الإمبراطورية الرومانية شهدت القسطنطينية مآشده بيزنطة من مجد وتقلبات حتى أصبحت تلك المدينة قاصرة على المدينة وضواحيها سقطت بيد الأتراك ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، لكنها سرعان ما ازدهرت في ظل سلاطين آل عثمان وأصبحت مركزاً سياسياً وتجارياً عظيماً في أوروبا، احتلها الخلفاء بعد الحرب العالمية الأولى، وفي عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م حلت أنقرة محلها عاصمة لتركيا. غربال: الموسوعة الميسرة،، مج ١، ص ١٣٨٠-١٣٨١.

^٨ تم لهم ذلك في عهد السلطان محمد خان الثاني الملقب بالفتح.

وبوصول السلطان سليم الأول^٢ إلى عرش السلطنة بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الدولة العثمانية، تمثلت بنقل فتوحاتهم من الغرب الأوروبي إلى الشرق العربي، وسبب تلك السياسة تعود إلى إدراك السلطان سليم عدم جدوى اتباع سياسة أسلافه التقليدية القائمة على ضرورة استمرار الصراع على الجهة الغربية وخاصة بعد أن شرعت تلك الدول بإقامة تحالفات ضدها لإيقاف تقدّمها، الأمر الذي جعل موقف العثمانيين دفاعياً أكثر منه هجوماً، ومن هنا بدأ (السلطان سليم) يفكر بالبحث عن طريقة جديدة للتوسع تمكّنه من توفير الموارد البشرية والمادية، وتساعد في المستقبل على العودة واستئناف الصراع على الغرب الأوروبي^٣، غير أن هناك خطرين وقفا أمام تحقيق أهدافه تمثلًا بالدولة (الصفوية)^٤ في بلاد فارس، و(المملوكية)^٥ في مصر وبلاد الشام.

تمّ له التخلص من الخطر الأول في عام ٩٢٠هـ / ١٥١٤م عندما التقى مع الشاه (إسماعيل الصفوي)^٦

^١ يوجين روجان: العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، ترجمة: محمد إبراهيم الجندي، كلمات عربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ص٢٨/ وانظر أيضاً عامر: تاريخ الدولة العثمانية، ...، ص٣٢. محمد فريد: تاريخ الدولة العثمانية العلية،، ص١٦٤.

^٢ سليم الأول: (٨٧٥هـ - ٩٢٥هـ / ١٤٨٠م - ١٥٢٠م) "هو أصغر أولاد بيلازيد الثاني وأكثرهم بعداً عن والده وأقربهم إلى أمه (حفصة) كان والده يعلم شراسة وحدة طبعه وحبه لسفك الدماء إضافة إلى أنانيته القاتلة وحبّه لذاته استلم تحت السلطنة ٩١٨هـ / ١٥١٢م هزم الشاه إسماعيل الصفوي في موقعة جالديران سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤م، وانتصر عليه كما أنه انتصر على السلطان طومان باي في موقعة الريدانية سنة ٩٢١هـ / ١٥١٧م، دخل على أترها القاهرة، لقب (بيلازو) أي الصارم توفي بعدما قضى في السلطنة ثماني سنوات ودفن في استانبول". عامر: تاريخ الدولة العثمانية،، ص ٢٤٩-٢٥١.

^٣ أحمد زكريا الشلق: العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة (١٥١٦-١٩١٦م)، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٢٣-٢٤-٢٥.

^٤ الدولة الصفوية: ينتسبون إلى الشيخ صفي الدين إسحاق الأربيلي، وهو الجد الخامس للشاه إسماعيل الصفوي في إيران، ومن هذا الأسم أخذت السلالة اسمها. محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الصفوية في إيران، دار النفائس، دم، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٣٥.

^٥ المماليك: صنف من العبيد أصلهم من الأتراك والجراسكة والمغول، استقدمهم الأيوبيون للخدمة العسكرية، تمكنوا من إنشاء دولتهم على أنقاض الدولة الأيوبية سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م، وهم ينتسبون إلى سلالتين: المماليك البرجية، والبحرية، قضى السلطان سليم الأول على دولتهم في مصر سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م، ومن ثم قضى عليهم نهائياً في عهد محمد علي باشا في مجزرة القلعة ١٨١١م. مصطفى عبد الكريم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ٤٠٨.

^٦ إسماعيل الصفوي: هو إسماعيل ابن الشيخ حيدر، وينتهي نسبه إلى الشيخ صفي الدين ابن جبرائيل العلوي الحسني، وإسماعيل هذا هو مؤسس الدولة الصفوية الفارسية كان أبوه حيدر قد حارب صاحب شيروان فهزمه الأخير وقتل جميع أولاده إلا إسماعيل وأخاه بار علي واستمر إسماعيل مخفياً عند المنحازين لأبيه إلى أن تمكن من هزيمة شيروان، توفي سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م. فريد تاريخ الدولة العثمانية العلية،، هامش ١، ص ١٨٨-١٨٩.

في معركة (جالديران)^١. اتجه بعدها إلى محاربة المماليك والتقى الطرفان في معركة (مرج دابق)^٢ شمال حلب ٩٢٢هـ/١٥١٦م فهزم على أثرها المماليك وقتل سلطانهم (قانصوه الغوري)^٣، ودخلوا بعدها جميع مدن بلاد الشام، وعليه فإن سورية وهي الإقليم الشمالي لبلاد الشام أول قطر عربي دخله العثمانيون وكان ذلك في بداية القرن السادس عشر، واستمر حكمهم حتى قيام الحرب العالمية الأولى ١٣٣٧هـ/١٩١٨م؛ أي: إنهم أقاموا فيها نيفاً وأربعة قرون^٤.

وعليه بالإمكان تقسيم تاريخ بلاد الشام في فترة خضوعها للحكم العثماني إلى ما يلي:

١. العهد العثماني الأول والذي بدأ من القرن السادس عشر منذ عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م حتى النصف الثاني من القرن المذكور، وتشمل هذه المرحلة السيطرة العثمانية للبلاد العربية، والقضاء على الثورات المحلية،^٥ وتنظيم الإدارة.^٦

^١ جالديران: تقع في شرق الأناضول إلى الجنوب من قارص. فريد: تاريخ الدولة العثمانية العلية،، هامش ٢، ص ١٩٠.

^٢ مرج دابق: قرية بين عزاز وحلب إلى الشمال الغربي من حلب، ومرج دابق مرج معشب كان ينزله بنو مروان، وفيه قبر سليمان بن عبد الملك بن مروان الذي عسكر بدابق وعزم على ألا يرجع حتى يفتح القسطنطينية. فريد، تاريخ الدولة العلية،، هامش ٢، ص ١٩٢.

^٣ قانصوه الغوري (٨٥٠-٩٢٢هـ/١٢٤٦-١٥١٦م) بن عبد الله الظاهر الأشرفي الغوري (أبو النصر سيف الدين، الملك الأشرف)، من سلاطين مصر، جركسي الأصل، تولى منصب الحجابة بحلب، بويع بالسلطنة بقلعة الجبل بالقاهرة، كان ملماً بالموسيقى والأدب وله ديوان شعر. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين (تراجم مصنفين اللغة العربية)، ٤ أجزاء، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت، ج ٢، ص ٦٥٦.

^٤ شمس الدين محمد بن علي ابن طولون: تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني (من كتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان)، تحقيق: أحمد أبيش: منشورات مكتبة مؤمن قرشي، أبو ظبي، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ١٣.

^٥ في أعقاب الاحتلال العثماني للبلاد العربية وخلال ثلاث سنوات بدايته ظهرت سلسلة من الثورات قامت بها القوى المملوكية لإعادة سلطانها نذكر منها حركة (جان بردي الغزالي) والي العثمانيين في دمشق، كما حدثت أيضاً عدّة ثورات للبدو في بلاد الشام، لمعرفة المزيد عن هذه الثورات انظر عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، دمشق، ط ٢، ١٩٦٨م، ص ١١٥-١٢١.

^٦ بالإمكان أن نلخص سياسة الدولة العثمانية في تنظيم إدارتها لبلاد الشام بإتباعها سياسة (المحافظة) أي الإبقاء على الأوضاع السائدة قبل مجيئها، لمعرفة المزيد هاملتون جب، هارولد بوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، ٣ أجزاء، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٧١م، ج ٢، ص ٥٠. وأيضاً عبد العزيز عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية (١٨٦٤-١٩١٨م)، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٦٩م، ص ٦٢/ حتى: تاريخ سوريا ولبنان،، ج ١، ٣٠٧.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

٢. فترة الثورة على العثمانيين: وتشمل بداية الضعف العثماني وثورات العساكر والأمراء، ومحاولة الدولة العثمانية فرض هيبتها، وتمتد من النصف الثاني للقرن السادس عشر لتصل إلى الربع الأول من القرن الثامن عشر^١

٣. تعاظم النفوذ المحلي في القرن الثامن عشر. وتشمل تفشي الانحطاط العثماني، وازدياد النفوذ المحلي في بلاد الشام، وظهور الأسر الحاكمة ومحاولتهم الانفصال عن الدولة^٢

وقد تعرضت الدولة العثمانية في النصف الثاني من هذا القرن لأخطر حركتين كادت تقصفان بكيانها ممثلة بالحركة الوهابية^٣ التي ظهرت داخل الجزيرة العربية منذ ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م، ولم تشعر الدولة العثمانية بخطورتها في بداية الأمر^٤ إلا بعد تعديهم على ولايتي دمشق وبغداد وبعد فشل الولاة العثمانيين في القضاء عليها لجأت الدولة إلى محمد علي باشا^٥ والي مصر، وبعد حملات متعددة

^١ تمثلت ثورة الأمراء بثورة الأمير فخر الدين المعني (١٦٣٢-١٦٣٣م) لمعرفة المزيد فيليب حتي: لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا، مراجعة: نقولا زيادة، ترجمة: أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢م، ص ٤٦٢.

^٢ منها ظهور أسرة الشيخ ضاهر العمر في فلسطين ومن بعده أحمد باشا الجزار وظهور أيضاً نفوذ آل العظم في دمشق، والمعنيون في لبنان، ومن ثم الشهابيين. عبد الكريم رافق: فلسطين في العهد العثماني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر للميلاد حتى ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، مسئل من الموسوعة الفلسطينية، ٥ مجلدات، د. ط، د. ت، مج ٢، ص ٨٥٢. / ليندا شيلشر: دمشق في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة: عمر ودينا الملاح، مراجعة: عفاف مارديني، دار الجمهورية، دمشق، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٣٩.

^٣ الوهابية: نسبة إلى الشيخ محمد عبد الوهاب (١١١٥-١٢٠٧هـ/ ١٧٠٣-١٧٩٢م)، وهي حركة ظهرت في شبه الجزيرة العربية، دعت إلى نبذ البدع والخرافات والعودة إلى عقيدة التوحيد الصافية والإسلام الصحيح، لمعرفة المزيد عبد الله بن محمد بن حسين داهش: ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلدان الجزيرة العربية، مجلة الدارة، عدد ٣، السنة العاشرة، الرياض، ١٩٨٤م، ص ٩.

^٤ خالد زيادة: اكتشاف التقدم الأوروبي (دراسة في المؤثرات على العثمانيين في القرن الثامن عشر)، دار الطليعة للنشر، ط ١، بيروت، ١٩٨١م، ص ١١٤.

^٥ محمد علي ولد في قونيه ١١٨٢هـ / ١٧٦٩م توفي والده وهو في حداثة سنه فكفله عمه طوسون آغا وبعد موت عمه كفله أحد أصدقاء والده وكان ضابطاً بجيش الانتكشارية كان محمد علي يعمل بتجارة الدخان وعندما أغار نابليون على مصر وشرعت حكومة الباب العالي في تعبئة الجيوش لمحاربة الفرنسيين انضم إليهم وصل إلى مصر سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، كمعاون لرئيس كتيبة وقد أظهر كفاءة عالية فاستلم عرش مصر في ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، وتوفي في سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م عن عمر ثمانين سنة. / محمد فريد: البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس الدولة الخديوية، تحرير: أحمد زكريا شلق، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٥م، ص ٣١-٣٢-٣٩.

تمكن ابنه إبراهيم باشا^١ من هزيمتهم^٢.

أما الحدث الآخر فهو حملة (نابليون بونابرت)^٣ على مصر عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، والذي اتجه بعد عام من احتلاله لمصر إلى سورية الشامية غير أنه منيَ بفشل ذريع أمام أسوار عكا سنة ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م^٤.

بعد هذه المقدمة التاريخية التي وجدناها ضرورية لدراسة أوضاع الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر، وكون أحداثها تعدّ امتداداً لما حصل في القرن التاسع عشر (محور البحث)، هنا يبرز سؤال لا بد من الإجابة عليه، هل كان القرن التاسع عشر قرن اضطراب وفوضى كالقرن الثامن عشر أم كان قرناً مختلفاً وبداية لبزوغ عصر العقل والمعرفة في بلاد الشام؟

بادئ ذي بدء، كان القرن التاسع عشر، قرن اضطراب وفوضى سياسية، مثله كباقي القرون السابقة، فمثلاً في هذا القرن حكم بلاد الشام ولاية كثر مدة حكمهم لا تتجاوز السنة، فلو أخذنا دمشق كمثال لعدم استقرار الحياة السياسية وجدنا أن في الفترة ما بين (١٢٥٦-١٣٣٧هـ/ ١٨٤٠-١٩١٨م) حكمت تلك البلاد من قبل خمسة وثمانين والياً، لم يصمد منهم في الحكم مدة مقبولة غير خمسة ولاية تولوا لمدة سنتين أو ثلاث أو خمس سنوات، أما الباقي فقد تولوا لمدة عام تقريباً، وهذا دليل على عدم الاستقرار وفوضى الحكم^٥. وتمثل أيضاً سوء الوضع السياسي بنشوب الخلافات بين ولاية الشام الذين كانوا يعصون أمر الباب العالي في عزلهم وتعيين غيرهم، ففي عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م نشب صراع بين

^١ إبراهيم باشا (١٢٠٤-١٢٦٥هـ/ ١٧٨٩-١٨٤٨م) قائد مصري، والابن الأكبر لمحمد علي، عينه والده قائداً للحملة المصرية ضد الوهابيين ١٨١٦-١٨١٩م، فأخذ ثورتهم وقضى على حكمهم، ثم شارك إلى جانب السلطان محمود الثاني وتمكن من إخماد الثورة اليونانية ١٢٤١- ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٥- ١٨٢٨م، دخل فلسطين والشام وعبر جبال حتى وصل كوتاهية، أنتصر في معركة نزيب على الجيش العثماني، عين نائباً عن والده في حكم مصر ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م وتوفي في العام نفسه. غريال: الموسوعة الميسرة،، مج ١، ص ٤٦٣.

^٢ ياسين بن علي: خروج الوهابية على الخلافة العثمانية (قراءة تاريخية ومناقشة شرعية)، مجلة الزيتونة، ٢٠١٤م، ص ٧-٣٨.

^٣ نابليون بونابرت: إمبراطور فرنسا (١٨٠٤ - ١٨١٥م) يعد أحد أعظم القادة العسكريين في جميع العصور غزا مصر (١٧٩٨ - ١٧٩٩م)، ودوخ بفتوحاته القارة الأوروبية حاول احتلال روسيا ولكنه ارتد عنها خائباً عام ١٨١٢م نفي عام ١٨١٤ إلى جزيرة (ألبا) وقد حاول استعادة عرشه خلال فترة الأيام المائة ولكنه هزم ففاه الانكليز إلى جزيرة (سانت هيلاني). منير البعلبكي: معجم أعلام المورد (موسوعة لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ٤٥٠.

^٤ رافق: فلسطين في عهد العثمانيين،، مج ٢، ص ٨٥٤-٨٥٥.

^٥ صلاح الدين المنجد: ولاية دمشق في العهد العثماني، دمشق، د.ط، ١٩٤٩م، ص ٤-٥ ملحق (١) الذي أوضح فيه اسم الوالي ومدة حكمه والسنة، ص ٩١ وما يليها.

والي صيدا السابق وبين والي دمشق^١ الذي رفض تسليم السلطة لوالي صيدا والإذعان لأمر الباب العالي^٢.

كما أسهمت الخلافات الدينية في زيادة حدة الاضطرابات وعدم الاستقرار وتدهور الأوضاع، فدبت الخلافات الدينية بين بعض الطوائف المسيحية (الكاثوليك والروم)، وسالت من جرّائها دماء غزيرة في عام ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م في القدس، وفي العام ١٢٣٣هـ / ١٨١٧م^٣ في حلب، بالإضافة إلى غزو الوهابيين لمشارف الشام في العام ١٢٣٣هـ / ١٨١٧م ودعوتهم لأهل الشام إلى الطاعة، وتهديدهم بقطع طرق الحج^٤، وأثناء ذلك حدثت حركات تمرد وعصيان (للإنكشارية)^٥، فكانت تتور وتشتعل بين وقت وآخر وتأكل الأخضر واليابس. وشهد العام ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م، والعام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م، أبرز حركتي تمرد للإنكشارية إلا أن تمّ القضاء عليها من قبل السلطان محمود الثاني^٦. ولم تكن الخلافات السياسية والنزاعات الطائفية والصراعات الدينية وحدها هي النوازل التي ابتليت بها بلاد الشام في القرن التاسع عشر، فقد تبع ذلك حدوث عدد من الزلازل والكوارث الطبيعية التي دمرت بلاد الشام منها: السيل

^١ والي صيدا لتلك الفترة هو درويش باشا، أما والي دمشق فهو كنج يوسف باشا.

^٢ ميخائيل الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان، تحقيق: أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، د.م، ط ٢، ١٩٨٢م، ص ٦٨ ومايليها/ بولس مسعد: الدولة العثمانية في لبنان وسورية (١٥١٧-١٩١٦م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ٦٠/ كرد علي: خطط الشام،، ج ٣، ص ٣٦ وما يليها.

^٣ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ٦٢ ومايليها/ ميخائيل مشاققة: مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان، تحقيق: ملحم خليل عبده، أندراوس حنا شخاشيري، طبع بمصر، د.ط، ١٩٠٨م، ص ٧٦-٧٧.

^٤ مسعد: الدولة العثمانية في لبنان وسورية،، ص ٥٨/ مشاققة: مشهد العيان، ...، ص ٦٨-٦٩.

^٥ الإنكشارية: هم المشاة العثمانيون ويتألفون من فيلق من الجيش الجديد "يكيي جاري" له امتيازاته الخاصة وقد بدأ تشكيله منذ القرن الرابع عشر مع نشأة الدولة من الصبيان أو الفتيان الأسرى وينقسم فيلق الإنكشارية إلى وحدات أو أوجاقات يتألف كل وحدة منها آغا يتمتع بامتيازات كثيرة. علي حسون: العرب والدولة العثمانية، رؤيا للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ١٦٨.

^٦ محمود الثاني: تولى مقاليد الحكم سنة ١٨٠٨م، وهو في الرابع والعشرين من عمره، يمثل حمية وحمية ورغبة في الإصلاح والنهوض، ورأى أن نجاح الإصلاح لا يقتصر على المجال العسكري، لذلك عزم على إزالة النظم القديمة حتى لا تتعارض مع طريقة الإصلاح، ووجه عنايته إلى بناء فرق عسكرية تأخذ بالنظم الحديثة، كما أجرى إصلاحات واسعة بالدولة شملت التعليم والصحة والزراعة، وقبل وفاته أعد ما عرف بالتاريخ بحركة التنظيمات لكنه توفي سنة ١٨٣٩م. للمزيد محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح العثماني في عهد محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م)، دار التراث، القاهرة، د.ط، ١٩٧٨م، ص ١٨٢.

الكبير الذي داهم عكا عام ١٢٢٥هـ/١٨١٠م^١، كذلك الأمراض التي فتكت بالناس، وعلى رأسها الكوليرا التي اجتاحت تلك البلاد عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م، ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م^٢.

على أن أبرز الأحداث السياسية التي شهدتها بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي هو: ١. الاحتلال المصري لبلاد الشام، ٢. وحركة الإصلاحات العثمانية، ٣. وحوادث الستين ١٢٧٧هـ/١٨٦٠.

١. البداية مع غزو محمد علي باشا لبلاد الشام: بعد نجاح محمد علي في تشكيل نواة دولة حديثة في مصر، أخذ يطمح في تأسيس إمبراطورية عربية موحدة تمتد من (السودان)^٣ إلى طوروس^٤، ومن الخليج العربي^٥ إلى باب المندب^٦، وتقع على الطريق الأكبر المؤدي إلى الشرق، فسعى ببذل كل مجهوداته في سبيل تحقيق ذلك^٧، إلا أن هذا الطموح الشخصي لمحمد علي اصطدم بفكر وسياسة الدولة المركزية وتناقض معها، فكانت النتيجة أن السلطان محمود الثاني لم يوف بوعده الخاص بمنح محمد علي ولاية الشام مكافأة له على مشاركته إلى جانب السلطان في القضاء على الثورة اليونانية (١٢٤٠-١٢٤٤هـ/١٨٢٤-١٨٢٩م) بل اكتفى بمنحه جزيرة (كريت)^٨. وبناء على إجراءات السلطان تلك قرر محمد علي أن ينتزع بلاد الشام منه بالقوة بعد أن أدرك محمد علي أن الدولة العثمانية تمر

^١ رافق: فلسطين في العهد العثماني،، مج ٢، ص ٨٥٦.

^٢ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١٠٨.

^٣ السودان: جمهورية مساحتها ١٥٥٠.٢٥ كم² شمال شرقي إفريقيا، عاصمتها الخرطوم، يحدها من الشمال المملكة العربية المتحدة، وشرق البحر الأحمر وأثيوبيا وأوغندا والكونغو وجمهورية إفريقيا الوسطى وتشاد وكينيا، غريال: الموسوعة العربية،، مج ١، ص ١٠٢٥.

^٤ طوروس: سلسلة جبلية جنوب تركيا تمتد موازية ساحل البحر المتوسط جنوب آسيا الصغرى، وترتفع حوالي ٣٧٢٦م عند غلادج تخترقها من الشمال مداخل تعرف باسم بوابات كيليكيا، غريال: الموسوعة الميسرة،، مج ٢، ص ١١٦.

^٥ الخليج العربي: ذراع من البحر العربي يمتد بين إيران وجزيرة العرب وتحف به إيران والعراق والكويت والمملكة العربية السعودية ومشيخات ساحل الصلح البحري يمتد من مصب الدلة والفرات (شط العرب) حتى مضيق هرمز الذي يربطه بخليج عمان أكبر جزره البحرين، غريال، الموسوعة الميسرة،، مج ١، ص ٧٦٤.

^٦ باب المندب: مضيق بين البحر الأحمر وخليج عدن، عرضه ٢٦ كلم، وهو مفتاح البحر الأحمر من جنوبه. غريال: الموسوعة الميسرة،، مج ١، ص ٢٩٥.

^٧ جورج أنطونيوس: يقظة العرب (تاريخ حركة العرب القومية)، ترجمة: ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٨، ١٩٨٧م، ص ٨٠.

^٨ جزيرة كريت: جزيرة شهيرة بالبحر المتوسط ذات موقع حربي من الأهمية بوجوده عند مدخل أرخبيل اليونان. فريد: تاريخ الدولة العثمانية العلية،، هامش (٤)، ص ٢٣٤-٢٣٥/ وانظر أيضاً محمد التتوني: بلاد الشام إبان العهد العثماني، بيروت، د.ط، ٢٠٠٤م، ص ٦١.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

بأزمة عسكرية بعد حروب اليونان والبلقان، وأن جيشها الجديد الذي أسسه^١ لم يتم بعد التدريب والتسليح، في الوقت الذي أصبح جيشه يتفوق عليهم عدداً وعدة^٢، فوجّه حملة بقيادة إبراهيم باشا الذي بادر إلى اقتحام ولاية عكا ودخولها في أيار عام ١٨٣٢م بعد حصار دام سبعة أشهر^٣.

وفوراً زحف خاطفاً واحتل مدينة دمشق دون مقاومة تذكر، وهزم القوات العثمانية بقرب مدينة حمص شر هزيمة، ولم يكد ينتهي شهر تموز من العام نفسه حتى تمت سيادته على الديار الشامية كلها، ذلك لأن النعمة على الحكم العثماني كانت قد بلغت ذروتها^٤. وأمام تزايد الاجتياح المصري لبلاد الشام أرسل السلطان إلى محمد علي يعرض عليه الجلوس على طاولة المفاوضات، وبعد إخفاقها التقى الطرفان في (قونيه) ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م، تحطّم على إثرها الجيش العثماني لتدخل الأزمة بينه وبين السلطان مرحلة خطيرة مع بداية عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣٣م بعد وصول إبراهيم باشا في توسعته إلى مشارف (كوتاهيه)^٥ مما جعل الطريق إلى العاصمة العثمانية (استانبول) مفتوحاً أمام قواته، والدولة العثمانية كلها مهددة بالسقوط بين يدي محمد علي^٦، الأمر الذي أقلق السلطان محمود الثاني فراح يستجدي مساعدة (بريطانيا وفرنسا) للتوسّط بين السلطان و محمد علي وبعد أن أخفقت مساعيها اضطر السلطان إلى اللجوء إلى عدوّه التقليدي (روسيا) التي لم تتوان في مد يد المساعدة للسلطان^٧.

^١ نقصد به الجيش الجديد الذي أسسه السلطان محمود الثاني بعد القضاء على الإنكشارية.

^٢ محمد كمال الدسوقي: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، د.ط، ١٩٧٦م، ص ٦٠/عايض بن حزام الروقي: حرب محمد علي في الشام وأثره في شبه الجزيرة العربية، مكة المكرمة، د.ط، ١٩٨٦م، ص ٧٦.

^٣ عبد الرحمن زكي: حملة الشام الأولى والثانية (صفحات من تاريخ مصر ذكرى الفاتح البطل إبراهيم باشا)، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٢٢٣-٣٠ الروقي: حرب محمد علي،، ص ٧٩/ لطيفة سالم: الحكم المصري في الشام (١٨٣١-١٨٤١م)، القاهرة، د.ط، ١٩٩٠م، ص ٤١.

^٤ ليلى الصباغ: دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مطبعة ابن حيان، دمشق، د.ط، ١٩٨١م، ص ٢٦٥.

^٥ قونيه: مدينة جنوب وسط تركيا، عرفت عند الرومان باسم ايكانيوم، أصبحت قاعدة لسلطين السلاجقة بآسيا الصغرى في القرن الحادي عشر الميلادي، دخلها الأتراك العثمانيون في القرن الخامس عشر الميلادي، لا تزال قونيه محتفظة بأسوارها القديمة، انظر غريال: الموسوعة الميسرة،، ص ١٤٠٩.

^٦ كوتاهيه: مدينة تقع إلى الشرق بليقصر وغرب أسكي شهر. فريد: تاريخ الدولة العثمانية العلية،، هامش ٢، ص ١٣٣.

^٧ سليمان بن محمد الغنام: قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١-١٨٤٠م) في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسورية، جدة، ط ١، ١٩٨٠م، ص ٩٢.

^٨ قسطنطين بازيللي: سورية ولبنان وفلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمة: طارق معصروني، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩م، ص ١٤٤ ومايليها.

ودخلت في صراع مباشر مع محمد علي، وتمّ التوصل في النهاية إلى حل وسطي بتوقيع صلح كوتاهيه ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م^١.

لن نطيل كثيراً في الحديث عن الحملة المصرية على بلاد الشام، ونكتفي بذكر الصدام الذي حصل بين السلطان العثماني ومحمد علي في حزيران ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م بالقرب من قرية (نصيبين)^٢ حيث حسمت المعركة فيه لصالح الجيش المصري^٣، وفي تلك الفترة توفي السلطان (محمود الثاني)، وعين بدلاً عنه السلطان عبد المجيد الذي حاول أن يجنح للسلم وعرض عليه عقد هدنة تمهيداً لإجراء الصلح إلا أن تدخل الدول الأوروبية لدى الدولة العثمانية منعها من عقد أي اتفاق مع محمد علي^٤. وفي نهاية الأمر استقرّ الرأي على عقد معاهدة وفاق تضم الدول الأربع روسيا وبريطانيا وروسيا والنمسا في لندن عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م^٥، وتعهدت فيه هذه الدول بمساعدة السلطان في إخضاع محمد علي باشا إذا ما رفض عرضاً يخول محمد علي باشا حكم مصر وراثياً وحكم ولاية عكا طوال حياته، وأعطى محمد علي مهلة عشرة أيام فإذا لم يقبل تؤخذ منه عكا ويبقى حكم مصر وراثياً، على أن تظل تابعة للسلطان ويجب الضرائب باسمه فإن رفض تصرفت الدولة بما تراه مناسباً. لكن محمد علي رفض تلك الشروط بتحريض من فرنسا التي وعدته بالمساعدة^٦، فكان نهاية الأمر توقيع اتفاق برلين ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م وقد تقرر فيه إعطاء محمد علي باشا وأسرته حكم مصر وراثياً^٧.

٢. تمثل الحدث الثاني الذي شهدته بلاد الشام في القرن التاسع عشر بما عرف بـ حركة (الإصلاح العثماني)، أو ما هو متعارف عليه بـ (التنظيمات العثمانية)^٨ وهي عبارة عن سلسلة طويلة من القوانين

^١ أهم ما جاء فيها تنازل السلطان العثماني عن ولاية مصر لمحمد علي يحكمها مدى الحياة، ويعطي ابنه إبراهيم مقاطعة أضنة. لمعرفة المزيد أنظر الغنام: قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا، ...، ص ٩٢.

^٢ نصيبين أوزنيز: تقع إلى الجنوب الغربي من بيره جك شمال شرق حلب. فريد: تاريخ الدولة العثمانية العلية،، هامش (٢)، ص ٤٥٣.

^٣ الروقي: حرب محمد علي في الشام،، ص ٣٨٢ / محمد عبد الفتاح أبو الفضل: الصحوة المصرية في عهد محمد علي، القاهرة، د.ط، ١٩٩٨م، ص ١٩٧.

^٤ محمد حسن العبدروس: تاريخ العرب الحديث، د.م، د.ط، ٢٠٠٠م، ص ٢٦٣.

^٥ حمود البرجس البرجس: فلسطين والقدس في التاريخ، الكويت، د.ط، ١٩٨٧م، ص ٨٢ / لمعرفة المزيد عن بنود معاهدة برلين، أبو الفضل: الصحوة المصرية،، ص ٢٠٥-٢٠٦.

^٦ أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية،، ج ٢، ص ٣٩ / عمر الإسكندري، سليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، القاهرة، د.ط، ١٩٩٦م، ص ١٨٨.

^٧ الروقي: حرب محمد علي في الشام،، ص ٢١٢ / فريد: تاريخ الدولة العثمانية العلية،، ص ٤٦٩ وما يليها.

^٨ التنظيمات: اصطلاح مأخوذ من قانون (تنظيم اتمك) ويقصد بها الإصلاحات التي أدخلت على أداة الحكم والإدارة في الدولة العثمانية. دائرة المعارف الإسلامية: مادة تنظيمات، دار المعارف، بيروت، ١٩٣٣م، مج ١، ص ٧٩.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

والنظم الإصلاحية، وعدد كبير من الخطوط الهمايونية، صدرت بين وفاة السلطان (محمود الثاني) سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩ وإلغاء (عبد الحميد الثاني)^١ الدستور سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م. الغاية منها تنظيم مختلف إدارات الدولة وأجهزتها^٢

تعود أسبابها إلى الأوضاع المتردية التي شهدتها الدولة في القرن الثامن عشر ممثلاً بفقدان الأمن، وضعف القوة العسكرية نتيجة زيادة تمرد الجيش الإنكشاري وتحوله إلى أداة فوضى وفساد^٣، بالإضافة إلى فقدان الدولة الحكم المركزي على الأقاليم، وقيام حركات التمرد ومحاولات الانفصال عن الدولة، رافقها سوء الأوضاع الاقتصادية والانكسارات العثمانية أمام القوى الخارجية^٤.

تعود جذور هذه الحركة كما ذكر بعض المؤرخين إلى حكم (مصطفى الثالث)^٥، حيث يعدُّ عهده منطلقاً جديداً في تاريخ الدولة العثمانية حيث ظهرت فيه بوادر إصلاح الجيش والمالية، وكان إصلاح الجيش أهم ما لفت انتباه سلاطين آل عثمان خلال الفترة الأولى حتى حكم (محمود الثاني)، وذلك يعود إلى طبيعة الحكم العثماني العسكري لذا كان لا بدّ من أن يتجه الإصلاح إلى الجيش^٦.

تولى مسؤولية الإشراف على إدارة مشروع التنظيمات عدد من الوزراء الذين عرفوا في مجموعهم باسم رجال التنظيمات^٧. وقد تمت على مرحلتين:

^١ عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦-١٩٠٩م) ابن السلطان عبد المجيد الثاني، ولد سنة ١٢٥٧هـ/ ١٨٤٢م، تولى العرش خلفاً لأخيه مراد ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، ماتت أمه وهو في السادسة عشر من عمره، فريته زوجة أبيه، درس العلوم السياسية، وتعلم العربية، وأنقن الفارسية، كان ينظم الشعر، ذو شخصية قوية منذ صغره متديناً وسط جو أوروبي، بعيشة أمراء القصر، تميز عهده بالحكم الفردي والاستبداد، افتتح حكمه بإعلان دستور ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م لكنه سرعان ما عطله ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨، استمرت فترة حكمه ثلاثين عاماً ونصف تقريباً حتى خلع سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م. محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٩م، ص ٣٣-٣٤.

^٢ دائرة المعارف الإسلامية: مادة تنظيمات،، ص ٣٦.

^٣ ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية (محاضرات ألقاها على طلاب المعهد)، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، د.ط، ١٩٥٧م،، ص ٦١-٦٢.

^٤ لمعرفة المزيد عن ذلك أحمد هريدي علي صلاح: دراسات تاريخ العرب الحديث، دار الوفاء، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠ ص ٨٠/ وأيضاً عمر عبد العزيز عمر: دراسات في تاريخ العرب الحديث (الشرق العربي من الفتح العثماني حتى نهاية القرن الثامن عشر)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١م، ج ١، ص ١٠٩.

^٥ مصطفى الثالث: ابن السلطان أحمد الثالث المولد سنة ١١٢٩هـ/ ١٧١٦م، كان ميالاً للإصلاح محباً لتقدم بلاده، خاضت البلاد في عهده حرباً مع روسيا، توفي سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٤م، بلغت مدة حكمه ست عشرة سنة وثمانية شهور. فريد: تاريخ الدولة العثمانية العلية،، ص ٣٢٩، ٣٤٠.

^٦ عوض: التنظيمات العثمانية في الولايات العربية،، ص ٨٢.

^٧ هؤلاء هم مصطفى رشيد باشا وتلامذته أمثال فؤاد باشا، عالي باشا، مدحت باشا.

أ. المرحلة الأولى: أطلق عليها اسم التنظيمات الخيرية، وتبدأ من سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م إلى سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م وتشمل عصري (عبد المجيد وعبد العزيز).^١

ب. المرحلة الثانية: وتعرف بالمشروطية^٢، وتشمل عصر عبد المجيد الثاني ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م إلى ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م.

- ميّزت المرحلة الأولى بإصدار (مرسوم كلخانه)^٣ "في يوم الأحد ٢٦ شعبان ١٢٥٥هـ الموافق ٣ نوفمبر ١٨٣٩م، وقد صدر هذا الخط في فترة اشتد فيها العداء بين السلطان عبد المجيد وتابعه في مصر محمد علي حول احتلال الأخير لبلاد الشام، ولهذا السبب كان أهم بند في هذا الخط تقديم السلطان العثماني وعداً بتنفيذ الإصلاحات التي يروم إجراؤها في الدولة هادفاً من وراء ذلك ضمان مساندة الدول الأوروبية له في نزاعه الحاسم مع محمد علي^٤، لكنه انشغل عن إتمام هذه الإصلاحات بسبب حدوث (حرب القرم)^٥، ولما انتهت هذه الحرب أصدر السلطان فرماناً جديداً بين فيه الإصلاحات المقتضى إدخالها، وسميت الإصلاحات الخيرية (خط همايون) صدر في جمادى الآخر

^١ عبد المجيد (١٢٣٩-١٢٧٨هـ/ ١٨٢٣-١٨٦١) سلطان عثماني ابن محمود الثاني، جابه في بداية حكمه انتصار الجيش المصري في معركة نزيب ١٨٣٩م، وتسليم الأسطول التركي لمحمد علي، فتدخلت على الفور إنجلترا وروسيا والنمسا وأجبرت إبراهيم باشا على وقف زحفه نحو القسطنطينية وإجباره على توقيع معاهدة لندن ١٨٤٠م، أدخل عبد المجيد الكثير من الإصلاحات. غريال: الموسوعة الميسرة،، مج ٤، ص ٢٢١٢.

عبد العزيز الثاني ولد عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م تولى الحكم سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م، كانت فاتحة أعماله إقرار الوزراء في مراكزهم، من أهم إصلاحاته قانون الولايات ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، تميز عهده باستفحال حركات المعارضة مدعومة من القطاعات، فكان تفاقم الأوضاع الداخلية والخارجية وعجز السلطان وفساده، إلى أن أصدر شيخ الإسلام فتوى بخلعه سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م. فريد: تاريخ الدولة العثمانية العلية،، ص ٥٣٠ وما يليها.

^٢ المشروطية: سميت بهذا الاسم لأنها حاولت القضاء على نظام الحكم المطلق الذي كان قائماً في ذلك الحين، وأن يجعل حكم السلطان مشروطاً بمراعاة القيود المقررة في دستور عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، الحصري: تاريخ البلاد العربية،، ص ٨٤.

^٣ كلخانه: معناها اللغوي بنت الورد، وقد أطلق على مكتب الرسائل السلطانية انظر فريد: تاريخ الدولة العلية،، هامش (١)، ص ٤٧٠.٩

^٤ عوض: ولاية سورية،، ص ٢٣٤.

^٥ القرم: شبه جزيرة بجنوب روسيا الأوروبية، على الساحل الشمالي للبحر الأسود من أهم مدنها سيمفربولوسيباسبتول، في سنة ١٧٧٤م، أرغمت كاترينا الثانية تركيا على استقلال خانة القرم ثم ضمتها إلى روسيا ١٧٨٣م. انظر غريال: الموسوعة الميسرة،، مج ٢، ص ١٣٧٧، ولمعرفة المزيد عن تلك الحرب انظر الصباغ: دراسات في تاريخ العرب الحديث، ...، ص ٢٣٧/انظر أيضاً مصطفى محمد صفوت: محاضرات في المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، معهد الدراسات العالمية، جامعة الدول العربية، ١٩٥٨م، ص ٢١-٣٢.

سنة ١٢٧٢هـ / ١٨ شباط عام ١٨٥٦م^١. تعهدت الدولة في هذا الخط بتحسين أحوال رعاياها المسيحيين على أن لا تتدخل أي دولة في شؤونها، وكان هذا البند خطوة ثانية لتعزيز النفوذ الأوروبي داخل الدولة العثمانية بعد كلخانه^٢.

- المرحلة الثانية: تمت في عهد عبد الحميد الذي كان من أنصار الحكم المطلق، رافضاً للحركات الدستورية. ورغم ذلك فقد شهدت سنوات حكمه إجراءات تنظيمية كثيرة منها مشروع الدستور الذي وضعه مدحت باشا^٣، وتم إعلانه في ٢٣ ديسمبر، ١٨٧٦م، كانت الغاية الأساسية لإصدار هذا الدستور وقف تدخل الدولة الأوروبية في شؤون البلاد الداخلية، ووقف التطلعات الانفصالية لشعوب السلطنة من المسيحيين، والتنويه إلى أن الدولة العثمانية قادرة على إصلاح نفسها دون تدخل أجنبي^٤، ثم ما لبث السلطان أن علق الدستور، وعاد إلى نظام الحكم المطلق، وقد نتج عن سياسة الكبت تلك تشكيل عدد من الجمعيات عملت على مكافحة استبداده، وأرغمته على إعادة العمل بالدستور مرة ثانية ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م^٥.

يمكن إجمال أثر تلك التنظيمات على بلاد الشام بما يلي:

١. أخذت الدولة بنظام الحكم المركزي وقضت على النظام الإقطاعي^٦
٢. لم تطبق تلك التنظيمات على درجة واحدة من السرعة والشمول في جميع الولايات، فنجدها طبقت في ولايات الشام مثل غيرها من الولايات العربية^٧.

^١ لمعرفة المزيد عن أهم ما تضمنه هذا الخط انظر فريد: تاريخ الدولة العلية،، ص ٤٨٤.

^٢ كان من أهداف خط شريف كلخانه هو استثارة عطف الدول العظمى على الدولة العثمانية بعد خسارتها في نزيب لمساندتها، وللغاية ذاتها صدر خط همايون مساندة تلك الدول للحكم العثماني ضد روسيا ولمعرفة المزيد انظر Engel Hardt, Edouard la Turquie et le Tanzimat ou histoire des reformes dans l'empire, Otto man, Paris, vol, 1852-1884, P314.

^٣ مدحت باشا: ولد في استانبول، كان أبوه الحاج حافظ محمد أشرف عالماً دينياً تولى القضاء الشرعي في أيامه، فأنشأه أبوه تنشئة دينية فحفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره، فلقب بالحافظ، فكان اسمه الحافظ أحمد شفيق، أما مدحت الذي غلب عليه فهو اسم ديواني أطلق عليه عندما التحق بالديوان الهمايوني لتعلم الخط، تعلم العربية والفارسية والفرنسية، والنحو والمنطق والفلسفة والبلاغة، زار بلجيكا وفينيا ولندن وباريس، ولإنجازاتها في الشام والعراق سمعة طيبة. أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٦٥م، ص ٢٧-٣٢.

^٤ لمعرفة المزيد عن الدستور وبنوده عوض: تاريخ الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٣٨ وما يليها/ والحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية،، ص ٢٥٧ وما يليها.

^٥ الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية،، ص ٩٠/عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٣٩، ٤٥.

^٦ عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٣٥.

^٧ عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٥٤/الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية،، ص ٨١.

٣. من الناحية الإدارية ورغم ظهور قانون تشكيل الولايات ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م^١، لم يأتِ بأي جديد في مجال التقسيم الإداري للولاية، فظلت الولاية مقسمة إلى ألوية وسناجق وأقصية، لكن الجديد أن الدولة أعادت النظر بتقسيمات بلاد الشام إذا اختفت إيالة^٢ صيدا وقسمت إلى ولايتين: هما سورية وحب، تشكلت الأولى سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م، واستقر اسمها حتى نهاية العصر العثماني^٣، وتضم الألوية التالية: لواء دمشق أو الشام، حوران، حماه، الكرك أو معان، عكا، طرابلس، بيروت، اللاذقية، نابلس، البلقاء. أما ولاية حلب فقد ضمت التالي، حلب، أورفة، مرعش، غير أن رسوخ اسم ولاية سورية وثباته لم يرافقه ثبات حدودها الإدارية، إذ منيت سورية في عهد التنظيمات بانفصالات وتغييرات متلاحقة، وأول انفصال إداري كان لمدينة القدس سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م مشكلةً متصرفية مستقلة^٤ تبعته مدينة بيروت عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م، وقد بررت الدولة العثمانية ذلك الانفصال بازدياد أهمية تلك المدينة، وللتمكن من الوقوف في وجه النفوذ الأجنبي، والتقليل من حدة تدخله، بالإضافة إلى اتساع ولاية سورية واتخاذ ولايتها مدينة دمشق مركزاً لها. لذلك استدعت الضرورة السرعة في جعلها ولاية مكونة من الألوية التالية، لواء بيروت ويضم عكا، والبلقاء، وطرابلس الشام واللاذقية.^٥

^١ قانون الولايات: صدر في عهد السلطان عبد العزيز الثاني (١٢٧٩-١٢٨١هـ / ١٨٦١-١٨٦٤م)، في ٨ نوفمبر، ١٨٦٤، هدفت الدولة من ورائه تنظيم الإدارة المحلية في الولاية على أسس وقواعد جديدة تتوجه نحو المركزية وإصلاح أحوال الولايات وجميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مدحت باشا: مذكرات مدحت باشا، ترجمة: يوسف كمال بك حتاتة، المطبعة الهندية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٣م ص ١٣٨-١٣٩.

^٢ إيالة: وحدة إدارية هو لفظ استعمل قبل الولاية واستمر حتى صدور قانون تشكيل الولايات، حيث اختفى لفظ إيالة وساد استعمال ولاية. انظر عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، هامش (٢)، ص ٧٠.

^٣ ورد في كتاب عبد العزيز عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٢٨١-١٣٣٣هـ / ١٨٦٤-١٩١٤م، أن سالنات الدولة العثمانية لم تحدد تاريخ تشكيل ولاية سوريا على وجه التحقيق ففي سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م لم يدخل أي تغيير إداري في إيالات بلاد الشام الثلاثة حلب، والشام، وصيدا، وفي سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٤م تختفي إيالة لتحل محلها ولاية سورية كي تضم ألوية بلاد الشام الوسطى والجنوبية وفي سنة ١٢٨٤هـ / ١٨٦٦م تظهر إيالة صيدا من جديد بحدودها وألويتها القديمة ولكن سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٧م يختفي إيالة صيدا نهائياً من خريطة التقسيمات الإدارية وتحل مكانها ولاية سورية مجدداً وجرى تطبيق قانون الولايات فيها ويقول المؤرخ أنه وجدت وثيقة مؤرخة في ٢٥ ذي الحجة ١٢٦٣هـ / ١٨٦٤م تشير إلى تشكيل ولاية سورية مجدداً. عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، هامش (١)، ص ٧٠.

^٤ ضمت متصرفية القدس، يافا، اللد، الرملة والمجدل، وخليص الرحمن، وعنزة مع خان يونس. أحمد عزت عبد الكريم: التقسيم الإداري لسورية في العهد العثماني، منشورات حوليات كلية الآداب، عين شمس، مج ١، ص ١٨١.

^٥ عين والياً عليها علي باشا والي آيدين السابق/ عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٧٢/ عبد الكريم: التقسيم الإداري لولاية سورية،، مج ١، ص ١٨١.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

كما اهتمت الدولة بتنظيم جهاز الأمن، فبعد أن كانت قوات الوالي الخاصة في بلاد الشام، هي التي تسهر على حفظ الأمن والنظام في البلاد، أصدرت التنظيمات قانوناً يقضي بتشكيل قوات أمن خاصة جعلتها تحت إشراف الوالي، وخولته الحق بنقل هذه القوات من مكان إلى آخر داخل حدود الولاية.

كما صدر سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م نظام إدارة الضابطة الذي قسم عساكر الولاية إلى خيالة ومشاة، كما قسمت قوات الأمن ولاية سورية في عهد التنظيمات إلى ثلاثة أنواع:

- قوة الدرك (الجندارمة): وتشرف على حفظ الأمن ومنع التهريب على الحدود.
- قوة الشرطة (الظبطية): وعهد إليها القيام بالخدمة ضمن مراكز الأقضية لتبليغ المذكرات الإدارية والعديلية ولمساعدة مشايخ القرى على جباية الأموال الأميرية.
- قوة المفتشين (البوليس): وعهد إليها التحقيق في المخالفات ومراقبة الأجانب، وقدر مجموع هذه القوات الثلاثة سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م نحو ٢٥٢ نفر موزعين على قوة الدرك والشرطة والمفتشين.^١

٣. **حوادث الستين:** بعد هذه اللحظة الموجزة عن أثر التنظيمات على الأحوال الإدارية سننتقل إلى الحدث الثالث الذي شهده القرن التاسع عشر الميلادي في بلاد الشام، والذي أطلق عليه اسم (الحروب الأهلية) والتي تمثلت في عدة حركات أبرزها تلك التي حصلت في عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م.

- وجد لبنان نفسه عند منتصف القرن التاسع عشر في حمأة من حروب وفتن دامية لم يكن له عهد بمثلها، وكانت ذروة هذه الأحداث ممثلة في ثلاث حركات وقعت بين الدروز والنصارى، وكادت تؤدي بالبلاد إلى هاوية من الفوضى والبلاء، فتنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م، و ١٢٦١هـ/١٨٤٥م ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م، تمثل هذه الفترة القائمة نهاية حكم الأمراء الشهابيين وبداية عهد المصرفية (حكم المتصرف العثماني بإشراف خمس دول)^٢، يعود سبب تلك الأحداث إلى الفراغ السياسي الذي حدث في بلاد الشام بعد رحيل الحكم المصري عنها، وخلع الأمير (بشير الشهابي الثاني)^٣. ونتيجة لذلك ظهرت قوى

^١ بشارة خليل الخوري: حقائق لبنانية، درعون، لبنان، ١٩٦٠م، ج ١، ص ٣٣.

^٢ حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور،، ص ٥٢٥-٥٢٦.

^٣ بشير الثاني: أعظم أمراء بني شهاب سطوة وهيبة وبسالة وبطش، المعروف بالكبير أو المالطي، ولد سنة ١١٨١هـ/١٧٦٧م، تنصر والده في آخر أيامه ثم توفي عن ولدين هما حسن وبشير، أنظم الأخير في خدمة الأمير يوسف الشهابي أمير جبل لبنان، لما بلغ السادسة عشر من عمره غادر إلى دير القمر ونزل في بيت الدين، ثم اتصل بأحمد الجزار والي صيدا فولاه إمارة لبنان سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م، فكانت له حوادث كثيرة عزل مرات عديدة وأعيد وعند قدوم حملة إبراهيم باشا إلى بلاد الشام أزره الأمير بشير وعند نهاية الحملة المصرية قبض عليه الإنكليز ونفوه إلى مالطة، توفي عام ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م. جرجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ٣ أجزاء، مؤسسة هنداوي، مصر، د.ط، ٢٠١٢م، ج ١، ٧٦-٨٨.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وعصابات^١، حاولت ملء ذلك الفراغ فصار لبنان مسرحاً لتدخلات الدول الأوروبية وأطماعها التي وجدت الفرصة مواتية لتحقيق أهدافها، فعملت على إثارة النعرات الطائفية وتكريسها فتدخلت بريطانيا لمحاربة النفوذ الفرنسي وتأبيد (الدروز)^٢، وتدخلت فرنسا لدعم (الموارنة)^٣، في حين اتجهت روسيا إلى (الأرثوذكس)^٤، حتى النمسا أخذ قنصلها يدعي حقّ بلاده في حماية (الكاثوليك). وهكذا بدأ القناصل يتدخلون لتقوية نفوذ بلادهم^٥، وحاولت الدولة العثمانية بدورها السيطرة على الأمور وإحكام قبضتها على جبل لبنان؛ ففعلت مقرّ والي صيدا إلى بيروت؛ لتتمكن من مراقبته. غير أن الأوضاع كانت إلى تدهور، مما أدّى إلى نشوب حرب الأهلية بين الدروز والموارنة، عرفت (بالحركة الأولى ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م)^٦، وقد تدخلت على إثرها الدولة العثمانية لإعادة الهدوء، وأنهت حكم

^١ تلك القوى تمثلت بظهور الموارنة والدروز والسنة والشيعة والأرثوذكس. لمعرفة المزيد انظر مسعود ضاهر: الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية (١٦٩٧-١٨٦١م)، الفارابي للنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م، ص ٢٩٣ وما يليها.

^٢ الدروز: يرجع تاريخهم إلى القرن الحادي عشر الميلادي وبالتحديد إلى فترة حكم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ٩٨٨هـ/ ١٠٣١م، وسموا بهذا الاسم نسبة إلى أحمد بن إسماعيل الملقب بـ (الخياط)، حاول نشر مذهبه في مصر ففشل وهرب إلى بلاد الشام واستقر في وادي التيم، انتقلت الدعوة بعد مقتله إلى حمزة بن علي الذي نشر المذهب الدرزي بين القبائل العربية المنتشرة في تلك المنطقة. محمد كامل حسين: طائفة الدروز تاريخها وعقائدها، دار المعارف، القاهرة، د. ط، ١٩٦٠م، ص ٨٧.

^٣ الموارنة: لفظة مارون منقولة من اللغة السريانية، فإن نطقت بضم فعناها (السيد والرب) وإن نطقت بالفتح فعناها (المررية) التي تكسر بها الحجارة، وهذان اللفطان على ما توجه قواعد اللغة السريانية أنهما في حالة التصغير يصيرا (مرونا) ضمّاً وفتحاً، وفي حالة الجزم (مورون) و(مارون) بالضم والفتح وتعين حينئذ أن يكون علماً شخصياً، وعند نقلها للعربية حولت لصيغة مارون بزيادة الألف لكون النقل يخرج الأشياء على أصولها. مار أسطفان الدويهي: تاريخ الطائفة المارونية، تحقيق: رشيد الخوري الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعية، بيروت، د. ط، ١٨٩٠م، ص ٣.

^٤ الأرثوذكس: سمي أتباعها (روم ملتي) أي ملة أو طائفة الروم، ضمت العديد العديد من الأجناس منها الروم الأرثوذكس والأرمن والسريان، نظمها السلطان محمد الفاتح وأخضعها لسلطة البطريرك ومارس البطريرك سلطة تامة على أتباع كنيسة باستثناء السلطة المدنية. هاملتون: المجتمع الإسلامي،، ج ١، ص ٢١٦/عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٣٠٢.

^٥ الكاثوليك: تكونت هذه الطائفة في بلاد الشام نتيجة الانشقاقات في الكنائس الشرقية الأرثوذكسية والأرمنية والسريانية اليعقوبية، وقد استطاع المنشقون عن الكنيسة الأرثوذكسية أن يشكلوا طائفة جديدة عرفت باسم الروم الكاثوليك وتمّ عام ١٧٢٤م انتخاب بطريرك خاص بها، واعترفوا برئاسة البابا عليهم. عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٣٠٤.

^٦ مسعود: الجذور التاريخية للمسائل الطائفية،، ص ٢٩٣ وما يليها، ٣٠١ وما يليها.

^٧ السبب المباشر لهذه الحرب يعود إلى أن رجلاً من دير القمر اصطاد حجلًا في أرض لعائلة نكد في حراج (بعقلين) فاعترضه بعض دروزها وحدثت مشاجرة بينهم، فبادر أحدهم إلى دير القمر وبث الخبر فهاجت الشبان وتددجوا بالسلاح. حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور،، ص ٥٢٦/ولمعرفة المزيد عن الأحداث انظر مشاققة: مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان،، ص ١٤٥ وما يليها.

الشهابيين، وعين لأول مرة حاكم عثماني على جبل لبنان هو (عمر باشا)^١ الذي اتّبع سياسة خاطئة أثارت الدروز والموارنة، فانقلبوا عليه وتحّدوه وانتهى الأمر بتقسيم لبنان إلى قائم مقامتين، إحداهما شمالي يتولاها قائم مقام ماروني، والأخرى جنوبية يتولاها قائم مقام درزي، على أن يرأسهما والي صيدا وجعل الطريق الممتد من بيروت إلى دمشق الحدّ الفاصل بينهما، غير أن ذلك النظام الجديد لم يكن بوسعه إزالة أسباب الفرقة والانقسام، فلم تلبث الحرب أهلية أن تفجرت من جديد عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م (الحركة الثانية)^٢، واقترحت فرنسا إلغاء نظام قائم مقامتين والعودة إلى نظام الإمارة الموحدة؛ لكن الدولة العثمانية رأت الإصرار على التقسيم، أو العودة إلى الحكم العثماني المباشر، فحضر وزير خارجيتها^٣ إلى بيروت و وضع نظاماً جديداً للإدارتين المارونية والدرزية، نسب إلى اسمه، أبقى فيه على نظام القائم مقامتين مع إيجاد مجلس إداري إلى جانب كل قائم مقام، وعدّ كلّ منهما موظّف معيّن من قبل والي صيدا، كما سعى إلى القضاء على النظام الإقطاعي ودعم سلطة الدولة العثمانية في لبنان، خاصة في شؤون الجبل. وبشكل عام خضع لبنان لسلطة الوالي العثماني بصورة أقوى مما سبق، وما إن رحل حتى عادت قناصل الدول الأوروبية إلى سابق تدخّلاتها، وتفجّرت الخلافات مرة أخرى في صفوف المسيحيين، بين الموارنة والأرثوذكس من جهة، وبين الموارنة بعضهم بعضاً، وبين الموارنة الفلاحين ومشايخ الإقطاع من جهة أخرى، وتدخل الوالي العثماني لعزل القائم مقام الماروني واستبداله بآخر عام ١٢٧١هـ/١٨٥٤م، فازدادت الخلافات أكثر خاصة خلال الفترة (١٢٧٤-١٢٧٥هـ/١٨٥٧-١٨٥٨م)، وتفجّرت في ذلك الوقت ثورات الفلاحين ضد المشايخ نتيجة ما عانوه من ظلم وعنف^٤، ثم وقعت صدامات مسلّحة بين المسيحيين والدروز في بعض المناطق، كانت مقدمة لفتنة طائفية وحراباً أهلية اندلعت عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م واشتهرت في التاريخ باسم (مذابح الستين). رأى بعض المؤرخين أن الأسباب غير المباشرة لتلك الحوادث (١٢٧٧هـ/١٨٦٠م)، تعود إلى التنظيمات

^١ عمر باشا: نمساوي الأصل ولد في بلاسكي على حدود البوسنة عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م، فسماه ولده ميخائيل وأدخله المدرسة الحربية في (بورن)، عندما بلغ الثامنة والعشرين من عمره نزع من وطنه وجاء إلى بوسنة العثمانية فاعتنق الدين الإسلامي، وتولى تعليم أبناء بعض تجار الأتراك، في سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م، كان من جملة الضباط الذين توجهوا لمحاربة إبراهيم باشا، تولى بعدها العديد من المناصب. لمعرفة المزيد انظر زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ١، ص ١٩٥-١٩٦.

^٢ مصطفى خالدي، وعمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي)، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، ١٩٥٣م، ص ١٣٨-١٣٩.

^٣ اسم وزير خارجية بيروت هو شكيب باشا.

^٤ لمعرفة تفاصيل تلك الأحداث مشاقة: مشهد العيان،، ص ١٥٣ وما يليها / وأيضاً بولس: الدولة العثمانية في لبنان وسورية،، ص ٦٩ وما يليها/أنطوان العقيقي: ثورة وفتنة في لبنان، بيروت، د.ط، ١٩٣٨م، ص ٨٢-٩٠/ نقولا زيادة: أبعاد التاريخ اللبناني، المنظمة العربية للتربية والثقافة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، د.ط، ١٩٧٢م، ص ١٠١.

العثمانية^١، وذلك أن إقرار نظام المساواة بين الطوائف الذي وضعته الدولة العثمانية وفقاً لما جاء في بنود خط كلخانة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م^٢، كان له أثر سيئ في الولايات العربية ولا سيما في بلاد الشام، حيث تكثر الأقليات المسيحية، وذلك يعود إلى أن الدولة ورغم إعلانها لمبدأ المساواة لم تستطع تطبيق مبدأ المساواة بين الرعايا كافة، فظلت الوظائف العامة ولا سيما العسكرية والإدارية والقضائية مقصورة على المسلمين وحدهم، وكان لهذا التمييز صدى قوي في الأوساط الطائفية، إذ أوجدت الضغينة في قلوب المسلمين وشجعت النصارى على الاعتزاز والتطاول، وأخذ المسيحيون ينظرون إلى تلك التنظيمات على أنها تعطيهم الحقوق نفسها التي هي للمسلمين، بينما أخذ المسلمون ينظرون إليهم نظرة شك، ويرون في التنظيمات أنها السبب في إيصال المسيحيين إلى وضع اجتماعي ممتاز، كما كانوا عليه من قبل، فكانت النتيجة أن أخل ذلك بالتوازن بين الطوائف، وزاد في تأريث البغضاء فيما بينهم لجوء تلك الأقليات المسيحية في بلاد الشام إلى الدول الأوروبية لحمايتها وتأييد وضعها شبه المستقل^٣، مما أدى إلى اندلاع حرب (١٢٧٧هـ/١٨٦٠م)^٤، امتدت آثارها إلى دمشق مما اقتضى من الباب العالي اتخاذ تدابير سريعة لوضع حد للفتنة، في الوقت الذي دعت فيه فرنسا الدول الأوروبية إلى عقد مؤتمر ضمّ بريطانيا، النمسا، روسيا، وبروسيا، وتركيا، للتدخل وإيقاف النزاع، وذلك من خلال إرسال قوة قوامها اثنا عشر ألفاً، غير أن فرنسا نفذت وحدها القرار، وأرسلت جيشاً قوامه سبعة آلاف محارب بقيادة الجنرال (بوفوردويتول)^٥، لكن وزير الخارجية العثماني (فؤاد باشا)^٦ كان قد سبقه إلى البلاد على

^١ محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي (٩٢٢-١٣٣٢هـ/١٥١٦-١٩١٤م)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٨٥م، ٢١٨/ محمد عبد الرحمن برج: دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٧٤م، ص ٦٤. من هؤلاء المؤرخين المؤرخ الفرنسي (ثومان) في كتابه تاريخ بلاد الشام وأيضاً محمود أبو السعود الحسيبي، نقيب أشرف مدينة دمشق وأحد المعاصرين لأحداث سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م.

^٢ مضمونه " ولكي يكون أهل الإسلام وباقي الملك الذين هم من تبعة سلطتنا السنية سائلين مساعدتنا هذه الشاهانية بدون استثناء أعطيت من طرفنا الشاهاني الأمنية الكاملة بمقتضى الحكم الشرعي لجميع أهالي ممالكنا المحروسة على نفوسهم وأعراضهم وناموسهم عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية، نقلاً عن كتاب الدستور، ...، ص ٤٢٢.

^٣ محمد عبد برج: دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، ...، ص ٦٤.

^٤ السبب المباشر مشاجرة بين صبيان ماروني ودرزي تطورت وأسفرت عن مقتل عدد من الدروز والنصارى. حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور، ...، ص ٥٣٠.

^٥ بوفوردويتول جنرال فرنسي اشترك في حروب سورية، كان ضابطاً في أركان الجيش (الكونيل سيف) الذي كان قد اعتنق الإسلام وأصبح مدير العمليات في الجيش المصري باسم سليمان باشا. زيادة: أبعاد التاريخ اللبناني، ...، ص ٥.

^٦ فؤاد باشا: ولد في الأستانة سنة ١٢٣٠هـ/١٨١٤م، سلك في شبابه مسلكاً علمياً، دخل المكتب الطبي الذي أسسه السلطان (محمود الثاني) حصل فيه على العلوم الطبية، اتجه إلى السياسة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م، وعين مترجماً أول

رأس جيش، وأخذ في إنزال عقوبات صارمة ضد المتسبب في هذه الحوادث، وقد شكّل لجنة دوليّة جلّ ما بحثته موضوع العقوبات والتعويضات،^١ ومسألة وضع نظام خاص بلبنان في عام ١٢٧٨هـ/١٨٦١م، تمّ التوقيع عليه في الأستانة، وبموجب هذا النظام الذي عرف بالقانون الأساسي (**Reglement ganique**) أصبح لبنان سنجقاً عثمانياً مستقلاً داخلياً تضمن كيانه الدول الستة الموقعة على هذا النظام، ويحكمه متصرف مسيحي يعينه الباب العالي، ويكون مسؤولاً لدى حكومة الأستانة. وقد اختارت الدولة العثمانية (داوود أفندي)^٢ الأرمني ليتولّى هذا المنصب، وأصبح لبنان منذ ذلك التاريخ متصرفية ممتازة ذات طابع خاص يحكمها حاكم مسيحي، يعاونه مجلس استشاري،^٣ ويضم ثماني أقضية^٤. وظلّ هذا النظام قائماً، ولم يطرأ عليه إلاّ تعديلات طفيفة قصت فيها ظروف السياسة الداخلية، غير أن أخطر ما في هذا النظام أنه أتاح للدول الأوروبية الكبرى أن تتذرع بهذه الحوادث؛ لتسوّع تدخلها الصريح في الشؤون الداخليّة لبلاد الشام^٥.

ثانياً: الحياة الاقتصادية:

اتّسمت الحياة الاقتصادية في بلاد الشام بالطابع المحلي، الذي تجلّى في طرق الزراعة والصناعة التقليدية^٦، غير أن التوجه الاستعماري الأوروبي في القرن التاسع عشر نحو ممتلكات السلطنة العثمانية في ولاياتها العربية، بعد النهوض الصناعي والزراعي لدول الغرب، للحصول على تجارة الشرق ومواده الأولية كان من العوامل الأساسية في ضعف الاقتصاد العربي عامة، وبلاد الشام

للدويان الهمايوني، تسلم بعدها العديد من المناصب منها مندوب عن الباب العالي لحل أزمة عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م. زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ١، ص ٢٥٣-٢٥٧.

^١ تشكّلت هذه اللجنة من بيكلار عن فرنسا، واللورد دوفرين عن بريطانيا، ونوفيكوف عن روسيا، ودي فيكبكر عن النمسا، ودي ريولس عن بروسيا، وفؤاد باشا عن الدولة العثمانية وكان رئيساً لها. زيادة: أبعاد التاريخ اللبناني،، ص ١٠٥.

^٢ داوود أفندي: هو رجل أرمني المولد كاثوليكي المذهب، مدير التلغراف في استانبول، اتخذ من قصر الأمير بشير في بيت الدين مقراً له. حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور،، ص ٥٣٨.

^٣ يتكون من اثني عشر عضواً يمثلون مختلف الطوائف، أربعة عن الموارنة وثلاثة عن الدروز واثنين عن الروم الأرثوذكس وواحد عن الروم الكاثوليك وواحد عن السنة وواحد عن الشيعة. زيادة: أبعاد التاريخ اللبناني،، ص ١٠٦.

^٤ تلك الأقضية هي: الشوف، المتن، كسروان، البترون، جزين، الكورة، زحلة، دير القمر.

^٥ أنطونيوس: يقظة العرب،، ص ١٢٦.

^٦ رافق: فلسطين في عهد العثمانيين،، مج ٢، ص ٩٤٥.

خاصة، حيث أثر التغلغل الاقتصادي الأجنبي على وتيرة التقدم الزراعي والصناعي، وأضعف التجارة الداخلية، وجعل ميزان التجارة الخارجية يرجح لمصلحة الشركات الأجنبية^١.

فنظام الامتيازات الأجنبية أهلك الاقتصاد العثماني^٢، وتحولت ولايات الدولة العثمانية على أثره إلى سوق للتصريف، ثم إلى شبه مستعمرة للدول الأوروبية الرأسمالية، كما مهدت مرحلة التنظيمات الثانية التي بدأت بخط (شريف همايون) سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، الطريق إلى زيادة التغلغل الرأسمالي الأجنبي الذي اكتسب شكل الالتزامات الدولية بعد أن تعهدت الدولة العثمانية بمنح امتيازات السكك الحديدية والبنوك، وصناعة التعدين وغيرها من الامتيازات كإلغاء الضرائب على السلع الأجنبية ومنحهم حق شراء الأراضي^٣.

بالإضافة إلى هذا، فإن تفاقم الأزمة المالية في الدولة العثمانية أدى إلى توجيهها نحو فرض ضرائب عالية في البداية كحل مؤقت لمواجهة تلك الأوضاع الصعبة، ثم لجأت فيما بعد إلى الاقتراض من الدول الأوروبية، ومما زاد من حدة الأزمة وتعقيدها عجز الدولة عن إحداث أية إصلاحات اقتصادية لإنقاذ الوضع^٤.

لقد ألقت تلك الأزمة الاقتصادية والمالية للدولة العثمانية بظلالها على الحالة الاقتصادية في بلاد الشام، وشهد الاقتصاد الشامي تدهوراً ملحوظاً شمل أوجه النشاط الاقتصادي كافة، مما أدى إلى خلق مشكلات اقتصادية معقدة لم تألفها أعراف الفلاحين والحرفيين والتجار المحليين وتقاليدهم^٥ ولتسليط الضوء على الواقع الاقتصادي لبلاد الشام في القرن التاسع عشر، لابد من التطرق إلى أحوال كلٍّ من الزراعة والصناعة والتجارة حتى نتمكن من إعطاء فكرة عامة عن الوضع الاقتصادي للفترة المدروسة.

١. الزراعة:

اعتمد اقتصاد السلطنة العثمانية بشكل أساسي على الزراعة التي كانت قائمة على (النظام الإقطاعي)، الذي قسم المجتمع إلى فئتين: فئة صغيرة مالكة للأراضي، وهم من أصحاب الوجاهة

^١ ماري دكران سركو: دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٥هـ/ ١٨٧٦-١٩٠٨م)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٨٤-١٨٥.

^٢ قيس العزاوي: الدولة العثمانية قراءة جديدة في عوامل الانحطاط، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص ٦٩.

^٣ لوتسكي، (ف): تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة: عفيف البستاني، دار الفارابي، بيروت، ط٧، ١٩٨١م، ص ٣٧٤.

^٤ سيار الجميل: العرب والأترك، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط١، ص ١٩٩٧م، ص ٨١ وما يليها.

^٥ وجيه كوثراني: السلطة والمجتمع،، ص ٨٣-٩٠.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

والأعيان والآغوات، وأخرى كبيرة تعمل في الأرض (هم الفلاحون) الذين عاشوا تحت رحمة الإقطاعي (مالك الأرض)، في حالة من الفقر والبؤس^١.

بعد توجه الأوربيين نحو المشرق العربي عامة، بعد (الثورة الصناعية)، من أجل الحصول على المواد الخام الزراعية والرعية اللازمة لصناعاتهم، تطوّرت الزراعة واتسعت مساحة الأراضي الزراعية المخصصة لزراعة مواد التصدير، ولم يكن هذا التحسن عائداً إلى سياسة السلطنة العثمانية في المنطقة وإنما يعود إلى واقع الحال والسوق اللذين شجعا مالكي الأراضي للسير نحو تطوير زراعتهم، مما أدى إلى الاهتمام بالقطن وشجر التوت (لتربية دودة القز)، كما أدخلت زراعات جديدة حملها الأوروبيون معهم إلى بلاد الشام، مثل: (البندورة، والتبغ، ... الخ)^٢.

وعلى الرغم من هذا التطور الزراعي لم يطرأ أي تغيير على الوضع العام للفلاح، بل بقي الأمر على حاله، والمستفيد الأول والأخير من ذلك هم فقط مالكو الأراضي (الإقطاعيون) والسلطنة التي أرادت الاستفادة من تلك الأرباح، بفرض مزيد من الضرائب النقدية على الفلاحين^٣، فبقيت الزراعة قديمة وتقليدية مما أخرج الانتقال من الطرق القديمة للإنتاج الزراعي إلى الأساليب الأكثر تطوراً، الأمر الذي وقف عائفاً أمام اتساع مساحة الأراضي المزروعة^٤.

وفي فترة الحكم المصري لبلاد الشام (١٢٤٧-١٢٥٦هـ/١٨٣١-١٨٤٠م) دخلت الزراعة مرحلة جديدة، حيث تمكن (محمد علي) أن ينهي الإقطاع كنظام أرض؛^٥ لتشهد الزراعة تنظيمًا متقدماً. فقد شجع على زراعة القطن وأشجار التوت، وعمل على مكافحة الجراد، كما تحسنت أوضاع الفلاحين في عهده، حين قام بتسليف الفلاحين الذين يسكنون القرى المهجورة مالا لإصلاح بيوتهم

^١ سركو: الامتيازات الأجنبية وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية على سوريا (بلاد الشام) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية العشرين، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د.ط، ٢٠١٠م، ص ٨٣/ عبد الكريم غرابية: سورية في القرن التاسع عشر (١٨٤٠-١٨٧٦م) محاضرات ألقاها الدكتور على طلبة قسم الدراسات التاريخية والجغرافية، مهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، د.ط، ١٩٦١م، ص ١٥٨-١٦٠.

^٢ شيلشر: دمشق في القرنين الثامن والتاسع عشر،، ص ٧٩/ سركو: الامتيازات الأجنبية،، ص ٨٣.

^٣ سركو: دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني،، ص ١٨٥/ سركو: الامتيازات الأجنبية،، ص ٨٣.

^٤ ل.ن. كوثلوف: تكون حركة التحرر الوطني في المشرق العربي (منتصف القرن التاسع عشر - ١٩٠٨م)، ترجمة: سعيد أحمد، وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، ١٩٨١م، ص ١٣-١٤.

^٥ أنهى نظام الإقطاع عندما حل الجيوش العسكرية الإقطاعية في ولاية سورية بين عام (١٨٣٣-١٨٣٥م) وتجريد السكان من السلاح بالقوة دون تمييز بين الأشراف والأعيان وسواهم من عامة الشعب. أن.بولياك: الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان، ترجمة: عاطف كرم، منشورات دار الكشف، بيروت، ط ١، ١٩٤٨م، ص ٢٠١.

^٦ عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٢٢٨.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وترميمها، وأعفاهم من الضرائب مدة ثلاث سنوات^١، كما أعطاهم الحق في رفع شكاوى على الملتزمين^٢.

وبعد خروج المصريين من بلاد الشام عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م، أكملت الحكومة العثمانية الإصلاحات المصرية، فعملت على تنظيم أحوال الأراضي، وذلك بإصدار قانون الأراضي العثماني الذي صيغ في (١٣٢) مادة وخاتمة^٣. هدفت الدولة من خلاله إلى وضع حد لفوضى الملكية التي كانت سائدة في العهد العثماني الأول، كما اهتمت بتسجيل الأراضي، وتوزيع سندات الطابو على المالكين^٤.

وبموجب هذا القانون قسمت الأراضي في الدولة العثمانية على النحو التالي:

أ. الأراضي المملوكة: وجرى تقسيمها إلى أربعة أنواع:

* ما خصص للسكن ولا تزيد مساحته عن نصف دونم (٥٠٠م).

* الأراضي التي كانت أميرية، ثم أصبحت ملكاً شخصياً عن طريق الفرز والتملك الصحيح.

* الأراضي العشيرية التي جرى تملكها وتوزيعها حين الفتح الإسلامي لها.

* أراضي الخراج: وهي التي تقرر إبقاؤها في يد أهلها الأصليين من غير المسلمين^٥.

ب. الأراضي الأميرية: وهي عائدة إلى بيت المال عن المزارع والمراعي والمحاطب وغيرها.

^١ أحمد طربين: ملامح التغيير الاجتماعي في بلاد الشام في القرن التاسع عشر من خلال (نفخة البشام للشيخ محمد عبد الجواد القاياتي)، معهد الإنماء العربي، بيروت، د.ط، ١٩٨٣م، ص ٨.

^٢ كان محمد علي قد منح الحق لفلحي مصر سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م بإنشائه ديوان في بيت البكري بالأزبكية وكان عرضه في ذلك إزاحة الملتزمين الذين يقفون حاجزاً بينه وبين الفلاح لمعرفة المزيد انظر عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحمن عبد الرحيم، ٤ أجزاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، مطبعة بولاق، ١٩٩٨م، ج ٤، ص ٣٢٥ وما يليها

^٣ نوفل نعمة الله نوفل: التنظيمات العثمانية المنشورة المعروفة بـ (الدستور)، مجلدان، المطبعة الأدبية، د.ط، بيروت، ١٣٠١هـ/١٨٨٣م، مج ١، ص ١٤-٤٣.

^٤ أصدرت الدولة لائحة تعليمات بحق سندات الطابو الأول في ٧ شعبان ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م صيغ في (١٦) بند ومقدمة، ثم أعقب ذلك في ١٥ شعبان ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م، بإصدار تعريف لنظام الطابو صيغ في مقدمة و (١٤) بنداً) وكان القصد من هذه اللوائح التمهيد لإعلان قانون الطابو والذي صدر في ٢٦ صفر ١٢٧٨هـ/١٨٦١م، لمعرفة المزيد انظر نوفل، الدستور،، مج ١، ص ٥١-٦٢/ عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٢٣٣-٢٣٤.

^٥ قسمت الخراج على نوعين الأول مقاسمة وهو الشيء الذي تعين أخذه من حاصلات الأراضي من العشر لحد النصف حسب تحمل الأرض، أما الثاني فهو الخراج الموظف، وهو دراهم معينة المقدار توظفت وتعينت بوجه المقطوع على الأرض. عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٢٣٠-٢٣١.

ج. الأراضي الموقوفة^١: منها ما هو ملكٌ صحيحٌ (شخصي) أوقفه صاحبه وفقاً للشرع، ومنها أراضي أميرية أوقفها السلاطين بالذات أو آخرون بالإذن السلطاني^٢.

د. الأراضي المتروكة لأجل عموم الناس (الطريق، المراعي، الأحراش، البيادر، الأسواق، العمومية وغيرها).

هـ. أراضي الموات: المنقطعة عن العمران، وهي دائماً مشاع للجميع، وبإستطيع الإنسان أن ينتفع بها بإذن مأمور الأراضي في المنطقة، وكانت الدولة تمنحها بلا مقابل للأهالي شرط أن يستثمروها^٣. كما عملت الدولة العثمانية إلى إصدار مجموعة من الأنظمة والتعليمات لتنظيم الزراعات، ومنها ما صدر بشأن تشجيع زراعة القطن، ومنح قروض سنوية، وإعفاء آلات القطن المستوردة من الرسوم الجمركية، كما أعفت غراس الزيتون من (الأعشار)^٤ لمدة ثلاث سنوات من بدء الإنتاج، وأنشأت المصرف الزراعي سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م لإنقاذ الفلاحين من جشع المرابين^٥، وحددت اختصاصات موظفي الزراعة (كيفية التعيين، والمهام الموكلة إليهم). وللدولة غارات للصوص وقطاعي الطرق على المزارع ورغبة في توطيد الأمن أنشأت المحاكم النظامية ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، مما أدى إلى انتشار الأمن فأقبل الفلاح على الزراعة وارتفعت أحواله وارتفعت أسعار الحبوب والغلل^٦. كما لجأت الدولة أيضاً إلى تنظيم جباية الضرائب فأصدرت مجموعة من الأنظمة والقوانين لتحصيلها، غير أنها لم تتبع أسلوباً واحداً في الجباية^٧.

^١ أرض الوقف: وهو حبس العقار أو الأرض عن البيع وحصر المغلّ في يد شخص أو أشخاص على مقصد معين، كرد علي: خطط الشام،، ج ٥، ص ٩٨.

^٢ عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٢٣١/ أحمد إسماعيل ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، السعودية، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٧٧-٨٧.

^٣ سركو: دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني،، ص ١٨٥/ عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٢٣٢.

^٤ الأعشار: من التكاليف الشرعية القديمة كان يُنفق على عهد الإقطاع من تموين الجنود وزعمائهم وفي العهد العثماني وبعد إعلان التنظيمات الخيرية أخذوا يستوفون الأعشار عن طريق الأمانة أي على ذمة الحكومة بمعرفة جباة يعينون لذلك. كرد علي: خطط الشام،، ج ٥، ص ٨١.

^٥ نوفل: الدستور،، مج ٢، ص ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٧/ عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٢٤١ وما يليها.

^٦ طربين: ملامح التغيير الاجتماعي،، ص ٨.

^٧ لمعرفة المزيد عن كيفية جباية الضرائب في بلاد الشام أظّر كرد علي: خطط الشام،، ج ٥، ص ٨١ وما يليها/ كوثراني: السلطة والمجتمع،، ص ٩٤/ نوفل: الدستور،، مج ٢، ص ٤٧-٥٠/ عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ١٦٤-١٩٦.

يتبين مما سبق أن الدولة العثمانية كانت تسعى جاهدة لتحسين أحوال الزراعة بسنّها لمجموعة من الأنظمة والقوانين ومحاولة تطبيقها، فإن كان تنفيذها ضعيفاً فإنما يعود ذلك إلى عدم توافر الإمكانيات المادية، وعدم كفاءة ونزاهة الجهاز الإداري الذي ورثته عن عصور سابقة. ويجب كذلك ألاّ نغفل ما لقيته المشاريع الإصلاحية من مقاومة من بعض الطوائف، إذ أضاعت الدولة الجهد والمال في إخضاع ثوراتهم المستمرة خلال عصر التنظيمات^١.

٢. الصناعة:

لقد ازدهرت الصناعة في بلاد الشام قبل الحكم العثماني، وبرع سكانها بشتى أنواع الصناعات النسيجية والزجاجية وغيرها، وكانت تلك المصنوعات تصدر إلى أوروبا الغربية^٢، ولكن بعد خضوعها للعثمانيين تراجعت الصناعة كما الزراعة، وذلك بسبب يعود أولاً إلى قيام السلطان (سليم الأول) بنقل الصناع والحرفيين المهرة إلى عاصمة السلطنة العثمانية (إستانبول)، وثانياً في سياسة الدولة العثمانية وعدم حمايتها للصناعة المحلية. فبعد قيام (الثورة الصناعية) في أوروبا غزت البضائع الأوروبية الأسواق في بلاد الشام، وزاحمت المنتجات المحلية عامة والنسيجية خاصة، وبدأت طوائف حرف النسيج تعاني من كساد في بضائعها^٣، وتضاؤل في أهميتها، حيث أدت الضرائب العالية ونقص التعريف الجمركية التي تحمي الصناعة المحلية، ومنافسة المنتجات الرخيصة المستوردة من الخارج إلى الإضرار بشكل كبير في هذه الصناعات التي عجزت عن المنافسة والبقاء، مثال ذلك مدينة دمشق، التي شهدت وحدها تناقصاً حاداً في عدد الصناعات الحرفية فيها، حيث انخفض عدد تلك الصناعات من (٩٦٦) صناعة سنة ١٨٥٢م إلى (٣٩٥) سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م، وانخفض عدد العاملين في الصناعات المتبقية من (١٣) ألفاً إلى (٨) آلاف عامل^٤.

وإذا كان هذا واقع الحال في دمشق فإن التراجع الحاصل قد شمل مدناً أخرى كان سكانها يعتمدون على الحرف في مصدر المعيشة مثل حلب وطرابلس وحماه وحمص، حيث شهدت هذه المدن تراجعاً شديداً في إنتاج المنسوجات، والتي كانت مصدراً أساسياً لإعالة عدد كبير من العائلات،

^١ كان في ولاية سوريا في العهد العثماني عدد من العصبية الإقطاعية والطائفية تمثلت بالدروز والنصيرية والبدو، وقد حالت هذه العصبية بالإضافة إلى ما فعله الأشقياء وقطاع الطرق دون استتباب الأمن وسيادة النظام، عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٢٤٥، ٢٩٠.

^٢ سركو: الامتيازات الأجنبية،، ص ٨٣.

^٣ القساطلي: الروضة الغناء في دمشق الفيحاء،، ص ١٢١-١٢٤/سركو: دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني،، ص ٢١٤.

^٤ غرايبة: سورية في القرن التاسع عشر،، ص ١٤٦.

من خلال منافسة المنسوجات الأوروبية التي تميزت بجودة تصنيعها، ورخص أسعارها، بل ومحاكاتها لنمط المنسوجات الشامية^١. أما في جبل لبنان فقد تعرض النشاط الاقتصادي الأكثر أهمية وهو تربية دودة القز لإنتاج الحرير لهزة عنيفة، أثرت بشكل مباشر على أحوال الناس المعيشية خاصة أن نصف دخل السكان يأتي منه. وأخذ هذا المردود الحيوي بالتراجع بعد سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٩م، وتقلصت عدد الأنوال المعدة لتصنيع الحرير، ففي (دير القمر) مثلاً كان عدد الأنوال يصل إلى (٤٠٠٠) نول سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٦٠م بينما لم يتجاوز (٢٥٠٠) نول سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م^٢.

ورغم تلك الصعاب إلا أن بلاد الشام لم تفقد مكانتها الصناعية، بل وجد في أسواق المدن الكبرى (بيروت، دمشق، حلب، حمص) كثيراً من الصناعات المحلية التي بقيت واستمرت وأثبتت قدرتها على المنافسة^٣، فقد ظهرت صناعات جمعت بين المحلي والمستورد، فمثلاً ظهر في دمشق نسيج (الديما)^٤ الذي قلد (الالاجة)، وهو القماش المصنوع من الحرير والقطن فعوضاً عن الخيوط الحريرية استخدمت القطنية فقط، وهي أرخص ثمناً وقد راجت الديما كثيراً^٥.

لابد من التنويه إلى أن الصناعة في بلاد الشام اتبعت نظام (الطوائف الحرفية)، يرأس كل طائفة رئيس هو الشيخ ويليه المعلم، ثم الصانع، ثم التلميذ، ولكل طائفة عاداتها وتقاليدها الخاصة بها. وقد يتميز التنظيم الحرفي بالتخصص وتوزيع العمل^٦. أهم الصناعات الشامية هي: الغزل، الحياكة، النساجة، الدباغة، القيافة (أي صناعة عمل السلاح) الحدادة، النحاسية، وغيرها^٧.

^١ كوثراني: الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠م، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، م١٩٧٨، ص ١٠١

^٢ أحمد الشهال: الحركات السكانية في لبنان، دار الشمال، بيروت، د.ط، ١٩٨٧م، ص ١٨.

^٣ سركو: الامتيازات الأجنبية،، ص ١٢٦/ سركو: دمشق فترة السلطان عبد الحميد،، ص ٢١٧.

^٤ الديما: أثواب نسيج من قطن معلومة عند أهل الشام. أنظر محمد سعيد، وجمال القاسمي، خليل العظم: قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: ظافر القاسمي، جزءان، دار طلاس للنشر، د.م، ط١، ١٩٨٨م، ج١، ص ١٤٧.

^٥ القساطلي: الروضة الغناء في دمشق الفيحاء،، ص ١٢٣.

^٦ لم تستخدم تلك الكلمة على التنظيم الحرفي بل أطلقت أيضاً على (الطوائف الدينية) والعسكرية كما استعملت لتدل على فئة اجتماعية (لطائفة أشقياء العرب) (أي البدو)، وقطاع الطرق والحرامية والسراقين. عبد الكريم رافق: دراسات اقتصادية اجتماعية في تاريخ بلاد الشام، مكتبة نوبل، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ١٣٩.

^٧ رافق: دراسات اقتصادية واجتماعية،، ص ١٣٥-١٣٨/ وانظر أيضاً جميل بيضون وآخرون: تاريخ العرب الحديث، دار الأمل، د.ط، د.ت، ص ٦٦.

^٨ كرد علي: خطط الشام،، ج ٥، ص ١٩٩.

٣. التجارة وطرق المواصلات:

برع سكان بلاد الشام منذ أقدم العصور بممارسة الأعمال التجارية داخلياً وخارجياً بحكم الموقع الاستراتيجي المتوسط لبلاد الشام بين قارات العالم، غير أن حال التجارة كالصناعة والزراعة تراجعت خلال الحكم العثماني الذي منع تصدير منتجات البلاد إلى خارج أراضي السلطنة العثمانية^١، فتحوّلت بلاد الشام من سوق تغذي أوروبا بالبضائع التي تحتاجها إلى سوق تعبر منها السلع المختلفة، ويمكن أن تتقاضى عليها رسوماً أو لا، ولذلك ترك كثير من التجار أعمالهم في التجارة وتحوّلوا إلى وكلاء وخازنين لبضائع أوروبا والشرق^٢.

كل ذلك عائد إلى نظام الامتيازات التجارية التي منحتها الدولة العثمانية إلى تلك الدول، حيث فرض ذلك النظام على التجار الأجانب أن يدفعوا عن بضائعهم رسوماً أقل بكثير من تلك التي يدفعها التجار الوطنيون عن بضائعهم في الاستيراد والتصدير والمرور، الأمر الذي ألحق بالتجارة (كما الصناعة) أضراراً بالغة. ومن الأسباب الأخرى التي أثرت أيضاً على النشاط التجاري في بلاد الشام هو افتتاح (قناة السويس) سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م، حيث انتقل كثير من تجار دمشق وحلب إلى بيروت والإسكندرية والقاهرة وطنطا وأزمير وسلاميك والأستانة و..... وغيرها من المدن الأوروبية والإفريقية والآسيوية^٣.

وقد شكل هذه التحول هزة عنيفة تعرض لها الاقتصاد، فأدت إلى تراجع التجارة التقليدية وفقدان مصدر الدخل الذي يأتي من تجارة الترانزيت^٤، حيث قل عدد الذين يمرون بدمشق من الروم غرب آسيا للذهاب إلى الحجاز، وأصبح معظمهم يركب البحر تخفيفاً من عناء السفر عبر الطريق البري، وانحصرت التجارة الداخلية في حدود ضيقة وأثر هذا الأمر على التجارة في موسم الحج وأصبحت لا تتعدى حد المستهلكات^٥.

وقد انتظم التجار كما الصناع من طوائف (نقابات) بحسب نوع السلع التي يبيعونها أو يستوردونها، وكان لكل طائفة (فئة تجارية) تنظيمها الخاص، ولها شيخها المنتخب أو المعين، وكان

^١ محمد بيهم: الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٥٠م، ص ١٢١/

سركو: دمشق فترة السلطان عبد الحميد،، ص ٢٣٦

^٢ سركو: الامتيازات الأجنبية،، ص ١٥٤-١٥٥

^٣ طربين: ملامح التغير الاجتماعي،، ص ١١.

^٤ غرايبة: سورية في القرن التاسع عشر،، ص ١٥٩.

^٥ كرد علي: خطط الشام،، ج ٤، ص ٢٥٠

لطوائف التجارات المختلفة شيخ مشايخ يطلق عليه اسم (الشهبندر) أو (الشاه بندر)، وهو من الشخصيات الأكثر ثراءً، وله سلطة كبيرة على جميع التجار، ويعمل على حل الخلافات بينهم^١.

٤. المواصلات:

كانت وسائل النقل الشائعة في العهد العثماني الأول، هي الدواب من (خيل وحمير)، والقوافل - وقوامها الجمل - الوسائل الوحيدة للنقل والانتقال في بر الشام حتى منتصف القرن التاسع عشر^٢ وتنبهت الدولة العثمانية في عصر التنظيمات إلى أهمية وجود طرق مواصلات بالنسبة إلى حكم يسعى جدياً وراء تحقيق السيطرة الفعلية والسيادة التامة، فأنشأت في أواخر القرن التاسع عشر شبكة مواصلات يمكن وصفها بالشمول، ربطت مدن الولاية الهامة بشبكة من الطرق والخطوط الحديدية، غايتها الأولى تقوية الحكم المركزي، والقضاء على الثورات، وتوطيد الأمن والاستقرار، فسنت الدولة عدداً من الأنظمة التي استهدفت تنظيم المواصلات في الولايات. أنشأت العديد من الطرق، منها وصل استانبول بمركز الولايات أو المرافئ، وأخرى وصلت مراكز الولايات بالألوية، وأخرى تصل مراكز الأقضية في الولاية، وأخيراً الطرق التي تستعملها العربات بصورة دائمة^٣ وتم ربط مدن الشام بخطوط البرق والبريد والهاتف.

ويتطور طرق المواصلات ووسائل النقل تحطمت عزلة المجتمعات الريفية الزراعية والمدنية الحرفية التجارية التي دامت عصوراً، وساعدت على تصدير المحاصيل الزراعية بكميات كبيرة، وسهلت وصول البضائع والسلع المستوردة والمصدرة إلى أبعد المناطق، الأمر الذي جعل بلاد الشام تدخل عصر المواصلات الحديثة، لتصبح أكثر مناطق السلطة العثمانية تقدماً وحضارة وأمناً^٤.

ثالثاً: الأوضاع الاجتماعية:

من الطبيعي أن تكون الأوضاع الاجتماعية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر نتيجة منطقية للظروف الاقتصادية والسياسية التي سادت فيها، بسبب التأثير المتبادل الحاصل بين هذه الظروف مجتمعة. فقد كان المجتمع في النصف الأول من القرن المذكور متخلفاً مفككاً، يسيطر عليه الجهل والاستبداد، وذلك يعود بالدرجة الأولى إلى النظام الإقطاعي السائد، والذي ارتكز على وسيلتي قمع

^١ يوسف نعيصة: تجارة دمشق في النصف الأول من القرن التاسع عشر، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العددان ٤١-٤٢، ١٩٩٢م، ص ١٧٤.

^٢ القاسمي: قاموس الصناعات الشامية،، ج ١، ص ١٠٦-١٠٧. / عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٢٧٠/غرايبة: سورية في القرن التاسع عشر،، ص ١٥٤.

^٣ نوفل: الدستور،، مج ٢، ص ٢١١-٢٧٤-٢٩٦-٣٠٣-٤٤١-٤٥٦ / كرد علي: خطط الشام،، ج ٥، ص ٢٠٥-٢١٦.

^٤ طربين: ملامح التغيير الاجتماعي،، ص ١٥-١٦ / بيهم: الحلقة المفقودة في تاريخ العرب،، ص ١٢٦-١٢٧.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

هما (الجيش والشرطة) من جهة، والرجال الذين استخدموا الدين كوسيلة لتدعيم النظام الاقتصادي والسياسي من جهة أخرى^١، كما أن طبيعة الحكم العثماني العسكري والاستعلائي وعدم قدرته على الغوص والتغلغل في أعماق حياة السكان أدى إلى عدم حدوث أي (اندماج اجتماعي) بين السلطة العثمانية والسكان^٢ وكان لتمسك هؤلاء (سكان المجتمع) بعاداتهم وتقاليدهم البالية دور هام في تخلفهم وجمودهم وعدم تقدمهم^٣.

غير أن السمة البارزة التي تفرقت بها بلاد الشام عن أي دولة من بلاد العالم، هي وجود طوائف دينية مختلفة، فنجد المسلمين بمختلف مذاهبهم، وكذلك أهل الذمة من (المسيحيين واليهود) بمختلف طوائفهم.

لمعرفة المزيد سنتطرق إلى هذه الطوائف ونحدد أماكن توزع كل منها.

١. المسلمون:

أ. السنة: في العصر العثماني شكل السنيون من العرب والأكراد والأتراك وتركمان أكتريّة في بلاد الشام، وقد انتمى أكثرهم إلى المذهب الشافعي^٤، فيما اتبع الأكراد والأتراك مذهب (أبي حنيفة)^٥ وجعلته الدولة المذهب الرسمي للبلاد^٦. أما عن تركزهم فقد توضعوا في مختلف الأماكن في البلاد، ففي فلسطين تواجدوا على حدودها من ناحية الشمال، وكان عدد قليل منهم في جبل عامل

^١ منير مشابك موسى: الفكر السياسي العربي في العصر الحديث (سورية في القرن التاسع عشر - عام ١٩١٨م)، مكتبة السائح، طرابلس، ط ٢، ١٩٩٥م، ص ٥.

ذكرت المصادر أن العثمانيين منذ بداية عهدهم في الولايات العربية كانوا يميلون إلى الاندماج الاجتماعي، فعقب دخول السلطان (سليم الأول) مصر أقبل العثمانيون على الزواج من المصريات، كما أثبتت أيضاً وثائق المحاكم الشرعية أن عملية الانصهار والاندماج عن طريق التزاوج تمت بين العثمانيين والمصريات والمغريات والشاميات من ناحية وبين هؤلاء أيضاً والتركيّات من ناحية أخرى ولمعرفة المزيد عن ذلك عدّ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: النظم الإدارية العثمانية في البلاد العربية وأثرها في العلاقات العربية العثمانية، مكتبة الدارة، د.م، د.ط، ص ١١٢.

^٢ محمد التتوني: التفاعل الاجتماعي في ولاية حلب بين العثمانية والعرب، ضمن كتاب (الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء الحكم العثماني)، ٢١٥، / عبد الرحيم: النظم الإدارية العثمانية،، ص ١١٣-١١٤.

^٣ طربين: ملامح التغير الاجتماعي،، ص ١٦.

^٤ المذهب الشافعي: نسبة إلى محمد بن ادريس الشافعي ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م، وهو من المذاهب الفقهية التي جمعت بين طريقة أهل الحديث وطريقة أهل الرأي فجاء وسطاً بين المذاهب. الخطيب: معجم المصطلحات،، ص ٢٦٧.

^٥ مذهب أبي حنيفة: سمي بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسه أبي حنيفة النعمان الذي عاش بين سنتي ٦٩٦-٧٦٧م. جب، بوون: المجتمع الإسلامي والغرب،، ج ١، هامش ١، ص ٣٥.

^٦ غرايبة: سورية في القرن التاسع عشر،، ص ١١٠.

أما لواء دمشق فتركزوا في جميع مدنه وقراه، وشكلوا ثلاثة أرباع المجموع الكلي للسكان^١، وفي لبنان تمركزوا في بيروت وطرابلس، وصيدا، وبعبك، أما في الريف فانتشروا في عكا والبقاع، ولم يكن أهل السنة بعيدين عن مظالم الولاة فقد كان يقع عليهم من المظالم كغيرهم من الطوائف^٢.

ب. المتأولة^٣: ينتمون إلى مذهب الاثني عشرية وهم يلون السنة من حيث العدد، فنجد تمركزهم في جبل كامل وسهل البقاع وقد عاش هؤلاء في شبه عزلة عن جميع الطوائف. قدر عددهم سنة (١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م) بـ (١٢٥) ألف نسمة، وكانت حياتهم الاجتماعية مزرية؛ لاحتلالهم عدداً قليلاً من الأراضي. تلك الحالة العامة لهم جعلتهم يرجعون إلى علمائهم في جميع القضايا والإفتاء، ويعتدون ذلك جزءاً من أحكام مذهبهم^٤.

ج. الإسماعيلية^٥: إحدى الفرق التي انقسمت من شيعة الاثني عشرية وهم وإن انفقوا مع الشيعة في التسلسل التاريخي للأئمة الستة الأوائل، إلا أنهم اختلفوا حول إمامة (إسماعيل بن جعفر الصادق) وأبطلوا إمامة أخيه الأصغر (موسى) الذي اعترف به عدد كبير من الشيعة كإمام سابع، وهم أقدم الفرق في بلاد الشام ومركزهم (السلمية) شمال شرقي حمص، وشكلوا طائفة متوسطة العدد حين بلغ تعدادهم ما بين ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ نسمة في القرن التاسع عشر^٦.

د. النصيرية^٧: هم إحدى الفرق الشيعية التي انبعثت عن الجسم الرئيس للشيعة، وقد سكنوا في القسم الشمالي من جبل (سيناء) الذي عرف باسم (سلسلة جبال النصيرية)، كذلك في دمشق، وقد قدر

^١ عيسى عبد الرزاق عبد الرزاق: التنصير الأمريكي في بلاد الشام (١٨٣٤-١٩١٤م)، مكتبة مدبولي، القاهرة ط١، ٢٠٠٥م، ص ٢٨.

^٢ عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٢٨.

^٣ أطلق هذا الاسم لأول مرة أواخر القرن السابع عشر على الشيعة في بلاد الشام، حيث كانت الفوضى تعم البلاد، وكان كل فريق يعتمد على قوته، فسمت أبناء البلاد أنفسهم (بني منوال) أي مولاة لأهل البيت. عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، هامش (٢)، ص ٣٠.

^٤ نجم زين العابدين شمس الدين: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار المنيرة، عمان، د.ط، د.ت، ص ٤٩.

^٥ عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٣٣.

^٦ الإسماعيلية: عرفت بألقاب كثيرة فهم في العراق يسمون بالقرامطة المزدكية والباطنية، وهو أشهر ألقابهم، وذلك لقولهم أن لكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل وفي خراسان يسمون التعليمية أو الملحدة، لكنهم يحبون لقب الإسماعيلية لأنه يميزهم عن بقية فرق الشيعة. محمد أنور السنهوني: مذهب الفرق الكلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ٨٦.

^٧ عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٥٠.

^٨ النصيرية: هناك العديد من الاختلافات التي تحيط بهذه الفرقة ونشأتها ونسبها غير أن أرجح الأقوال تقول أنهم ينسبون (لمحمد بن نصير) وهو أحد وزراء معاوية بن أبي سفيان، ونسجت حوله الأساطير، لدرجة أنه تنزل عليه الروح الأمين

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

عددهم ببلاد الشام سنة ١٣٠١هـ / ١٩٨٣م حوالي ٣٠ ألف نسمة أي أقل ٥% من السكان^١، وقد استغل هؤلاء طبيعة بلادهم الجبلية فامتنعوا عن دفع الضرائب والرسوم لدمشق، وثاروا على حكم إبراهيم باشا غير أنه أرسل إليهم فرقة أجبرتهم على الطاعة^٢.

هـ. الدروز^٣: فرقة ذات أصول شيعية، وتتنوع في لبنان وسورية والأردن وفلسطين^٤، انقسمت إلى طبقتين:

- طبقة العقال أو الأجويد: هؤلاء لهم الحق في معرفة العقيدة الدينية، وهم على ثلاث درجات.
- طبقة الجهال: والجهل هنا لا يعني الحمق؛ بل يعني عدم الاطلاع على أسرار المذهب وجهلها^٥.

أما عن تمركزهم في جبل الدروز، وادي التيم، وقد تمتعت العائلات الدرزية بروابط عائلية قوية، وهذا بسبب حفاظها على عاداتها وتقاليدها، وقد تمتعوا بإقطاعات مهمة^٦.

٢. أهل الذمة^٧:

أ.المسيحيون:

ابتداءً من عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م عدّ المسيحيون العرب جزءاً من رعايا الدولة العثمانية وفقاً لنظام الملة^٨، والذي استتبعت أحكامه وقواعده من الشريعة الإسلامية، فتألفت (الرعية) في الدول العثمانية

ويشره بـغلام وهو يبلغ من العمر (١٥) عاماً. شرف تقي الدين شرف: النصيرية (دراسة تحليلية)، بيروت، د.ط، ١٩٨٣، ص ٥١.

^١ غرايبة: سورية في القرن التاسع عشر،، ص ١١٣/عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٢٩٣.

^٢ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١١٦ وما يليها. /عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٢٩٣.

^٣ ظهر المذهب الدرزي في وقت كان العالم الإسلامي يشهد ظهور العديد من الفرق الإسلامية الجديدة التي تأثرت بثقافات العديد من الشعوب الأخرى لمعرفة المزيد راجع صالح زهر الدين: تاريخ المسلمين الموحدين الدروز، المركز العلمي للأبحاث والتوثيق، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م، ص ٢٥.

^٤ شمس الدين نجم: تاريخ العرب الحديث،، ص ٥٠.

^٥ عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٤٣.

^٦ حسين: طائفة الدروز تاريخها وعقائدها،، ص ٨٧.

^٧ أهل الذمة: لغة العهد والأمان والكفالة، وأهل الذمة المعاهدون من أهل الكتاب ومن جرى بجراهم، أي من أعطوا عهداً يؤمنون به على أموالهم وحياتهم ودينهم. ماجد بن صالح مضيان: أثر أهل الذمة الفكري في الدولة العثمانية من ٩٢٦-١٤٣٤هـ / ١٥٢٠-١٩٢٤م، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٠٠م، ص ١٤.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

من فئتين هما: المسلمون وغير المسلمين، وهؤلاء الآخرون يتعهدهم السلطان بالحماية، والمحافظة على حرياتهم وأموالهم، وممارسة طقوسهم الدينية، وإعفاؤهم من الخدمة العسكرية، وذلك مقابل دفع جزية، والالتزام ببعض القيود التي تجعل منهم طبقة من المواطنين ولكنهم في درجة أدنى من المسلمين^١، ومن تلك القيود ما يخصّ اللباس فقد كان هؤلاء ملزمين بارتداء الألوان التي تميزهم عن المسلمين فألزموا بالثياب الزرقاء والعمائم والأحذية السوداء^٢، ولم يقتصر الأمر على اللباس، بل تعداه حتى في المحاكم الشرعية في كل من حلب، وصيدا وطرابلس، حيث كانت أسماؤهم في الهوية الدينية تسبق بعبارة (ذمي) أو (نصراني)، بعكس أسماء المسلمين التي استخدم فيها عبارة (فلان ابن فلان)^٣، كما منعوا من بناء الكنائس وحمل السلاح أو ركوب الخيل. أما عن منازلهم فقد حدد ارتفاع معين لكحلته (حافة الباب) ومنع أن ترتفع منازلهم عن المسلمين، حتى لا يضطر المسلم إلى خفض رأسه إن دخلها^٤، أو غيرها من الأمور التي عبر عنها (مشاقه) في كتابه، وهو أحد شهود عيان لذلك العصر الذي تعرض فيه المسيحيون للإهانة^٥.

دخل المسيحيون عهداً جديداً بعد سيطرة (إبراهيم باشا) على بلاد الشام، وأول أعماله فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية هو إزالة الحواجز بين المسيحيين والمسلمين، ففرض في عهده يلبسون الثياب الملونة، ويركبون الخيول، ويحملون السلاح، كما سمح لهم بدق أجراس الكنائس، وحمل الصليب في الأماكن العامة، وأرسل العديد منهم في بعثات علمية إلى الخارج، كما ساوهم مع المسلمين في دفع الضرائب، والخدمة العسكرية، واستعان بهم في الشؤون المالية^٦.

^١ الملة: مشتقة من اللغة العربية عن اللفظ السرياني (مالتا) وقد استعملت كلمة (ملة) في القرآن الكريم بمعنى ديانة مثل (ملة إبراهيم) أما الاستعمال التركي الحديث لكلمة (ملت) بمعنى الشعب أو الجماعة بدأ في القرن التاسع عشر. جب، بون: المجتمع الإسلامي والغرب،، ص ٢٤٧.

^٢ فدوى أحمد محمود نصيرات: المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر (١٨٤٠-١٩١٨م)، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ٤٣.

^٣ عائشة عبد القادر دباغ: الحياة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٧٢م، ص ٢٦ / نصيرات: المسيحيون العرب،، ص ١١-١٢، ٥٣.

^٤ أبو نهرا جوزيف: المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني (خطاب للجماعات المسيحية في الشرق الأدنى في زمن التحولات) مركز الشرق للبحوث والمنشورات، بيروت، د. ط، ٢٠١٣م، ص ٩٢٨.

^٥ يوسف جميل نعيسة: مجتمع مدينة دمشق ١٧٧٢-١٨٤٠م، جزآن، دار طلاس، دمشق، ط ١، ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٦٢٤.

^٦ مشاقه: مشهد العيان،، ص ٢٦ وما يليها.

^٧ نصيرات: المسيحيون العرب،، ص ٥٦-٥٩ / مؤلف مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سورية، دار قتيبة للنشر، دمشق، ١٩٨٠م، ص ٦٦.

ويمكن الهدف الأساسي لسياسة (إبراهيم باشا) في إرضاء الدول الأوروبية، وتأبيدها لاحتلاله بلاد الشام، ولا سيما أنه قام بفتحها أمام الإرساليات التبشيرية، وهذا ما أدى إلى زيادة عدد الزوار لبيت المقدس، فوصل عددهم في البلاد العربية إلى الآلاف،^١ غير أن سياسته التي اتبعتها ضد المسلمين في أواخر عهده أدت إلى ثورتهم ضده، وقد تعاونوا مع المسيحيين في العديد من المرات، وبعد عودة العثمانيين إلى بلاد الشام سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م، وكنتيجة طبيعية لحركة الإصلاحات التي بدأتها الدولة، واتصالها بالغرب الأوروبي، طرأ على المجتمع في بلاد الشام تغييرات كثيرة، كان أهمها: ظهور طبقة وسطى برجوازية جديدة تألفت من التجار والأطباء والمحامين والمعلمين وأرباب الصنائع والحرف، وقد نمت هذه الطبقة بإطراد على حساب التنظيم الاجتماعي الإقطاعي العسكري الذي كان سائداً لقرون ثلاثة خلت، والذي ميز الطبقة الأرستقراطية التركية الحاكمة عن الرعية العربية الممثلة بالصناع والزراع والتجار والعلماء، وبدأت عناصر هذه الطبقة تشق طريقها إلى المراتب العسكرية والوظائف الإدارية والمناصب، وساعد ظهور هذه الطبقة على تغيير بنية المجتمع وقواه الفاعلة ببطء ودفعه نحو التنظيم البرجوازي. وبتقدم هذه الطبقة الجديدة إلى مراكز القيادة والتوجيه في المجتمع تطورت مبادئها ومثلها الاجتماعية أيضاً تطوراً تدريجياً من شكل الأسرة من الطراز الأبوي القديم، الذي تميز بسلطة الأب المطلقة على أفراد أسرته التي ضمت الأب والأولاد والأحفاد، وكلهم يعيشون تحت سقف واحد إلى الطراز الأوروبي الحديث القائم على تشكيل أسرة صغيرة لا تضم أكثر من (جيلين الأب والأولاد فقط).^٢

وأخذت ملامح التغيير الاجتماعي بالوضوح أكثر في فترة السلطان (عبد الحميد الثاني)، ورغم معارضة المتشدد من رجال الدين وطلبة العلم المحافظين، والذين فعلوا كل ما بوسعهم لمعارضة

^١ نايف الجبوري: موقف نصارى بلاد الشام من الإصلاحات في الدولة العثمانية (١٨٣٩-١٩١٤م)، دار الحامد، عمان، د.ط، د.ت، ص ١٥٠-١٥١

^٢ تمثلت تلك السياسة بنزع السلاح من جميع السكان، إدخال التجنيد الإجباري، والذي رافقته سياسة اعتمدت على تأمين الاحتياجات الغذائية للجيش، وفي سبيل ذلك عمل على مصادرة مؤن السكان والحيوانات التي استخدمها لنقل المؤن هذا أدى إلى الثورة ضده والتي شملت جميع الطوائف. الجبوري: موقف نصارى بلاد الشام،، ص ١٥١.

^٣ لمعرفة المزيد عن تلك الثورات انظر بركات: البطل الفاتح إبراهيم وفتح الشام ١٨٣٢م، مؤسسة هنداوي، القاهرة، د.ط، ٢٠١٢م، ص ١٢٠ وما يليها. / نصيرات: المسيحيون العرب وفكرة القومية،، ص ٥٩.

^٤ كان المسيحيون أكثر الطوائف اتصالاً بأوروبا، وأكثر قدرة على التعامل مع الغرب ومنجزاته الحضارية، وبالمقابل اتخذت الدول الأوروبية من تلك الطوائف المسيحية مبرراً للتدخل في الشام بفضل نظام الملل الذي كان وسيلة مباشرة لتحقيق ما تصبو إليه تلك الدول وقد اتخذت كل دولة حمايتها لطائفة معينة لمعرفة المزيد انظر عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٤٤ وما يليها/ نصيرات: المسيحيون العرب،، ص ٥١ وما يليها.

^٥ طربين: ملامح التغيير الاجتماعي،، ص ١٦-١٧.

تيار الاقتباس من الغرب^١. وقد شمل ذلك التغيير جوانب الحياة الاجتماعية كافة، ففتحت المدارس لتعليم الإناث، وأقبلت معظم الفتيات على العلم^٢.

بعد تلك النظرة الموجزة عن الوضع العام لمسيحيي بلاد الشام سننتقل إلى ذكر أهم طوائفهم:

١. الكاثوليك:

تعدُّ طائفة الكاثوليك أكبر الطوائف عددًا بين الطوائف المسيحية في بلاد الشام، فهي تضم بين جنباتها العديد من الأعراف المختلفة، مثل الموارنة والأورام واللاتين والسريان، وكانت هذه الطائفة مرتبطة في الأساس بروما، وعملت الإرساليات اليسوعية واللاتينية على تقديم الخدمات إليهم كافة، خاصة من الناحية التعليمية والحماية السياسية. في الوقت ذاته مثل الكاثوليك حجر عثرة شديدة الوطأة أمام الإرساليات الأمريكية في محاولتها العمل بين الكاثوليك عموماً^٣.

وفي مقدمة هذه الطائفة يأتي:

- الموارنة: ينسبون لرجل يقال له (مار مارون)^٤ ظهر في بعض نواحي نهر العاصي بسورية في القرن الخامس الميلادي، وقامت حوله العديد من الأساطير. كان هؤلاء قليلي العدد، مراكزهم الأولى في (شمال لبنان) وعند مجيء الفتوحات الإسلامية دخل بعضهم الإسلام بقي آخرون على ديانتهم، وأخذت أحوالهم في التحسن تدريجياً وخاصة في القرن السادس عشر. وكان الموارنة يتبعون الكنيسة الشرقية ثم اتبعوا الغربية، مع الاحتفاظ بطقوس الكنيسة الشرقية، وظلوا يؤدون عبادتهم باللغة السريانية؛ لأنهم ينسبون إلى سريان سورية^٥، ولم يقتصر الوجود الماروني على جبل لبنان فقط؛ بل برز عدد منهم في المدن الشامية مثل دمشق والتي يوجد بها دير ماروني في (باب توما) وفيه دار البطريركية، كما وجد عدد في بعلبك والنيل، وبلغ عدد الموارنة عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م حوالي ٢٢٠٠٠٠ نسمة في بلاد الشام وكان لهم قضاوهم وأحوالهم الشخصية، ومحاكمهم

^١ علي المحافضة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (١٧٩٨-١٩١٤م) الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، ١٩٨٧م، ص ١٦٠.

^٢ على الرغم من إقبال الفتيات على التعليم غير أن أغلبهم اقتصر على الوسط المنزلي يسيطر عليهم الجهل والامية وذلك أن معظم الأهالي استنكروا تعليم الإناث ورفضوا إرسالهم إلى المدارس لمعرفة المزيد انظر الفصل الثالث، ص ١١٠.

^٣ عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٤٥.

^٤ مار مارون ت سنة ٤٠٧م، كاهناً قضى حياته في البراري، لا يأوي إلى منزلاً، من الله عليه بموهبة شفاء الأمراض فذاعت شهرته في كل قطر. لمعرفة المزيد انظر يوسف الدبس: الجامع المفضل في تاريخ الموارنة المؤصل، تحقيق: مارون رعد، نظير عبود، دار نظير للطباعة والنشر، د.م، د.ط، ١٩٩٤م، ج ٩، ص ١٧ ومايليها.

^٥ عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٤٥-٤٦.

الخاصة بهم، والتي يشرف عليها رجال الأكليروس^١ الماروني، و التي تنتظر في قضايا الإرث والزواج والطلاق، وتشرف على إدارة الأوقاف والمؤسسات الخيرية، وتميزت هذه الطائفة بشدة تعلق أبنائها بكنيستهم، فزعماءهم الدينيون هم الزعماء الزمنيون أنفسهم أيضاً، وهذه الصفة الفريدة زادت من قوة الطائفة^٢.

- **الروم الكاثوليك:** انشقوا عن طائفة الروم الأرثوذكس، لذا قاموا باضطهادهم. وكثيراً ما كانت تحدث الخلافات بين الطرفين خاصة قبل اعتراف الدولة العثمانية بهم^٣، وفي عام (١١٣٧هـ/١٧٢٤م) شكل هؤلاء طائفة جديدة وانتخبوا بطريرك^٤ خاص بهم واعترفوا برئاسة البابا، بعد اعتراف الدولة العثمانية بهم في (١٢٤٩هـ/١٨٣٣م).

وكان لبطريركهم وكيل ينوب عنهم في شؤون البطريركية في اسطنبول، وقد لقيت هذه الطائفة مساعدة في أوروبا طوال القرنين السابع والثامن عشر^٥، وقد وقفت الدولة العثمانية إلى جانب الروم الأرثوذكس في صراعهم مع هذه الطائفة، ويعود لكونهم يعدّون الأرثوذكس وطنيين أكثر من الكاثوليك وفي هذا الإطار أصدر السلطان العثماني فرماناً يمنع انضمام أبناء الروم الأرثوذكس والأرمن لطائفة الروم الكاثوليك^٦.

- **السريان الكاثوليك:**^٧ انشقت هذه الطائفة عن الكنيسة السريانية واليعقوبية نتيجة لانتخاب المطران (ميخائيل جروة) بطريركاً يعقوبياً سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م. وقد كان لهم ديران هما (دير ستي مريم)، و(دير التلميذ)، وعرفوا بالسريان اليعاقبة^٨.

^١ اكليروس: لقب هيئة دينية مؤلفة من عدد من رجال الدين المسيحي، مهمتها تفويض الرئيس بالسلطات الممنوحة له، وقد كان لهذه الهيئة دور فعال وخطير في أوروبا في العصور الوسطى الخطيب: معجم المصطلحات،، ص ١٥.

^٢ عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٤٥-٤٨.

^٣ غرايبة: سورية في القرن التاسع عشر،، ص ١١٧.

^٤ بطريرك: لقب يطلق على بعض الرؤساء الدينيين الذين تمتد سلطتهم إلى عدد من الأساقفة. غربال: الموسوعة الميسرة،، مج ١، ص ٢٠٠.

^٥ يعود ذلك لسببين -١- تدخل فرنسا على أنها حامية للكاثوليك في الشرق -٢- إنشاء الهيئة الدعاية الكاثوليكية للإشراف على البعثات الكاثوليكية في الشرق جب هاملتون: المجتمع الإسلامي،، ص ٢٤٤.

^٦ عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٥١.

^٧ ضمت بلاد الشام قديماً عدداً من السريان ذكروا هم عن أنفسهم أنهم وجدوا في الشام منذ النصرانية، ولكن تضاعل عددهم في العصر الحديث بسبب الفتوحات الإسلامية والزلازل والأوبئة التي قضت على العديد منهم انظر أديب فرحات: سوريا ولبنان، المطبعة الوطنية، بيروت، ١٩٢٣، ص ١١١.

^٨ عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٥٢. سليم سوسن: الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د.ط، ١٩٨٥م، ص ١١٧.

- **اللاتين الكاثوليك:** تعود الجذور التاريخية لهم في بلاد الشام إلى عام ٦٩١هـ/١٢٩١م بعد خروج الصليبيين منها، فقد بقيت أعداد قليلة منهم إلا أنهم استطاعوا أن يشكلوا طائفة خاصة بهم ابتداءً من ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م، وكان لهم ثمانية كنائس^١.

٢- الأرثوذكس:

ضمّت العديد من الأجناس التي تنتمي إلى المذهب الأرثوذكسي، وفي مقدمتها الروم الأرثوذكس والأرمن والسرّيان الأرثوذكس، وقد دخل العديد منهم الإسلام وبقي بعضهم الآخر على ديانته. ونتيجة امتزاجهم بالعرب تخلوا عن لغتهم الآرامية لغة السيد المسيح، وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي، وأصبحوا يتكلمون العربية^٢.

- **الروم الأرثوذكس:** هم من أصول عربية وينسبون إلى (الغساسنة) الذين كانوا في بلاد الشام عند الفتح العربي لها، واتبع عدد كبير منهم الكنيسة الأرثوذكسية، التي انقسمت لبطيركيين:

الأولى في القدس، وكان لها مجلس يسمى (سبونند) مكون من بطريرك معين بمرسوم سلطاني، والثانية في دمشق تشرف على مصالح الكنائس الشرقية من صور حتى الأناضول، ويلحق بها أسقفيات الشام وبعلبك وحلب^٣، وكان لهم في دمشق سبع عشرة كنيسة أقدمها (الكنيسة المريمية)، وخلال القرن التاسع عشر رمم الروم الأرثوذكس كنائس عديدة في المدن السورية^٤.

- **الأرمن الأرثوذكس:** أسفرت الحروب المتعاقبة بين الدولتين الفارسية والعثمانية إلى تقسيم أرمينيا بينهما، فأطلق اسم (أرمينيا العثمانية) على ولايتها الستة^٥، وأطلق اسم أرمينيا الفارسية على المنطقة الممتدة بين الضفتين الشرقية والغربية لنهر الرس، وقد استولى عليه الروس منذ عام ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م^٦. أما عن الوجود الأرمني في بلاد الشام فيعود إلى الحكم العربي، عندما كانت مدن الشام مركزاً تجارياً مزدهراً، وقد ارتبطت بمدن عدة في أرمينيا عن طريق التجارة، ومن هنا استوطن

^١ غرابية: سورية في القرن التاسع عشر،، ص ١٢١.

^٢ رياض الريس: المسيحيون والعروبة، دار رياض الريس، لندن، ط ١٢، ١٩٩١م.

^٣ عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية، ص ٣٠٤/ محمد رفيق، محمد بهجة: ولاية بيروت، جزءان، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٢٠٠.

^٤ غرابية: سورية في القرن التاسع عشر،، ص ١١٧/ عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٥٤.

^٥ الأرمن من الأقليات اللغوية الدينية الوافدة على الوطن العربي، وتنتمي لغتهم إلى أسرة الهند أوروبية، وهي لغة مكتوبة ذات تراث ثقافي غني ومدون، ويعيش معظم الأرمن الموجودين في الوطن العربي ببلاد الشام، والتي هاجروا إليها بكثرة بعد المذابح التي تعرضوا لها على يد الأتراك. عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، هامش ١، ص ٥٥.

^٦ تلك الولايات هي: وان، بتليس، خربوط، سيواس، ديار بكر، أرضروم/ عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٥٥.

^٧ محمد رفعت: الأرمن في مصر في القرن التاسع عشر، دار نوبار، القاهرة، د.ط، ١٩٩٦م، ص ٢٨.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

الأرمن في بلاد الشام منذ القرن السادس عشر، فانقسموا في أوائل القرن السابع عشر إلى أرثوذكس وكاثوليك بعد أن كانوا من أتباع الكنيسة اليقونية^١.

- **السرمان الأرثوذكس:** تولى رئاسة هذه الطائفة رئيس أعلى يقال له (بطريرك السريان الأنطاكي الأرثوذكسي) كرسيه الرسمي في (دير الزعفران)، ويخضع لسلطته البيعية بجانب بلاد الشام عدد كبير من بلاد الملبار بالهند، وله أساقفته هناك^٢.

- **الأقباط الأرثوذكس:** وتعود الأصول الأولى للأقباط والأقباش الأرثوذكس في بلاد الشام إلى الهجرات الأولى في منتصف القرن السابع عشر الميلادي بمناسبة تدشين (كنيسة القيامة)^٣، ومنذ ذلك الوقت أصبح لهم أديرة وكنائس بالقدس، منها: (دير السلطان) وهو ملاصق للكنيسة من الناحية الجنوبية، ونتيجة لإخلاصهم للمسلمين في الحروب الصليبية ردت لهم أموالهم وأماكنهم التي صادرها منهم الصليبيون^٤. وظهرت المنازعات بين الأقباش والأقباط على ملكية بعض الأديرة وخاصة الدير المذكور سابقاً، فعهد إمبراطور الحبشة في عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م للقنصل البريطاني في القدس برعاية الأقباش؛ لكن السلطات العثمانية تدخلت بعد ذلك لحسم المسألة لصالح الأقباط^٥.

ب. **اليهود:** عدّ اليهود ثاني ملة من أهل الذمة بعد المسيحيين. سمح السلطان محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٦هـ / ١٤٥١-١٤٨١م) لهم بالاستقرار في استانبول، وعين لهم (حاخام باشي)^٦. وبعد أن طرد اليهود من إسبانيا عام ٨٩٩هـ / ١٤٩٣م أصدر السلطان بايزيد الثاني (٦٨٨-٩١٨هـ / ١٤٨١-١٥١٢م) مرسوماً يقضي بحسن معاملتهم في الدولة العثمانية^٧. في ظل هذه التسهيلات وفد اليهود

^١ عبد الرزاق التنصير في بلاد الشام،، ص ٥٦-٥٧.

^٢ عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٥٦/فيليب دي طرازي: أصدق ما كان عن تاريخ لبنان، جزءان، مطابع جوزيف سليم، بيروت، ١٩٤٨م، ج ١، ص ١٣.

^٣ الأقباط الأرثوذكس: وهي الكنيسة الوطنية المصرية وهي ضمن العائلة الأرثوذكسية التي رفضت مجمع خلقدونية وهي تضم في داخلها الكنائس (القطبية - السريانية - الأرمينية - الحبشية) والفرق بين هذه العائلة والروح الأرثوذكس حول طبيعة السيد المسيح هل هي طبيعة واحدة، أم اثنتان. عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٥٧.

^٤ كنيسة القيامة: القبر المقدس، كنيسة في بيت المقدس، شيدت فوق قبر المسيح، يقال أن السيدة هيلانة هي التي أرشدت إلى مكانها، ومع أنها في حوزة الأرثوذكس. غربال: الموسوعة الميسرة،، مج ٢، ص ١٤٨٩.

^٥ عارف العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ١٩٥١م، ص ٢٥٢.

^٦ عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٥٧.

^٧ حاخام باشي وكان له سلطات واسعة على اليهود في الدولة العثمانية وهي شبيهة بتلك السلطات التي منحها (محمد الفاتح) لبطريرك طائفة الروم لمعرفة المزيد انظر عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٣٠٧-٣٠٨.

^٨ هاملتون: المجتمع الإسلامي،، ج ٣، ص ٤٠٢.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

إلى بلاد الشام، حيث عملوا في التجارة لموانئ الشام، وانقسموا إلى فئتين هما: (أجانب مهاجرون)، و(مستوطنون). وكان الأولون أكثر عدداً من المستوطنين، ومعظمهم يقطنون في القدس، وحيفا، ويافا، وصفد، وطبريا، ودمشق، وحلب، وبيروت، وصيدا^١. سيطر اليهود على التجارة في بلاد الشام، وهذا ما جعلهم من كبار العائلات الدمشقية، حيث أقدم بعضهم على شراء القصور الكبرى وتحويلها إلى كنائس لهم في دمشق، القدس، الخليل، صفد وغيرها^٢.

وقبل أن ننهي الحديث عن الوضع الاجتماعي لا بد من التنويه إلى أنه ومنذ منتصف القرن التاسع عشر للميلاد بدأ الكثير من سكان بلاد الشام الهجرة إلى الخارج، وكان وادي النيل البلد-مصر- أول من استهوى المهاجرين^٣، قبل أن تتوسع اتجاهات الهجرة إلى أوروبا وأفريقيا والأمريكيتين ومن ثم استراليا فيما بعد^٤.

كان هناك مجموعة من الأسباب التي دفعت سكان بلاد الشام إلى الهجرة:

- منها ما هو سياسي ممثلاً بالتدهور الأمني، وحالة عدم الاستقرار التي شهدتها الفترة موضوع البحث، يضاف إليها سياسة الدولة العثمانية تجاه ولايات بلاد الشام وممارسات السلطان عبد الحميد تحديداً، والتي قيدت في عهده الأفكار والأقلام، وانتشرت الجاسوسية، وصودرت الحريات، فأخذ أرباب الأقلام يهاجرون إلى مصر ينشؤون الجرائد والمقالات^٥.
- الدافع الآخر للهجرة هو طائفي، فما شهدته البلاد من نزاعات وحروب طائفية، كانت ذروتها تلك التي حدثت ما بين سنتي ١٢٥٦-١٢٧٧هـ / ١٨٤٠-١٨٦٠م، حيث أثرت بشكل غير مباشر في انعدام الأمن والاستقرار وتدهور المعيشة للسكان؛ مما أدى إلى هجرة الآلاف بحثاً عن أماكن يضمنون فيها الأمان، والتمتع بحق الحياة^٦.

وكان العامل الاقتصادي أهم أسباب الهجرة الشامية، وقد لخص محمد كرد علي الوضع بالقول: "مما ساعد على دوام الهجرة اختلال المجاري الاقتصادية في السلطة العثمانية، ثم استرسال الحكومات

^١ عبد الرزاق: التنصير في بلاد الشام،، ص ٥٨.

^٢ أكرم حسن العلبي: يهود الشام في العصر العثماني من خلال سجلات في المحاكم الشرعية من الوثائق التاريخية بدمشق ٩٩١-١٣٣٦هـ / ١٥٨٣-١٩٠٩م، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، د.ط، ص ٢٠١، ص ١١-١٤.

^٣ بازيل: سورية ولبنان وفلسطين،، ص ١٦٤.

^٤ حتي : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور،، ص ٧٦-٧٧.

^٥ زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، تعليق: شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، د.ط، د.ت، ج ٤، ص ٦٥.

^٦ انطوان ضو: حوادث ١٨٦٠م في لبنان ودمشق، لجنة بيروت الدولية، المحاضرة الكاملة ١٨٦٠-١٨٦٢م، جزءان، مؤسسة مختارات، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٥٤٦.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

العثمانية في إهمال الحركة الاقتصادية بإلقاء الحبل على الغارب...^١ غير أن هؤلاء اندمجوا بالمجتمع المصري، وكان لهم إسهامات مميزة في النهضة التي شهدتها البلاد في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كافة^٢.

مما سبق يظهر أن هناك ارتباط واضح بين السياسة والاقتصاد وقد أثر كل منهما بالآخر، كما ألقى الاثنان بظلالهما على الحياة الاجتماعية، فالاقتصاد بما فيه صناعة وزراعة وتجارة وطرق مواصلات هو الدعامية الأساسية لوجود أي مجتمع واستمراره وبقائه وتطوره.

^١ كرد علي: خطط الشام،، ج ٤، ص ٢٥١.

^٢ من هؤلاء المهاجرين نذكر أديب إسحق، الكواكبي، شبلي شميل، محمد رشيد رضا وآخرون

الفصل الثاني: نشأة الحركة التاريخية وتطورها في القرن التاسع عشر

أولاً: ما هو التاريخ

ثانياً: فنون الكتابة التاريخية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر

١. المصنفات التاريخية المحلية

٢. كتب سير وتراجم

٣. تأريخ الاحداث

ثالثاً: المنشآت التعليمية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر

أهم المراكز الفكرية في بلاد الشام ١. التعليم التقليدي

أ. كتاتيب

ب. مدارس دينية تقليدية

٢. التعليم الحديث

أ. تعليم عسكري

ب. تعليم مدني

- مدارس رسمية - مدارس خاصة

نشأة الحركة التاريخية وتطورها في القرن التاسع عشر:

اتصفت الحركة التاريخية عند العرب بالعديد من المزايا تنوعت باختلاف المناطق والثقافات التي نشأت بها.

قبل التطرق والبحث عن مزايا الحركة التاريخية وأهم الموضوعات التي أُرِخَ لها مؤرخو بلاد الشام في القرن التاسع عشر ومنهجهم وأسلوبهم المتبع في الكتابة التاريخية، هناك مجموعة من الأسئلة تطرح نفسها لابد من الإجابة عنها حتى نتمكن من تكوين صورة واضحة وسليمة عن التأريخ في بلاد الشام، وهي كالتالي: ما هو التأريخ؟ ما المقصود بالحركة التاريخية؟ كيف نشأت؟ متى شرع العرب بتدوين تاريخهم؟ ما أبرز المراحل التي مرت بها هذه الحركة؟ ما التطورات التي شهدتها حتى وصلت إلى ما هي عليه؟ ما هي أهم الموضوعات التي أُرِخَ لها مؤرخو بلاد الشام؟ وما هو أسلوبهم في التأريخ؟.

أولاً: ما هو التأريخ:

لقد تناولت العديد من الكتابات القديمة منها والحديثة مفهوم التأريخ وعالجته من زوايا ومنطلقات مختلفة سنستعرض بعض جوانبها حتى نتمكن من تلخيص مفهوم محدد لهذه الكلمة.

تعريفه: اصطلاحاً هو الزمن والحقب^١، أما لغة البداية مع ماصرح به (السخاوي ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م)^٢ في كتابه (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) معرفاً معناه بالقول: (التأريخ لغة: هو الإعلام بالوقت، يقال أرخت الكتاب ورخته أي بينت كتابه)^٣ في حين عرّفه (الجواهري ت ٣٩٨هـ/ ١٠٠٦م)^٤، التأريخ (تعريف الوقت، والتورخ مثله فيقال: أرخت وورخت)^١

^١ فرانس روزنثال: علم التأريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م، ص ٢٣.

^٢ السخاوي (٨٣١-٩٠٢هـ/١٤٢٧-١٤٩٧م) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي، مؤرخ حجة، وعالم بالتفسير والحديث، أصله من سخا (من قرى مصر) مولده في القاهرة، ووفاته بالمدينة، ساح في البلدان سياحة طويلة من مؤلفاته (الضوء اللامع مع أعيان القرن التاسع) و(الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ). انظر الزركلي: الأعلام،، ج ٦، ص ١٩٤-١٩٥.

^٣ محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: محمد عثمان الخشت، القاهرة، مكتبة ابن سينا، د.ت، ص ١٩/ شوقي الجمل: علم التاريخ، نشأته وتطوره، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط ١، ١٩٨٢م، ص ٩٢٨.

^٤ الجواهري: إسماعيل بن حماد ت ٣٩٨هـ/١٠٠٦م) كان من أعاجيب الزمان، ذكاء وفطنة وعلماً باللغة العربية، له مصنفات أشهرها كتاب الصحاح في اللغة، اعترته في آخر حياته وسوسة فصعد إلى سطح جامع نيسابور وعمل لنفسه جناحين وحاول الطيران فسقط ميتاً سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٦م. ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج ١، ص ١٥١.

وقد وافقه على ذلك كلٌّ من (الجواليقي ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)^٢ و (ابن منظور ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)^٣ وزادوا عليه (اشتقاقه من الأرخ يعني بفتح الهمزة وكسرهما، وهو الأنثى من بقر الوحش؛ لأنه يحدث كما يحدث الولد)^٤. وقد فرّق (الأصمعي)^٥ بين اللغتين فقال: (بنو تيم يقولون: ورخت الكتابة تورخاً، وقيس تقول أرخته تأريخاً)^٦. ومن خلال هذا التفسير اللغوي للتأريخ يتّضح أنّ معناه مرتبط بالوقت، وهذا متفق عليه بين المؤرخين، غير أنّ الشيء الذي كان موضع خلاف يكمن في أصل كلمة تأريخ فبعضهم قال: (إن اللفظ مشتق من الكلمة السامية التي تعني القمر أو الشهر وهي من الأكادية أرخو من العبرية يرخ)،^٧ في حين ذكر آخرون أنّ هذه الكلمة عرب من اللفظ الفارسي (ماه روز) ومعناه حساب الشهور والأيام عن طريق ملاحظة القمر^٨، في حين ردها بعضهم إلى العربية معتبراً إيّاها مفردة من مفردات لغة تيم وقيس^٩. لكن الملاحظ أنّ معظم المؤرخين اتفقوا على أنّ

^١ إسماعيل بن حماد الجواهري ت ٣٩٨هـ/ ١٠٠٦م): الصحاح، تحقيق: محمد عبد الغفور العطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٢، د.ت، ج ١، ص ٤١٨.

^٢ الجواليقي ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي البغدادي اللغوي والأديب المشهور ولد سنة ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م وكان إماماً في فنون الأدب كافة أشهر مؤلفاته (المعرب في الكلام الأعجمي)، و(شرح الكاتب) و(كتاب العروض) الحموي: معجم الأدباء،، مطبعة أمين هندية، مصر، ط ٢، ١٩٢٣، ج ٧، ص ١٩٧-١٩٩.

^٣ ابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ/ ١٢٣٢-١٣١١م) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، صاحب (لسان العرب) الإمام اللغوي الحجة من نسل رويغ بن ثابت الأنصاري ولد بمصر وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ثم ولي مصر وتوفي فيها ترك نحو خمسمئة مجلد أشهر كتبه (لسان العرب). الزركلي: الأعلام،، ج ٧، ص ١٠٨.

^٤ الجواليقي: المعرب في الكلام الأعجمي، تحقيق: خليل عمران المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ٤٩/ جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، ١٥ مجلد، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، مج ٣، ص ٤-٥.

^٥ الأصمعي: عبد الملك بن قريب بن علي بن صمع أبو سعيد الأصمعي الباهلي كانت ولادته سنة اثنين وقيل ثلاث وعشرين ومائة، وتوفي في صفر سنة ست عشرة وقيل أربع عشرة، كان المذكور صاحب لغةً ونحو، وإماماً في الأخبار والنوادر والغرائب، له العديد من التصانيف منها (خلق الإنسان) و(الأجناس) و(الهمز) و(والأنوار) وغيرها. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، مج ٣، ص ١٧٠، ١٧٥، ١٧٦.

^٦ السخاوي: الإعلان بالتوبيخ،، ١٩-٢٠.

^٧ محمد أحمد ترحيني: المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، ص ٧.

^٨ ابن منظور: لسان العرب،، مج ٣، ٤-٥. السخاوي: الإعلان بالتوبيخ،، ص ١٩ / حمزة حسن الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم السلام، د.ت، د.م، ص ٨ / أحمد السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، دار الوفاء، المنصورة، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٢٠.

^٩ السخاوي: الإعلان بالتوبيخ،، ص ١٩ / الصولي: أدب الكتابة،، ص ١٨٠.

مصدرها هو عربي، نشأ في رحم المنطقة العربية، وقد تطوّرت تلك الكلمة من الزمن لتأخذ معانٍ ودلالات كثيرة، واختلفت باختلاف الأغراض التي استخدمت من أجلها^١.

فها هو الطبري ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م^٢ يعرفه في كتابه: "تاريخ الأمم والملوك الماضين، وجمل من أخبارهم، وأزمان الرسل والأنبياء، ومقادير أعمارهم، وأيام الخلفاء السالفين، وبعض سيرهم ومبالغ ولاياتهم، والكائن الذي كان من الأحداث في إعمارهم"^٣.

أما (ابن خلدون ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)^٤ فذكره بالقول: ".... بأنه علم يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يروونه في أحوال الدين والدنيا فيه"^٥.

بينما جعل (ابن عساكر ت ٥٧١هـ/ ١٧٥٠م)^٦ في تأريخه "... لكل مملكة وأهل ملة تأريخ، وجماع القول في تواريخهم أنهم يؤرخون بالوقت الذي تحدث فيه حوادث مشهورة عامة"^٧ في حين رأى

^١ ترجيني: المؤرخون والتأريخ عند العرب،، ص ٣٥.

^٢ الطبري: ولد محمد بن جرير سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م في مدينة آمل في طبرستان، سمع خلفاً كثيراً من أهل العراق والشام ومصر، استوطن بغداد وعرف عنه حفظه لكتاب الله وعلمه بالقراءات والمعاني وبأقوال الصحابة والتابعين، ألف كتباً كثيرة في التفسير والفقه والتاريخ توفي سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م. انظر حافظ أبي بكر أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، مج ٢، ص ١٦٢.

^٣ محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م: تاريخ الأمم والملوك، ٦ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، مج ١، ص ١٣.

^٤ ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ/ ١٣٣٢-١٤٠٦م) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الخضرمي، الإشبيلي الأصل التونسي، ثم القاهري، المالكي، عالم، أديب، مؤرخ، اجتماعي، حكيم، ولد بتونس ونشأ بها ومن مؤلفاته (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر وغيرها من المؤلفات. الزركلي: الأعلام،، ج ٣، ص ٣٣٠.

^٥ عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون (الجزء الأول من كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر)، تحقيق ا.م عقيقي كاترمبر، طبعة باريس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢، مجلد ١، ص ٨.

^٦ ابن عساكر (٤٩٩-٥٧١هـ/ ١١٠٥-١١٧٥م) هو علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي، المؤرخ الحافظ الرسالة، مولده ووفاته في دمشق، ومن مؤلفاته (تاريخ دمشق الكبير) يعرف بتاريخ ابن عساكر، معجم الصحابة ومؤلفات أخرى كثيرة. الزركلي: الأعلام،، ج ٤، ص ٢٧٣.

^٧ علي بن حسن بن هبة الله الشافعي ابن عساكر ت ٥٧١هـ/ ١١٧٦م: تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها حلها من الأماثل وأخبار بنوآحيتها من واديها وأهلها، تصحيح: محمد بن رزق بن الطرهوني، ٢٠ جزءاً، نسخة المكتبة الظاهرية، دار البشر، د.ط، د.ت، ج ١، ص ١٠.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

(النويري ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)^١ بأنه: " حاجة لكل فئات المجتمع بدءاً بالوزير والقائد والأمير وينتهي بالفقير... إلخ)^٢. وعليه نجد أنّ التاريخ والوقت مرتبط أحدهما بالآخر، وهما الاثنان من الحاجات الضرورية التي لا يمكن للبشرية الاستغناء عنها.

السؤال التالي الذي يطرح نفسه، ما هو التأريخ الذي استندت عليه الأمة الإسلامية؟

قيل أنه لما قدم الرسول (ص) إلى المدينة أمر بوضع التأريخ، لكن القول المشهور أن الخليفة عمر بن الخطاب هو الذي أمر بوضعه لأسباب كثيرة، منها تلك الرواية^٣ التي تقول إنه دفع إلى عمر بن الخطاب صك محلة في شعبان، فقال: أي شعبان هذا الذي نحن فيه أم الذي هو آت؟ ثم جمع وجوه الصحابة، وقال: إنّ الأموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت، فكيف التوصل إلى ما نضبط ذلك؟ فقيل يجب أن نتعرف ذلك من رسوم الفرس، فبعد ذلك استحضر الهرمزان وسأله عن ذلك فقال: إن لنا حساباً نسميه ماه روز، ومعناه حساب الشهور والأيام فعربوا الكلمة فقالوا: مؤرخ، ثم جعلوا مصدره التأريخ، واستعملوه ثم طلبوا وقتاً يجعلونه أصلاً لتأريخ دولة الإسلام فاختلفوا، ثم اجتمعوا على أن يكون مبدأ سنينهم من سنة الهجرة^٤، فكانت نتيجة ذلك وضع التأريخ؛ أي: (التقويم) الذي اتخذ من هجرة النبي من مكة إلى المدينة تاريخاً لدولة الإسلام؛ لأنه (وقت لم يختلف فيه أحد؛ ولأنها فرقت بين الحق والباطل. وذلك سنة سبع عشرة وثمانية عشرة من الهجرة، وقدموا التأريخ على الهجرة بشهرين وجعلوه من المحرم)^٥.

^١ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد المعروف بالنويري ولم يعثر له على تاريخ مولد، درس بالقاهرة وأزهرها تخصص في دراسة الحديث والتاريخ والأدب أهم مؤلفاته (نهاية الأرب في فنون الأدب) وغيرها من المؤلفات. محمد عبد الله عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٤م، ص ٦٢.

^٢ أحمد بن عبد الوهاب النويري ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م: نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣٨م، ج ١٣، ص ٢.

^٣ روى تلك الرواية فرات بن سلمان عن ميمون بن مهران. انظر حمزة بن الحسن الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء،، ص ٨.

^٤ الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض،، ص ٨.

^٥ الصولي: أدب الكتابة،، ص ١٧٩ / السخاوي: الإعلان بالتوبيخ،، ص ٥٠٩ - ٥١٣ / ابن عساكر: تاريخ دمشق،، ج ١، ص ١٠ / أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي القرماني ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م: أخبار الدول وأثار الأول في التأريخ، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٤.

فأصبح هذا التقويم عنصراً حيوياً في نشأة الفكرة التأريخية، ومنذ ذلك الوقت أصبح توقيت الحوادث (تأريخها) هو العمود الفقري للدراسات التأريخية^١.

وقد تطوّر مدلول الكلمة فيما بعد، فأصبحت تطلق على الكتب التأريخية أول كتاب حمل اسم التاريخ هو كتاب عوانة بن الحكم (ت ١٤٧هـ / ٧٦٤م)^٢ بكتابه المسمى (التاريخ)، ثم كتب هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى ٢٤هـ / ٨١٩م)^٣ كتاب التاريخ، ثم انتشرت هذه الكلمة، واحتلت عناوين العشرات من الكتب^٤.

أما بالنسبة للتاريخ عند العرب وبداية تدوينهم له نذكر: نشأ التاريخ مرتبطاً بالمكان والزمان اللذين يعدان من العناصر الأساسية التي كونته وساهمت في ظهوره^٥، وإدراكه للواقع الجديد المعاش. هكذا كان العرب في تاريخهم، لكل جماعة منهم تاريخها الخاص وطريقها بمقدار سويتها الحضارية فقد عاشوا بداية في شبه الجزيرة العربية متوزعين حول مراكزها الحضارية في مرحلة ما قبل الإسلام، وكان لكل قبيلة منهم أخبار ومرويات خاصة بهم تركوا بعضاً منها على جدران معابدهم ومقابرهم كما فعل عرب اليمن الذين كتبوا بلغة الجنوب ويخطهم المسند، وتركوا روايات ذات طابع أسطوري^٦.

ولم يكن عرب الشمال بمعزل عن هذا الأمر؛ فقد أوردوا أخبارهم بأسلوب يشبه القصص مع استخدام نسب أوفى من الشعر، وذلك لتقوية تأثير القصة من الروايات الشفوية التي تطورت حتى أصبحت جزءاً من الأخبار التأريخية^٧، لتعرف فيما بعد بعلم (أيام العرب) الذي تطور ومرّ بالعديد من

^١ عبد العزيز الدوري: نشأة علم التأريخ عند العرب، مركز زيد للتراث والتاريخ، الإمارات، د. ط ، ١٢٤٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٢١.

^٢ عوانة بن الحكم بن عياض بن روز بن عبد الحارث الكلبي، يكنى أبا الحكم من علماء الكوفة، كان راوياً للأخبار، عالماً بالشعر والنسب فصيحاً جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها توفي سنة ١٤٧هـ / ٧٦٤م. محمد بن إسحاق النديم ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م): الفهرست، منشورات مطبعة الاستقامة، القاهرة، د. ط، ١٩٩٩م، ص ١٤٠.

^٣ الكلبي: هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م) هشام بن محمد أبو النصر بن السائب بن بشر الكلبي، أبو المنذر، مؤرخ عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها كأبيه، كثير التصانيف من أهل الكوفة ووفاته فيها له نيف ومئة وخمسون كتاباً فقد أكثرها، منها (جمهرة النساب) و(ألقاب قريش) (ألقاب اليمن) وغيرها/ ابن النديم: الفهرست،، ص ١٤٦.

^٤ شاعر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون (دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام)، ٣ أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٨م، ج ١، ص ٥١-٥٢.

^٥ السخاوي: الإعلان بالتوبيخ،، ص ٢١.

^٦ الدوري: نشأة علم التأريخ،، ص ١٥-١٦/ حسين نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، بيروت، منشورات أقرأ، ط ٢، ١٩٨٠م، ص ٨٩-٩٠، ولقد اهتم وهين بن منبه بتدوينها في كتابه التيجان في ملوك حمير، تحقيق، مركز الأبحاث و الدراسات اليمنية، صنعاء، ط ١، ١٩٧٩م، ص ٣٠ وما تلاها.

^٧ الدوري: الأعمال الكاملة (نشأة علم التأريخ عند العرب، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، د. ط، ١، ٢٠٠٥، ص ١٤-١٦، / وانظر أيضاً عفت محمد الشرقاوي: المدخل إلى التاريخ الإسلامي، بيروت، دار العودة، د. ت،

من المراحل، وقد ذكره العديد من المؤرخين، منهم (حاجي خليفة)^١ الذي عرف هذا العلم بقوله: (علم يبحث فيه عن الوقائع العظيمة والأحوال الشديدة بين القبائل، والعلم المذكور ينبغي أن يجعل فرع من فروع التواريخ)^٢. ويظهر الإسلام بدأت مرحلة جديدة ارتبطت خلالها الرواية التاريخية بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً، وبالنظرة العالمية المتمثلة في توالي النبوءات والتي كان لها أثرها العميق، فقد كانت شخصية النبي محمد (ص) محور اهتمام المؤرخين، وحافزهم على الكتابة التاريخية فانطلقت من السيرة إلى تتبع أخبار غزواته وأصحابه^٣. يضاف إلى هذا الأمر رغبة المؤرخين في التعرف على الأمم السابقة كما جاء ذكرها في القرآن الكريم^٤، وأخذ العبرة والعظة منهم^٥، كما دفعتهم حماسهم لتسجيل المتغيرات التاريخية التي واكبت ظهور الإسلام وقيام دولتهم المترامية الأطراف، مع ما تم من فتوحات واسعة في مناطق كثيرة واحتكاكهم بأجناس وفئات جديدة^٦. كما دفعت الحاجة الحكام إلى الطلب من المؤرخين للبحث في التاريخ رغبة للإفادة منهم في عمل دواوين الدولة. كل هذه الأشياء مجتمعة تعد البداية الأولى لظهور علم التأريخ و التدوين التاريخي الذي تركز في مدرستين أساسيتين:

الأولى: مثلها الاتجاه الإسلامي والرغبة في التعمق بمفاهيم الإسلام وسيرة الرسول الكريم ممثلاً بمدرسة المدينة، والتي رفع شعارها أجيال من المؤرخين من أبان بن عثمان ت ١٠٥هـ/ ٧٢٥م^٧ إلى

ص ١٤٢-١٤٣ / محمد فتحي عثمان: المدخل إلى التاريخ الإسلامي، بيروت، دار النفائس، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٨٨٨م، ص ١١٥ وما تلاها.

^١ حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله كاتب حلي المعروف بالحاج خليفة مؤرخ باحث تركي الأصل مستعرب مولده ووفاته في القسطنطينية، تولى أعمالاً كتابية في الجيش العثماني ذهب مع أبيه إلى بغداد حج وزار خزائن الكتب، شهد حرب كريت انقطع في سنواته الأخيرة إلى التدريس من كتبه (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلدان، وتقويم (التواريخ) وغيرها من الكتب. / الزركلي: الأعلام،، ج ٧، ص ٢٣٦-٢٣٧.

^٢ مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، اعتنى به: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ج ١، ص ٢٠٤.

^٣ عثمان: المدخل إلى التاريخ،، ص ١٢١.

^٤ فؤاد سيزاكين: تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي، جزأين، الرياض، د.ط، ١٩٩١ م، ج ٢، ص ٥-١٠.

^٥ النديم: الفهرست،، ص ٨٩٠ / عبد العليم عبد الرحمن خضر: المسلمون وكتابة التأريخ، فيرجينيا، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٩٥.

^٦ خضر: المسلمون وكتابة التاريخ،، ص ٩٥.

^٧ أبان بن عثمان: أبان بن عثمان بن عفان الأموي روى عن أبيه، شهد الجمل مع عائشة (رضي الله عنها) وكان الثاني من المنهزمين، ولي المدينة لعبد الملك، من فصحاء الإسلام وممن عرفوا بالزهد، أصابه الفالج قبل موته وتوفي سنة ١٠٥هـ / ٧٣٢م / عبد الحي بن أحمد ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ج ١، ص ١٣١.

الزهري ت ١٢٤هـ/٧٤١م^١ مروراً بابن إسحاق ت ١٥١هـ/٧٦٨م^٢، لتتكامل مع أعمال كل من الواقدي ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م^٣، وابن سعد ت ٢٣٠هـ/٨٤١م^٤. ولقد اهتمت بالبحث في ميدان المغازي وعلم الحديث وأسرة الرسول الكريم (ص)، ثم الصحابة من المهاجرين والأنصار لتتابع إلى التابعين وغيرهم^٥.

والثانية مثلها القبلي وقد تنامي هذا الاتجاه مع التجمعات القبلية واستقرارها في مناطق وأمصار جديدة، ومع نشأة الارستقراطية العربية التي توطنت في البصرة والكوفة، ومنها إلى مناطق عديدة^٦. وفي تلك الأمصار ظهرت طبقة من الإخباريين مُنْشِئة مدرسة العراق التاريخية التي اهتمت بدراسة أيام العرب

^١الزهري: ولد محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب سنة ٥٨هـ/٦٧٧م، كان عالماً بنسب قومه من أهل العرب، رأى عشرة من الصحابة رحل إلى دمشق ولازم عبد الملك بن مروان والأسرة الأموية اشتهر بعلم القرآن والسنة والنسب توفي ١٢٤هـ/٧٤١م. / أحمد بن محمد ابن خلكان ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج ٤، ص ١٧٧.

^٢ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المطلبي من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة، من علماء السير والمغازي من أهل بغداد حيث قدم إليها ونزلها حتى وفاته سنة ١٥١هـ/٧٦٨م. كانت له حظوة عند الخلفاء وكتب كتاباً عن السيرة أخذ عنه المؤرخون فيما بعد؛ الزركلي: الأعلام، ج ٦، ص ٢٨.

^٣الواقدي: ولد محمد بن عمر بن واقد سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م، مولى بني هاشم وقيل بني سهم بن أشلم، كان عالماً له تصانيف في المغازي وكتاب في الردة تولى القضاء بشريقي بغداد توفي سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م. / ابن النديم: الفهرست،، ص ١٥٠.

^٤ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع مولى بني هاشم، سكن بغداد وصنف الطبقات الكبرى، كان كاتباً للواقدي عرف بكثرة بكثرة العلم والحديث وعلمه بالفقه توفي في بغداد سنة ٢٣٠هـ/٨٤١م / عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العربية، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج ١١، ص ١٦١.

^٥الجمال: علم التأريخ نشأته وتطوره،، ص ٤١-٤٣ / السلمي: منهج كتابة التاريخ،، ص ٢٠.

^٦من هذه المناطق انطلق هذا الاتجاه من البصرة والكوفة إلى الجزيرة وإيران وخراسان والهند وتركستان. ترحيني: التاريخ والمؤرخون،، ص ٣٨.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وتراثهم وأنسابهم^١ مثلها أخباريون كثر أمثال: أبي محنف ت ١٥٧هـ/٧٧٣م^٢ وسيف بن عمر ١٨٠هـ/٧٩٦م^٣ لتبلغ أوج ذروتها ونشاطها مع أعمال المدائني ت ٢٢٥هـ/٨٣٩م^٤.

وقد ساد هذان الاتجاهان في القرنين الأول والثاني للهجرة/السابع والثامن للميلاد؛ ولكنهما سرعان ما التقيا في اتجاه واحد في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد؛ لينتجا منهجاً واضح الأهداف والمعالم للكتابة التاريخية^٥. احتك روادها بمن جاورهم من الأمم واطلعوا على علومهم، وأنتجوا فيما بعد بعد كتابات موسوعية تناولت الخليقة ككل حتى زمانهم^٦، ومن هؤلاء الرواد البلاذري ت ٢٧٩هـ/٨٩١م^٧، والطبري ت ٣١٠هـ/٩٢٢م الذي مثل قمة التطور الذي وصل إليه العرب في مرحلة التكوين والنشأة.

هذا موجز عن الحركة التأريخية (نشأتها تطورها وأهم مدارسها). ننتقل الآن إلى مدرسة الشام لتتعرف على البواكير الأولى لظهور هذه المدرسة والتطور الذي شهدته من حيث المنهج والأسلوب وأهم الموضوعات التي أرخ لها مؤرخو هذه المدرسة في البدء، وصولاً إلى القرن التاسع عشر موضوع بحثنا.

الأصول الأولى لهذه المدرسة أموية، فحين انتقلت الخلافة مع بني أمية إلى الشام وحولها ملكاً مطلقاً، أراد هؤلاء معرفة سير الملوك السابقين، كما دفعتهم حاجتهم لضبط نظامهم الإداري والعسكري

^١ ترحيني: التاريخ والمؤرخون،، ص ٣٨ / عثمان: المدخل إلى التاريخ،، ص ١٢٠ / نصار: نشأة التدوين التاريخي عند العرب،، ص ٨٩ / الدوري: نشأة علم التاريخ،، ص ٥٠.

^٢ أبو محنف: لوط بن يحيى ابن سعد بن مخنف بن سليم الأزدي، كان من أصحاب علي عليه السلام، روى عن النبي (ص) وصحبه توفي سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م وله من الكتب الردة، فتوح الشام، وكتب أخرى كثيرة. ابن النديم: الفهرست،، ص ١٤٢.

^٣ سيف بن عمر سيف بن عمر: أحد أصحاب السير والأحداث له من الكتب كتاب الفتوح الكبير، الردة، كتاب الجمل وغيرها من الكتب، كوفي الأصل والنشأة إلا أنه توفي في بغداد سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م. ابن النديم: الفهرست،، ص ١٤٣.

^٤ المدائني: ولد علي بن محمد بن عبد الله مولى سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف في المدائن سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م ثم انتقل منها إلى بغداد فلم يزل بها حتى وفاته سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م. مؤلفاته كثيرة منها الخلفاء والمغازي. الحموي: معجم البلدان،، ج ٥، ص ٢٥٣.

^٥ ترحيني: التاريخ والمؤرخون،، ص ٧٤.

^٦ أنطوان ضومط: التأريخ في العصور الوسطى الإسلامية، دار الحداثة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٧٠-١٠٣ / جب: علم التاريخ، ترجمة: خورشيد وآخرون، دار الكتاب، لبنان، ط ١، د.ت، ص ٥٨-٥٩.

^٧ البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر بن داود من أهالي بغداد، سمع خلقاً كثيراً في أنطاكية والعراق وسمع من المدائني وابن سعد، كان أديباً راوية. له كتب جيدة منها البلدان الصغير، البلدان الكبير، جمل نسب الأشراف، وكتاب عهد أزدشير. الحموي: معجم الأدباء،، ج ٢، ص ٢٣٦.

لمعرفة أمر الفتوح والقبائل وعلاقاتهم مع بعضهم وقيمتهم السياسية والاجتماعية.....، وقد توفر للأمويين من يروي لهم ذلك فكانت لهم مدرستهم الخاصة التي استقطبت منذ بدايتها عدداً كبيراً من العلماء، وذلك يعود إلى الجاذبية السياسية للعاصمة من جهة، ورغبة البيت الأموي في الثقافة التاريخية بدءاً من معاوية حتى آخر الأمويين. هذان الأمران هما اللذان فتحا الطريق أمام هذه المدرسة التي عنيت بالأنساب والتاريخ الجاهلي (عهد الرسالة والفتوح على السواء)، فكانت وسطاً في هذه المواد بين مدرستي (المدينة والعراق)، غير أنها تميّزت عنهما بأمر الفتوح والمغازي والمقاسم وتخصصت بها، فقد اتجهت مدرسة الشام للتخصص (بالتأريخ) وظهرت بهذا المعنى قبل المدرستين السابقتين كما كان معروفاً لدى الناس في ذلك العصر اختصاص الأيام والأنساب، وقد عبر عن ذلك بعض المؤرخين بالقول: (من أراد الإسناد والحديث ... فعليه بأهل المدينة، ومن أراد المناسك والعلم بها..... فعليه بأهل مكة، ومن أراد المقاسم وأمر الغزو فعليه بأهل الشام)^٢.

وقد مهد لظهور مدرسة الشام عدد من الرواة كان منهم بعض الصحابة الذين اشتركوا بالفتوح أمثال: عبادة بن الصامت^٣ وجاء من التابعين وتابعيهم من عرف بعد ذلك برواية الأخبار التاريخية في الشام منهم عبد الرحمن بن جبير^٤، وغيره، وقد تلا هؤلاء وظهر معهم عدد من الرواة المؤلفين كانوا رجال المدرسة الأوائل، وبعضهم ليسوا من الشام؛ لكنهم قدموا إليها تجذبهم دعوة الخلفاء^٥ أو بلاطهم أو رغبتهم في معرفة التاريخ، ونذكر منهم عبد بن شربة الجرهمي^٦، عروة بن الزبير العوام^٧، الزهري محمد بن مسلم بن شهاب.

^١ شاكر: التاريخ والمؤرخون،، ج ١، ص ١١٧.

^٢ ابن عساکر: تاريخ دمشق،، ج ١، ص ١١٢ / شاكر: التاريخ والمؤرخون،، ج ١، ص ١١٩.

^٣ عبادة الصامت: (٣٨ق.هـ-٣٤هـ / ٥٨٦-٦٥٤م)، عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، صحابي من الموصوفين بالورع، شهد العقبة، ثم حضر فتح مصر، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين، مات بالرملة، روى ١٨١ حديثاً اتفق البخاري ومسلم على ستة منها، ابن سعد: الطبقات، مج ١، ص ٧٢٦.

^٤ عبد الرحمن بن جبير: امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف، شهد بيعة العقبة، وغزوة بدر. محمد ابن سعد: الطبقات، عني بتصحيحه: أدوارد دسحو، مطبعة بريل، ليدن، د.ط، د.ت، مج ١، ص ٦٥٣.

^٥ من هؤلاء الخلفاء الذين لعبوا دوراً هم معاوية فهو أول من سأل في التأريخ واستقدم العلماء إليهم يسألونهم من أمر بالتدوين ثم عبد الملك وابنه الوليد ثم هشام بن عبد الملك. شاكر: التاريخ والمؤرخون،، ج ١، ص ١٢٣.

^٦ عبد بن شربة الجرهمي: عالم مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام وعرف الرسول الكريم استدعاه معاوية إلى بلاد الشام الشام فقدم عليه وجعل الخليفة يسأله أسئلة تكشف اهتمامات الناس العامة وجعل عبيد يقص ما يعرف من أخبار الماضين والكوائن وتشعب الأنساب والأخبار المتقدمة فأمر معاوية أن يدون ذلك وينسب إلى عبيد العديد من الكتب منها (الأمثال) و(كتاب الملوك وأخبار الماضين). ابن النديم: الفهرست،، ص ١٣٨.

^٧ عروة بن الزبير العوام: ولد حوالي سنة ٢٣هـ، وتوفي ٩٤هـ محدث وفقهه، بل هو أحد فقهاء المدينة السبعة، أول من ألف في المغازي، أخذ عنه ابن إسحق، والواقدي، والطبري. شاكر: التاريخ والمؤرخون،، ج ١، ص ١٥٢.

اتجهت هذه المدرسة منذ أواخر القرن الثاني وخلال القرن الثالث الهجري في اتجاهين: الأول اتجه نحو رواية التاريخ الأموي ومناقبه كتب بأقلام الأمويين أو المتعصبين لهم^١، والثاني رواية المغازي وفيها بعض الصدى الديني، كما أن فيه ظلاً من الرفض للعباسيين بإثبات أعمال الرسول تجاه أعمالهم^٢. غير أن هذين الاتجاهين ضمرا في القرن الرابع عشر الهجري ليظهر بدلاً منهما اللون المحلي في التدوين التاريخي، وتظهر مدرسة الشام الإقليمية على أيدي مؤرخين يهتمون بأخبار العلماء المحليين ومحدثي المدن الشامية وأخبارهم.

ومع بداية القرن الثامن الهجري/ الثاني عشر للميلاد شهدت كتابة التاريخ في بلاد الشام تطوراً هاماً، إذ غدا الاهتمام بكتابة فضائل المدن وتدوين أحوالها ووصف خططها وتراجم أشهر علمائها جزءاً من اهتمامات حركة التاريخ، وتمثل ذلك بكتاب (تاريخ دمشق لابن عساكر).

كما وضع خليل أبيك الصفدي^٣ خطة نموذجية لتنظيم كتب (التراجم^٤) شاع اعتمادها على من جاء بعده من كتاب السير؛^٥ ليلقي فن التراجم بظلاله على الكتابة التاريخية طوال الحكم المملوكي، ولتشهد تلك الكتابة إبان العهد العثماني اهتماماً واضحاً من قبل العلماء في مختلف الحواضر والأقاليم العربية، ولتنوزع كتابتهم ما بين التقليد لسابقيهم من المؤرخين، وبين النزوع نحو التجديد واستخدامه أبواباً جديدة ركزت على الإطار المحلي الذي عني بتفاصيل الحياة العامة وبعض السير، إما بشكل أحداث مؤرخة أو في صورة الكتابة اليومية لأحوال بعض المدن والأقاليم العربية. وتبعاً لذلك فقد ورث علماء بلاد الشام في القرن الثامن عشر اهتمامات سابقيهم وجاء تأليفهم امتداداً لأولئك السلف، وعبرت كتبهم عن إحساس عميق بالذات في عصر اتسم بحالات من الفوضى

^١ من هؤلاء سعيد بن يحيى، خالد بن هشام. شاعر: التاريخ والمؤرخون،، ج ١، ص ١٣٤

^٢ نذكر منهم: النفلي الحراني، ابن عائذ وأخيراً أبو زرعة، شاعر: التاريخ والمؤرخون،، ج ١، ص ١٣٤.

^٣ خليل أبيك الصفدي: بن عبد الله الصفدي أبو الصفا، الشافعي، صلاح الدين، ولد في صفد في فلسطين، سنة ست وتسعين وستمائة، تعلم في دمشق، فعانى صنعة الرسم، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان وكتب الخطط، تولى منصب ديوان الإنشاء في صفد وحلب ومصر، ثم وكالة بيت المال في دمشق، توفي بالطاعون سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، أهم مؤلفاته كتاب (الوافي بالوفيات) و(شرح لامية العجم) وغيرها. خليل أبيك الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: حمد مصطفى تركي الأرناؤوط، ٢٩ جزءاً، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ١٤-١٨.

^٤ سجلت أفضل الجهود في علم التراجم لأحمد بن محمد الشهير بابن خلكان ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م الذي يعد واضع أسس علم التراجم. لمعرفة المزيد انظر كتاب شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٠٨ هـ: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،، مج ١، ص ٢٠.

^٥ تلك الخطة تبدأ باسم المترجم ثم الكنية ثم النسب إلى المدينة أو إلى القوم أو إلى مذهب الرجل الخاصة وحرفته وسلطته ومنصبه، انظر الصفدي: الوافي بالوفيات،، ج ١، ص ٢٩.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

والاضطراب والرغبة نحو الاستقرار الذي فقدته بلاد الشام في ذلك القرن الذي اتّصف بنمو ظاهرة الحكم المحلي وتطور القوى الفاعلة في المدينة من علماء وعسكر وطوائف حرفية وطرق صوفية^١.

غير أن فكرة التأريخ لدى مؤرخي بلاد الشام نمت وتطورت في القرن التاسع عشر واستقرت في ضوء الاهتمامات التي حددت الوجهة العامة للكتابة التاريخية، والتي استلهمت موضوعات من الموروث الراسخ في كتابة العرب لتاريخهم، حيث شكلت الأحداث العامة لبلاد الشام^٢، وتواريخ المدن والبلدان^٣، وأخبار أعيانها أهم الموضوعات التي أرخ لها مؤرخو تلك الفترة. كما ازدهرت الكتابة التاريخية أيضاً من خلال المدرسة المسيحية الشامية التي تناولت كتابتها تاريخ الأديرة وحركة المجتمع، وتميزت هذه التجربة بسعة اطلاع مؤرخيها حول قضايا تتجاوز الإطار الإقليمي العربي الإسلامي إلى الأوروبي^٤.

أهم العوامل المؤثرة في الكتابة التاريخية، والتي شكلت دافعاً أساسياً لمؤرخي القرن التاسع عشر، يكمن وبالدرجة الأولى في زيادة الوعي العربي القومي ونموه المتزايد والشعور بأهمية التأريخ في تكوين المواطن الصالح، ورغبة منهم في الأخذ بأسباب النهضة والرقى^٥.

- أما من حيث منهج مؤرخي تلك الفترة وأسلوبهم يتلخص بتأثرهم بالمنهج العلمي الحديث الذي لحظه فيما طالعوا ودرسوا وترجموا من كتب التاريخ الأوروبي؛ لذلك تركوا غالباً طريقة الحوليات، ومضوا يقسمون كتبهم حسب الموضوعات أو العصور أو الدول، وهذا ما وجدناه في كتاب (الدبس)^٦ الذي أرخ لأحداث سورية الدينية والدنيوية حسب القرون مفصلاً أحداث كل قرن على حدا، يبدأ من تاريخ سوريا في القرن الأول للميلاد فيقول: "إننا نقسم هذا الباب والأبواب التالية إلى قسمين نضمّن الأول

^١ مهني مبينين: فكرة التأريخ عند العرب في العصر العثماني، دار ورد للنشر، الأردن، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ١٥. وحول الطوائف الحرفية أنظر وجيه كوثراني: العلماء وطرق الصوفية والتنظيم الحرفي، نشره عبد الجليل التميمي في الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أيام العهد العثماني، ص ٦١٩.

^٢ وتمثل ذلك بمؤلفات كل من أحمد حيدر الشهابي، وطنوس الشدياق، وميخائيل الدمشقي وغيرهم.

^٣ خير من يمثل ذلك في القرن التاسع عشر كتاب نعمان القساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، ونهر الذهب في تاريخ حلب ل كامل الغزي.

^٤ لمعرفة المزيد عن المؤرخين المسيحيين الموارنة أنظر

Salibi. S.k. maronite, hestorite of medieval Beirut. 1959, p.p 181.

انظر أيضاً مبينين: فكرة التأريخ، ص ١٦.

^٥ طربين: التاريخ والمؤرخون، ص ٦٣.

^٦ يوسف الدبس: ولد سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٣م، في قرية كفر زيتا في لبنان، تلقى مبادئ العلم في مدرسة القرية، وعندما بلغ الرابعة عشرة أدخله والده إلى مدرسة عين ورقة، وفيها تلقى اللغات العربية والسريانية واللاتينية، تسلم العديد من المناصب عين سنة ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م شماساً، وأخذ فيما بعد يتدرج في رتب الكهنوت حتى صار مطراناً، له الكثير من المؤلفات منها (تحفة الجبل في تفسير الأنجيل) و (سفر الأخبار في سفر الأخبار) و (تاريخ سوريا الديني والدنيوي). زيدان: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ص ٢٨٧-٢٩١.

تاريخ سورية الدنيوي، والثاني تاريخها الديني تفادياً من التشويش في الكلام عنهما معاً^١. كما نجد مؤرخي بلاد الشام قد لجؤوا إلى النقد والتحليل والمقارنة والحكم فيما يكتبون، مبتعدين بذلك عن أسلوب سابقهم بالنقل الحرفي للحدث؛ فنجد مشاقة^٢ في كتابه (الجواب على اقتراح الأحباب) يقدم تحليلاً للانفجار الذي سبب أحداث الحرب الأهلية لعام (١٢٧٧هـ/١٨٦٠م)^٣، بالإضافة إلى استعانتهم بالعلوم المساعدة للتاريخ؛ فقد صرح أحمد حيدر الشهابي^٤ بأنه اعتمد في كتابه (الجزئين الثاني والثالث) على الفرمانات الرسمية التي كانت تدور بين الولاة في الجبل ورجال الدولة^٥.

- أما من حيث الأسلوب اللغوي فقد تغير بالتدريج فبالرغم من أن هؤلاء المؤرخين اختاروا في البداية لمؤلفاتهم عناوين مسجعة^٦، غير أنهم ألتزموا أحياناً أسلوب الاسترسال الإيجاز^٧ في عرض الحدث^٨.

ثانياً: فنون الكتابة التاريخية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر:

لقد توزعت حركة التأليف التاريخي في العهد العثماني على فترتين زمنيتين: بدأت الأولى بالحكم العثماني للبلاد العربية في القرن السادس عشر، وانتهت في بداية القرن التاسع عشر.

^١ يوسف الدبس: تاريخ سوريا الديني والدنيوي،، ج ٣، ص ٢٢٥.

^٢ مشاقة: ميخائيل مشاقة: ولد في قرية رشميا من أعمال جبل لبنان لقب بمشاقة لاحترافه تجارة مشاقة الحرير، كان نبياً وذكياً متوقداً للذهن، فتمكن من القراءة في مدة وجيزة، كان له ميل إلى الرياضيات، جالس على الرغم من صغر سنه كبار القوم، توفي سنة ١٨٨٨م ودفن بمقبرة دمشق الشام، له العديد من المؤلفات نذكر أهمها كتاب (الجواب على اقتراح الأحباب). زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ٢، ص ١٩٧-٢٠٠.

^٣ مشاقة: مشهد العيان،، ص ١٦٩-١٨٦.

^٤ أحمد حيدر الشهابي: ولد في دير القمر عام ١١٧٤هـ/١٧٦١م، استقر في قرية شملان وعرف بالشملاني، تولى عن الإسلام وأصبح مارونياً في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، توفي ١٢٥١هـ/١٨٣٥م في القرقة في لبنان. كحالة: معجم المؤلفين،، ج ١، ص ٦٦٣.

^٥ أحمد حيدر الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، تحقيق: أسد رستم، أفرام البستاني، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، ط ٢، ١٩٨٤م، ج ٢، ص ٤٠١.

^٦ السجع: مشتق من الساجع وهو المستقيم لاستقامته في الكلام واستواء أوزانه وقيل سمي بذلك من سجع الحمامة وهو ترجيعها الصوت على واحد. أحمد بن علي القلقشندي ت ٨٢١هـ/١٤٢٨م: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣١هـ/١٩٩١م، ج ٢، ص ١٠٣.

^٧ الإيجاز: جميع المعاني الكثيرة في ألفاظ مليئة وعليه ورد أكثر آيات القرآن الكريم، القلقشندي: صبح الأعشى،، ج ٢، ص ٣٥٩.

^٨ طريبن: التأريخ والمؤرخون،، ٦٣.

في حين أن المرحلة الثانية بدأت حيث انتهت الأولى وصولاً إلى منتصف القرن العشرين، وأطلق على هذه الفترة (العصر الحاضر أو المعاصر)، ويعود السبب الرئيس لهذا التقسيم إلى ما شهدته البلاد العربية بشكل عام من نهضة شملت مظاهر الحياة كافة (فكرياً، وسياسياً، واقتصادياً)^١. وقبل التعرف على أهم فنون الكتابة التاريخية لبلاد الشام في الفترة المذكورة أعلاه سنوضح ما هو معنى كلمة (فنون)؟

معناها: الأنواع والضرب في الشيء مفرداً: فن، وجمعها: أفنان وفنون^٢. وعليه فإن القصد من هذه الفنون أنواع الكتابة التاريخية التي تشعبت وتنوعت بتعاقب القرون، وتحولت وتطورت باختلاف الأفكار والسياسات والثقافات الموجودة حولها سواء أكانت محلية أم دخيلة. بالنسبة لبلاد الشام بالإمكان تقسيمها إلى:

١. المصنفات التاريخية المحلية:

أحد فنون الكتابة التاريخية التي شهدتها بلاد الشام بفعل مجموعة التطورات التي أفرزتها الأحداث السياسية التي شهدتها البلاد الإسلامية بشكل عام وبلاد الشام بشكل خاص، فالعرب منذ أيام الفتح العربي لبلاد الشام في القرن السابع الميلادي تعلقوا بالمنطقة الجديدة التي أصبحت قاعدتهم ونقطة انطلاقهم إلى العالمين الآسيوي والأفريقي، ولديهم أحاديث تنسب إلى النبي (ص) أن بلاد الشام هي جنة الإسلام^٣، والمركز الذي سينتشر منه الدين الجديد. وقد تلقى كل مدينة في بلاد الشام نصيبها من هذا الشعور بالقدسية، وتشجع سكان كل منها على اعتبار مدينتهم أفضل مدن الإسلام^٤. وفي الحقيقة لم يكن هذا خاصاً ببلاد الشام بل انطبق على المدن الإسلامية كلها، ولكنه كان ملحوظاً بشكل خاص في بلاد الشام، وكان تمجيد دمشق وحلب دون إغفال فلسطين واسعاً جداً ومعتزلاً به. كما أضاف وجود صحابة النبي (ص) الذين عاشوا وماتوا في بلاد الشام، مزيداً من الإحساس بالقدسية المرتبط بها، ليختلط الحماس الوطني بالمشاعر الدينية العميقة، وبالتالي ليزيد من مكانة المدن الشامية بين سكانها. والمؤرخون هم أول من عكس هذه المشاعر، فما إن توطد الإسلام هناك حتى بدؤوا في تعداد الأحاديث حول بلاد الشام، وأخذوا يعددون قبور الصحابة التي كانت مبعثرة في كل أنحاء البلاد، بالإضافة إلى وصفهم الآثار في بلاد الشام ونسبة السمة الإسلامية إليها فأصبحت القلاع والجدران والآبار والصدوع والطرق وحتى المنازل القديمة مقدسة ومبجلة. هكذا ولد التاريخ

^١ طريبن: التأريخ والمؤرخون العرب،، ص ١٥.

^٢ ابن منظور: لسان العرب،، مج ١٣، ص ٣٢٦.

^٣ لمعرفة المزيد من تلك الأحاديث أنظر إلى ما ذكره ابن عساكر: تاريخ دمشق،، ج ١، ص ٣ ومايليها

^٤ سامي الدهان: أعمال التاريخ المحلية في بلاد الشام، أصلها وتطورها ضمن كتاب مؤرخو العرب والإسلام، تأليف، برنارد لويس، ب.م هولت: ترجمة: سهيل زكار، دار تكوين للطباعة، دمشق، د.ط، ٢٠٠٨م، ص ١٧١.

المحلي في بلاد الشام^١، غير أن هناك مجموعة الأحداث السياسية التي شهدتها المجتمع الإسلامي فيما بعد، يضاف إليها الظروف التي عاشتها الخلافة العباسية ممثلةً بضعف الارتباط بمركز الخلافة في بغداد، والارتباط بمراكز جديدة قويت على حسابها؛ أدى ذلك إلى ظهور نوع من النزعة الإقليمية، وبالتالي بروز أسر حاكمة عرفت الساحة العباسية: كالأُسرة الحمدانية في الموصل وحلب^٢، والفاطمية في مصر^٣، وغيرها أدت إلى تقوية شعور الانتماء بالإقليم والاعتزاز بالوطن^٤، كما دفعت رغبة المؤرخين في تحري الأخبار السياسية لحكامهم المحليين وجمعهم الأخبار الاقتصادية والفكرية والاجتماعية لبلادهم، وتدوينها لحفظها من الضياع كون أن مؤرخي هذه الأحداث قريبون من الحدث وشهود عيان من جهة، أو لأجل كسب مودة أصحابها من خلال تدوين أخبارهم ومجريات حياتهم من جهة أخرى^٥.

وهنا لا بد من ذكر ما صرح به كتاب (علم التأريخ عند المسلمين) عندما قال: "إن كثيراً من التواريخ المحلية في الإسلام نشأت لاعتبارات دينية وفقهية، غير أن المفاخر الإقليمية كانت وراء مباحث العلماء^٦، وأن أقدم التواريخ التي اختصت بالتأريخ لإقليم (تاريخ مصر وفتوح المغرب) لعبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم (ت ٢٥٧هـ/٨٧١م)^٧.

^١ الدهان: مؤرخو العرب،، ص ١٧١-١٧٢.

^٢ الدولة الحمدانية: من الدول الناشئة في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، نشأت في الموصل وحلب نتيجة لضعف الدولة العباسية لكنها لم تستمر طويلاً وإنما تعرضت لمشاكل عديدة لتنتهي في حلب على أيدي الفاطميين سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م، وفي الموصل في السنة نفسها تقريباً أو أقل على أيدي الدولة العقلية الناشئة. علي بن طاهر الأزدي ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م): أخبار الدولة الحمدانية في الموصل وحلب وديار بكر والثغور، تحقيق: تيمية الرواف، دار حسان، دمشق، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٢-١٥.

^٣ الدولة الفاطمية: من الدول الناشئة في المغرب والذي اتخذت صفة دينية بادعاء أفرادها انتسابهم إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، مدت نفوذها إلى مصر وديار بكر وبلاد الشام، وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم فلذت للطعن بنسبهم، انهارت دولتهم ٥٦٧هـ/ ١١٧١م على يد صلاح الدين الأيوبي ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م). أحمد بن علي المقرئ ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج ١، ص ٣٢٢.

^٤ فرانز روزنثال: علم التأريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط ٢، ١٩٨٣م، ص ٢٠٦.

^٥ مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون،، ج ١، ص ٢٨٩.

^٦ روزنثال: علم التأريخ عند المسلمين،، ص ٢٠٦.

^٧ محمد عبد الكريم الوافي: منهج البحث في التدوين التاريخي عند العرب، دم، بنگازي، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٢٩١.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وعليه يمكن القول مهما خضعت الكتابات المحلية لميول المؤرخين، فإن هناك نماذج متنوعة شكلت تيارين متميزين واضحي المعالم، لكنهما غير منفصلين أحدهما عن الآخر، أحدهما نموذج التاريخ المحلي الدنيوي، والآخر ديني^١.

- التاريخ الدنيوي المحلي:

يجمع الدراسون على أن أقدم الأمثلة لكتب التاريخ المحلي الدنيوي الإسلامي يرجع إلى العراق، وذلك من خلال كتابين محليين الأول (تاريخ بغداد) لمؤلفه أحمد بن طيفور ت ٢٨٨هـ/٩٠٠م^٢ والذي أراده مؤلفه أن يكون تاريخاً للخلفاء العباسيين، تدور حوادثه حول عاصمتهم بغداد^٣، والثاني هو (تاريخ الموصل) للمؤرخ أبي زكريا يزيد بن محمد بن أياس الأزدي ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م^٤ اهتم صاحبه بالترجمة لمحدثي الموصل وولاتها وأعيانها وتاريخ وفيات علمائها^٥، علماً أن هناك من أشار إلى أن لهذا التاريخ سوابق تعود إلى ما قبل الإسلام، وقد انطلق من منطقة ربما كانت كما قال بالنظر إلى موقعها الجغرافي والثقافي نقطة التقاء يستطيع فيها المسلمون التعرف على ذلك النوع من التأليف^٦.

أما بلاد الشام فقد ظهرت أقدم الأمثلة على التاريخ الإقليمي المحلي الدنيوي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي في سورية، وأول مؤلف في هذا المجال ابن القلانسي أبو علي حمزة ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م^٧ الذي جعل تاريخه يدور حول دمشق وأخبارها وأهم الفئات الاجتماعية في تلك

^١ ترجيني: المؤرخون والتاريخ عند العرب،، ص ١٥٣.

^٢ أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر المعروف بأبي طيفور ولد ببغداد سنة أربع ومئتين وتوفي سنة ثمانين ومئتين ودفن في مقابر باب الشام هو أحد البلغاء والشعراء والرواة من أهل الفهم المذكورين بالعلم، له كتاب بغداد المصنف في أخبار الخلفاء وأيامهم، الزركلي: الأعلام،، ج ١، ص ١٤١.

^٣ أحمد طيفور: تاريخ بغداد، تحقيق: محمد بن زاهد بن الحسن الكوثري، عزت العطار الحسيني، دار الثقافة الإسلامية، د.ط، ١٩٤٩م، ص ٩.

السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، ١٩٨٦م، ص ١٠٧.

^٤ لم تعرض كتب التاريخ و التراجم والطبقات بشئ يتعلق بحياته أو بمركزه العلمي والمعروف عنه أبو زكريا بن يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الأزدي الموصلية ألف ثلاثة كتب مهمة هي (القبائل والخطط) و (طبقات المحدثين)، وكتابه المذكور أعلاه توفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م. أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م): تاريخ الموصل، تحقيق: علي جبية، منشورات دار أحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، ١٩٦٧م، ص ٣-٦.

^٥ الأزدي: تاريخ الموصل،، ص ٢٨-٣٠. / ترجيني: التاريخ والمؤرخون،، ص ١٥٥.

^٦ روزنتال: علم التأريخ عند المسلمين،، ص ٢٠٦.

^٧ ابن القلانسي: حمزة بن أسد بن علي بن محمد أبو علي التميمي، المعروف بابن القلانسي كانت له عناية بالحديث، وكان أديباً وصنف تاريخاً للحوادث بعد سنة أربعين وأربعمئة إلى حين وفاته، تولى رئاسة ديوان دمشق مرتين. الزركلي: الأعلام،، ج ٢، ص ٢٧٦.

المدينة وقبائلها واصفاً خططها وعمرانها وما فيها^١، وكذلك ابن العديم عمر بن أحمد ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م^٢ وكتابه (زبدة الطلب في تاريخ حلب) الذي خصصه لدراسة تاريخ حلب السياسي^٣. أما أهم مؤرخي القرن التاسع عشر في هذا اللون فهو عيسى اسكندر معلوف ١٢٨٥-١٣٧٦هـ / ١٨٦٨-١٩٥٦م^٤ وكتابه (تاريخ زحلة) تناول فيه كل ما يتعلق بزحلة من أحوال جغرافية وديمقراطية قديمة وحديثة منذ تأسيسها في أوائل القرن الثامن عشر حتى عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٣م، مستعرضاً جميع مراحلها التاريخية بالتفصيل، وما تقلب عليها من حوادث خطيرة، وذكر مشاهيرها وأسرها وغير ذلك من المباحث^٥.

وأيضاً (تاريخ سوريا) لـ جرجي يني وهو مسيحي أرثوذكسي، وقد تعرض فيه لتاريخ طرابلس بالذات^٦، بالذات^٦، و(نهر الذهب في تاريخ حلب) لـ الغزي ١٢٧١-١٣٥١هـ / ١٨٥٣-١٩٣٣م^٧ تناول فيه فتوحها وآثارها وتراجم الأعيان في أربعة مجلدات^٨.

هناك نوع في التاريخ المحلي يجمع بين المدن والأسر الحاكمة وخير ما يمثله كتاب (دواني القطوف في أخبار بني معلوف) لاسكندر معلوف، هو كتاب تاريخي اجتماعي عمومي، يحتوي على

^١ حمزة بن أسد بن علي القلانسي ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م): تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، ثلاثة أجزاء، دار إحسان للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ج ١، ص ١٠.

^٢ ابن العديم: أبو حفص، عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن هبة الله كمال الدين العقيلي الحلبي، المعروف بابن العديم، ولد سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م، كان محدثاً فاضلاً ومؤرخاً وفقيهاً، ألف الكثير من الكتب منها (بغية الطلب في تاريخ حلب) وغيره الكثير، توفي ٦٦٠هـ / ١٢٦١م. زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة: شوقي ضيف، ٤ أجزاء، دار الهلال، القاهرة، د. ط، د. ط، ج ٣، ص ١٨٥.

^٣ كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م: زبدة الطلب في تاريخ حلب، تعليق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٥٠ / طربين: التاريخ والمؤرخون،، ص ١٠١.

^٤ عيسى اسكندر معلوف: (١٢٨٥-١٣٧٦هـ / ١٨٦٨-١٩٥٦م) مؤرخ لبناني وعضو في المجمع العلمي في مصر وبيروت ودمشق من مؤلفاته (تاريخ الأمير فخر الدين). لويس معلوف: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط ٢٧، ١٩٨٤م، ص ٦٧٥.

^٥ عيسى اسكندر المعلوف: تاريخ زحلة، مؤسسة هنداوي، مصر، د. ط، ٢٠١٢م، ص ١٠.

^٦ طربين: التاريخ والمؤرخون،، ص ١٠٢.

^٧ الغزي: (١٢٧١-١٣٥١هـ / ١٨٥٣-١٩٣٣م) كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الباني الحلبي الشهير بالغزي، مؤرخ من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، مولده ووفاته بحلب، تولى تحرير مجلة الفرات الرسمية الأسبوعية، صنف كتاب (نهر الذهب في تاريخ حلب) في ثلاثة مجلدات. الزركلي: الأعلام،، ج ٥، ص ٢١٧.

^٨ طربين: التاريخ والمؤرخون،، ص ١٠٨.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وصف الوقائع والعادات والأحلاف والشؤون العمرانية وأحوال الأسر الشرقية وفروعها ومشاهيرها ومواطنها، ومباحث علمية وجغرافية وإحصائية^١.

- التاريخ الديني:

ظهر في التاريخ الإسلامي بعض الكتب التي هدفت إلى تمكين القراء من الاطلاع على التاريخ المقدس للمدن الإسلامية، وقد نشأ هذا النوع مع ظهور الإسلام وانتشار مبادئ العقيدة الجديدة، لذا اهتمت بالحديث عن الأماكن المقدسة المرتبطة بمشاعر المسلمين ألا وهي مكة والمدينة^٢، ولم تهتم بذكر أحداث سياسية أو شخصية وجدت في تلك الأماكن بقدر ما اهتمت في البداية بالحديث عن مكانة المدنيين وأهميتها الدينية وتخطيطها العمراني، وجغرافية المناطق التي وجدت فيها، مع الإشارة إلى مروييات ارتبطت بأحداث عاشتها هاتان المدينتان في عصور ما قبل الإسلام. غير أنه وبمرور الزمن شهد التاريخ المحلي الديني تطوراً جديداً، فالمؤلف سابقاً كان يتبع شكلاً موحداً في هذا النوع من التأريخ من خلال البدء بالتعريف بخطط المدينة المؤرخ لها ومظاهرها العمرانية، يتلوها تعداد الشخصيات التي اقتصر على العلماء والفضلاء فقط، ثم تطورت لتشمل رجال الدولة والتجار والأعيان. وزيادة في الحيلة من اختلاق الأحاديث الكاذبة فقد اتبع المؤرخون دراسة مواطن الرواة. وأقدم ما وصلنا من هذا النوع هو (تاريخ واسط)، و (تاريخ الرقة)، ولم تلبث تلك الطريقة أن تطورت لتتبع في التراجم ترتيباً أبجدياً وأقدم تاريخ محلي ديني باق رتبت تراجمه على الحروف الأبجدية (تاريخ علماء الأندلس) لـ ابن الفرضي ت ٤٣٠هـ / ١٠١٣م^٣ ومع (تاريخ بغداد) لـ الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ^٤ بُدئ بترتيب أسماء المترجمين وآبائهم وأصحاب الكنى والنساء على الأحرف الأبجدية في آخر الكتاب^٥، وقد اتبع معظم الدارسين في التاريخ المحلي الديني في العصور التالية نظام الخطيب،

^١ عيسى معلوف: دواني القطوف في تاريخ بني معلوف، المطبعة العثمانية، بعبداء، د.ط، ١٩٠٧، ص ١.

^٢ روزنتال: علم التأريخ عند المسلمين،، ص ٢٢٤، وأبرز هذه الكتب كتاب أخبار مكة لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرق ت ٢٤٤هـ / ٨٥٨ م.

^٣ ابن الفرضي: الحافظ أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي ولد سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة في قرطبة، لم تكن عائلته من العوائل العلمية فهو لم يترجم لجدّه أو لوالده، تعلم القراءة والكتابة وقرأ القرآن في صغره، بدأ بطلب العلم وهو في الخامسة عشرة من عمره، توجه سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م، للحج إلى المشرق، له العديد من المؤلفات منها (أخبار شعراء الأندلس) و(المؤتلف و المختلف) وغيرها. الحافظ أبو الوليد ابن الفرضي ت ٤٣٠هـ / ١٠١٣م): تاريخ علماء الأندلس، تحقيق، بشار عواد معروف، دار العرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٢٠٠٨م، مج ١، ص ٣١ وما يليها.

^٤ الخطيب البغدادي: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب، صاحب تاريخ بغداد، ولد سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة. ابن خلكان: وفيات الأعيان،، مج ١، ص ٩٢-٩٣.

^٥ البغدادي: تاريخ بغداد،، مج ١، ص ٢١٣.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

ومن هؤلاء في بلاد الشام (ابن عساكر) صاحب كتاب (تاريخ دمشق) الذي افتتح كتابه بذكر العلاقة بين دمشق والمسلمين الأولين، ثم انتقل بعد ذلك إلى سيرة الرسول والتراجم^١.

وقد ظهر أيضاً في القرن التاسع عشر كتاب جمع بين التاريخين الديني والدنيوي وهو كتاب (تاريخ سورية الديني والدنيوي) لـيوسف الدبس في تسعة مجلدات أورد فيه أخبارها منذ بدء الخليفة حتى زمن المؤرخ ذاكراً أعيانها^٢.

من خلال هذه المؤلفات تم رصد حال بلاد الشام في القرن التاسع عشر، وحال مدنه من الناحية العمرانية والاجتماعية والسياسية.

٢. كتب سير وتراجم :

احتل هذا النوع من فنون الكتابة مكانة مرموقة تبوأه منذ القدم، فإذا كان التاريخ هو البحث وراء الحقيقة وتمحيصها وجلاء غموضها في أي جانب من الحياة الإنسانية، فالسير هي البحث عن تلك الحقيقة في حياة إنسان فذ والكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته في ظروف حياته التي عاشها، والأحداث التي واجهها في محيطه، والأثر الذي خلفه في جيله، وعليه عدت السيرة هي أقرب كتب التاريخ إلى القارئ نفسه وأكثرها إثارة في الكتابات التاريخية كلها^٣.

وبخصوص ما قيل عن الفروقات بينهما (السيرة والترجمة) يذكر أنه ليس هناك من الناحية اللغوية أي اختلافات بينهما على وجه التحديد، إلا أن الاصطلاح والاستعمال هما صاحبا الفتوى في ذلك، والمقصود أن العادة جرت بين المؤرخين عامتهم أن يسموا الترجمة بهذا الاسم، حيث لا تطول نفس الكتابة فيها، أما إذا طالت واتسعت أطلق عليها حينها تسمية (سيرة). وأول استعمال لهذا اللفظ مثلته (سيرة الرسول الكريم) وأطلق على المؤلفين فيها أصحاب السير^٤، واختص المؤلفون في هذا النوع بحياة الرسول وفتوحاته ومغازيه، وبقي استعمالها هذا مقتصرًا على بيان حياة الرسول الكريم فقط، ليشهد هذا الفن فيما بعد في أواخر القرن الثالث الهجري تطوراً تمثل بالانتقال إلى سيرة غيره من الرجال، وأول من ألف فيه (أحمد بن يوسف الداية) الكاتب المصري عندما تحدث عن شخصية أحمد بن طولون^٥ لينتشر هذا النوع من الكتابات التاريخية، ولتختفي في القرون السابع والثامن والتاسع

^١ ابن عساكر، تاريخ دمشق.....، ج ١، ص ٢ وما يليها.

^٢ سنتطرق لهذه بالأحداث فيما بعد.

^٣ حسين فوزي النجار: التأريخ والسير، دار الثقافة والإرشاد القومي، ط ١، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ١٤.

^٤ محمد عبد الغني حسن: التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، د.ت، ص ٨.

^٥ أحمد بن طولون: أبو العباس التركي أمير مصر، ولد سنة عشرين ومائتين ببغداد من جارية تسمى هاشم وقيل قاسم ولي عرش مصر سنة أربع وخمسين ومئتين. لمعرفة المزيد انظر جمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة،

ظاهرة الحديث عن الأموات السالفين وتحل محلها أخبار الأحياء من الملوك وأصحاب السلطان ومؤسسي الدول، ونذكر مثلاً عن ذلك ما كتبه (ابن شداد ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) عن شخصية صلاح الدين الأيوبي^١. أما الترجمة فهي كلمة دخلت إلى العربية عن اللغة الآرامية، ولم يكن الاصطلاح قد جرى على استعمالها فيما بعد إلا في أوائل القرن السابع الهجري، لا بدّ من ذكر أن العرب في البدء قد عدلوا عن الترجمة لأنفسهم ما دام غيرهم من الكتاب والمؤرخين قد تولى ذلك عنهم، ويعود ذلك إلى ما تميز به خلق العربي وسماته النفسية التي تمنعه من التحدث عن نفسه بقوله (أنا) أو عن عمله بقوله (عملت) رغم أن العرب برعوا في كتابة التاريخ والسير ولم يدعوا لونا في التاريخ والتراجم إلا ما ندر^٢، ونذكر ممن ترجموا لأنفسهم في كتبهم كلاً من (السيوطي، والسخاوي، ومشاققة)^٣.

فيما يخص بلاد الشام فقد سجلت دمشق بالذات تفوقاً في هذا اللون من الكتابات التاريخية، ولم يقتصر ذلك على احتلالها مقام الصدارة فقط بل تكمن أهميتها في أن مدارس الشرق العربي كله قد تأثرت بها، فالغزي^٤ صاحب (الكواكب السائرة) توطن في دمشق، حيث تلقى تعليمه فيها، وابن طولون الصالحي^٥ صاحب كتاب (ذخائر العصر في تراجم نبلاء العصر) كان دمشقياً، وكذلك المرادي^٦ ومؤلفه الشهير (سلك الدرر في أحداث القرن الحادي عشر) وغيرهم.

^١ صلاح الدين الأيوبي: (٥٣٢-٥٨٩هـ/١١٣٧-١١٩٣م) يوسف بن أيوب بن شاذي أبو المظفر الملقب صلاح الدين، ولد في تكريت، ونشأ في دمشق وتفقّه وتأدّب وروى الحديث فيها وبمصر والإسكندرية، رحل مع أبيه لخدمة نور الدين الزنكي، حكم مصر مدة ٢٤ عاماً وسورية ١٩ عاماً، خاض حروباً كثيرة، أعظم انتصاراته تمثلت بدمجه الفرنجة في معركة حطين. الزركلي: الأعلام،، ج ٨، ص ٢٢٠.

^٢ حسن: التراجم والسير،، ص ٢٥-٢٦.

^٣ السيوطي ترجم لنفسه في كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، جزءان، دار أحياء الكتب العربية، ط ١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج ١، ٣٣٥-٣٤٤.

والسخاوي في كتابه الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، ١١ جزءاً، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، ج ٧، ص ١٧٥-١٧٦.

ومشاققة في كتابه مشهد الأعيان،، ص ٥-١٣.

^٤ الغزي: أبو المكارم نجم الدين الغزي العامري الدمشقي ولد بدمشق سنة ٩٧٧هـ/١٥٦٩م، تولى التدريس في المدرسة الشامية البرانية والعمرية تولى إمامة الجامع الأموي وسافر إلى الأستانة، عاد إلى دمشق وتوفي فيها سنة ١٠١٦هـ/١٦٠٧م، له من المؤلفات (الكواكب السائرة في أعيان السنة العاشرة). زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٣، ص ٣١٧.

^٥ ابن طولون الصالحي: محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي الدمشقي، شمس الدين، أكبر المؤرخين الدمشقيين، في القرن العاشر الميلادي، كان مشاركاً في علوم كثيرة، غزير التأليف، وتلميذ النعيمي، تأثر به ونهج على منواله وأفاد كثير من مؤلفاته، توفي بالصالحية ودفن بسفح قاسيون سنة ٩٥٣هـ/١٥٤٦م، من مؤلفاته (سلك الجمان فيما وقع لي مع تراجم آل عثمان) و(راية النصر في ترجمة سيدي نصر) والكتاب المذكور أعلاه. صلاح الدين

والميزة الأخرى التي تمتعت بها المدرسة الشامية أنها لم تعرف الصفة الإقليمية أو المحلية، وإنما طغت تراجمها على سائر أقطار المشرق العربي مما أكسبها صفة الشمول^٢.

وهناك أنواع عدة للتراجم فبعضهم كتب تراجمه حسب العصور أو القرون، وهذا النوع ليس بجديد فقد سبق الثعالبي ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م^٣ غيره في كتابه الشهير (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر)، والذي خصّه لأعلام الشعراء في القرن الرابع وصدر القرن الخامس^٤، ليتبعه عدد كبير من المؤرخين الذين ألفوا تبعاً للقرون، وخير من يمثل هذا الفن في القرن التاسع عشر عبد الرزاق البيطار^٥ وكتابه (حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر)، وقد صرح البيطار أنه قد اقتصر في تراجمه على هذا القرن لأن المحبي^٦، قد ترجم لأهل القرن الحادي عشر، والمرادي أفرد كتابه لأهل القرن الثاني عشر، فأراد البيطار التطفل عليهما بديوان يكون لكتابهما ذيلًا^٧.

أما النوع الآخر للتراجم فقد شملته كتب التاريخ العام، ويعود ذلك إلى حرص معظم الكتاب وهم يؤرخون تاريخاً سياسياً عاماً للدولة أن لا تفوتهم تراجم للرجال بعد ذكر الحوادث السياسية

المنجد: معجم المؤرخين الدمشقيين وأثارهم المخطوطة والمطبوعة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٢٩٨-٢٩٠.

^١ المرادي: محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد بن علي المرادي الحسيني الحنفي البخاري الأصل دمشقي المولد ولد سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م، وتوفي ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م أهم مؤلفاته (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) وغيرها من المؤلفات. الزركلي: الأعلام،، ج ٦، ص ١١٨.

^٢ طريبن: التاريخ والمؤرخون،، ص ١٩-٢٠.

^٣ الثعالبي: ولد أبو منصور الثعالبي في نيسابور عام ٣٥٠هـ/ ٩٦١م، كان في أول حياته فراءً، يخطط جلود الثعالب فنسبت إليه صناعته، ومن ثم انتقل من حوك الفراء إلى الكلم، فاشتغل باللغة والأدب والتاريخ فنبغ. خلف الثعالبي كتباً قيمة أربت على الثمانين منها (أحسن كلام النبي والصحاب والتابعين) و(النهاية في الكناية) وغيرها الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قمجة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م، ج ١، ص ٣-١٠.

^٤ الثعالبي: يتيمة الدهر،، ج ١، ص ١٢.

^٥ عبد الرزاق البيطار: حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، من علماء دمشق، برع في العلوم العربية والشرعية والميقات والموسيقى، ألف في التراجم، توفي سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م. المنجد: معجم المؤرخين الدمشقيين،، ص ٤٠١.

^٦ المحبي: فضل الله بن محب الدين بن محمد، المحبي الدمشقي، مؤرخ، ورحالة، شاعر ورحالة له (الرحلة الحلبية) و(الرحلة الرومية) و(سلك الدرر في أعيان القرن الحادي عشر)، توفي سنة ١٠٢٨هـ/ ١٦٧١م، المنجد: معجم المؤرخين،، ص ٣٢١.

^٧ عبد الرزاق البيطار: حلية البشر في تاريخ أعيان القرن الثالث عشر، ٣ أجزاء، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م، ج ١، ص ٥.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

العامة^١ ويظهر ذلك جلياً في كتاب الشدياق^٢ (أخبار الأعيان في جبل لبنان) والدمشقي^٣ وكتابه (الجواب على اقتراح الأحباب) أو (تاريخ حوادث الشام ولبنان).

وهناك نوع ثالث ظهر في القرن التاسع عشر وهو التراجم في كتب الخطط والأمصار، ويتناول هذا النوع من الكتب الناحية العمرانية لفترة محددة من التاريخ أو لعصر من العصور فيعنى بموقعها وآثارها ومساجدها وكنائسها وما فيها من زوايا وتكايا ومشاف^٤ وحصون وقلاع وأبواب وغير ذلك، كما يتناول أبرز الأحداث السياسية لهذا البلد بالإضافة إلى ذكر تراجم الرجال الذين ولدوا ونشأوا فيه، وقد مثل هذا النوع في القرن التاسع عشر القساطلي^٥ وكتابه (الروضة الغناء في دمشق الفيحاء).

وقد تطول الترجمة أو تقصر تتعمق أو تبقى بسيطة تبعاً لحالة العصر الذي كتبت فيه، ولثقافة المؤرخ ومدى قدرته على رسم صورة كاملة وواضحة ودقيقة عن مجموعة المعارف والمعلومات التي يتمكن من جمعها عن الشخص المراد الترجمة له.

ويرجع كتاب التراجم والسير إلى مصادر ومراجع عديدة يأخذون منها معلوماتهم ليثبتوها في تاريخ المترجم لهم، وقد يتبنى هذه المعارف عن طريق الاتصال بالشخص المترجم له، أو عن طريق السماع عن غيره، فيتلقى المؤلف أخباره من هذا، أو ناقلاً عن ذاك مردداً عبارات (سمعت بعض أهل العلم)، أيضاً (حكى لي بعض إخواني) أو (قيل لي)، وغير ذلك من العبارات. أو قد يلجأ المؤلف إلى كتب المؤرخين السابقين له الذين ألفوا عن الموضوع الذي يكتب عنه^٦، وعليه نجد العديد من المؤرخين المؤرخين قد أشاروا في مقدمة كتبهم إلى مصادرهم المعتمدة في الكتابة، ويظهر ذلك واضحاً وجلياً في كتاب طنوس الشدياق الذي ذكر أسماء العديد من المؤرخين وكتبهم^٦.

٣. تأريخ الأحداث:

^١ حسن: التراجم والسير،، ص ٥٠.

^٢ الشدياق: الشيخ طنوس الشدياق بن منصور الحنثي لبناني، ولد في أوائل القرن التاسع عشر، من سلالة قديمة أصلها من حصرون، درس في مدرسة عين ورقة، تعاطى التجارة، وسافر إلى دمشق، ألف كتاب (أخبار الأعيان في جبل لبنان). كحالة: معجم المؤلفين،، ج ٢، ص ١٦.

^٣ ميخائيل الدمشقي: لم يعثر له على ترجمة المعروف أنه ألف كتاب سماه حوادث الشام ولبنان، وقد نشره الأب لويس معلوف سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م. المنجد: معجم المؤرخين الدمشقيين،، ص ٣٨٣.

^٤ القساطلي: نعمان بن عبده بن يوسف القساطلي الدمشقي، كاتب غني بتاريخ دمشق، توفي ١٣٣٨هـ / ١٩٢٠م، أهم مؤلفاته (الروضة الغناء في دمشق الفيحاء) و (الروضة النعمانية). المنجد: معجم المؤرخين،، ص ٤٠٢.

^٥ حسن: السير والتراجم،، ص ٩، ٩٠، ٩١.

^٦ طنوس الشدياق: أخبار الأعيان في جبل لبنان، تحقيق: فؤاد أفرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، د.ط، ١٩٧٠م، ج ١، ص ٤.

قدم لنا مؤرخو الأحداث ومنذ العصور الإسلامية سجلاً حياً لأقطار العالم العربي بحوادثه ووقائعه المختلفة، وتعدّ هذه المؤلفات العماد الأساسي لدراسة التاريخ العربي، وفيما يخص بلاد الشام عامة ودمشق خاصة، لدينا سجل حولي كامل يرسم معالم تاريخها منذ الفتح الإسلامي لها حتى خاتمة العهد العثماني^١. لقد اهتم أهل تلك المنطقة برصد أحداث عصرهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتسجيلها إلى جانب وصفهم للأحداث الطبيعية^٢، فقد كانت تلك الأحداث ولا تزال الأساس العادي في التركيب التاريخي للمؤرخين بشكل عام^٣. فمنذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وبدون انقطاع وجدت سلسلة من الكتب الفكرية السياسية استمدّت جذورها من التاريخ الإسلامي والأحداث التي مرّت به وبغيره، كان باعثها الأول هداية الملوك والأمراء إلى اتباع أحكام الشريعة الإسلامية في الحكم، وقد سميت هذه الكتب أحياناً (بأدب السلطان أو بسياسة الملوك) ككتاب سهل بن هارون بن رامنوي الدستيمساني ت ٢١٥هـ/٨٣٠م^٤.

وبالنظر إلى كثرة الأحداث السياسية التي شهدتها البلاد العربية بشكل عام وبلاد الشام ولبنان بشكل خاص فقد أدى ذلك إلى بروز طائفة من الكتاب انشغلت بالبنية السياسية الجديدة، التي أفرزتها التطورات العامة، فلو أخذنا مثلاً جبل لبنان الذي توحد على يد الأسرة المعنية في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر بعد أن كان الشمال محكوماً من قبل أعيان من الموارنة، والجنوب من قبل الدروز، أدى توحدهم هذا إلى تحول لبنان إلى إمارة وراثية انتقل الحكم فيها من المعنيين إلى الشهابيين، وكانوا من حيث المبدأ يستمدون شرعيتهم من الولاة العثمانيين، لكن في الواقع تطورت ضمن هذا الإطار حياة سياسية ناضل فيها الحاكم للحصول على استقلاله ضد التعديات من الخارج، و ضد القوى والطموحات من الداخل (العائلات من الدروز والموارنة على السواء التي كانت تتنافس مع بعضها من أجل الأرض والنفوذ)، في الوقت الذي كان فيه التسامح الديني الظاهر يخفي تحته توتراً دينياً، كان يمكن أن يطفو إلى السطح مع التغيرات السياسية والاجتماعية و الهيمنة الفكرية المسيحية، يضاف إليه جهود الحكام الأتراك في سوريا لفرض سيطرتهم، وتدخل فرنسا وفيما بعد القوى الأوروبية الأخرى.

هذه الأمور مجتمعة أدت في القرن الثامن عشر إلى ظهور طائفة من المؤرخين ممن تعلّموا في المدارس التبشيرية^٥ ومدارس اللاهوت الكاثوليكي، اهتموا بكتابة التاريخ في ضوء هذه البنى السياسية

^١ ابن طولون الصالحي: تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني من كتاب (مفاكهة الخلان في حوادث الشام)، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٥١.

^٢ مبييضين: فكرة التأريخ عند العرب،، ص ٢١.

^٣ خضر: المسلمون وكتابة التاريخ،، ص ٣٦.

^٤ مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون،، ج ١، ص ٣٣١.

^٥ سنتطرق لهذه الأحداث فيما بعد.

الجديدة، وبنهاية هذا القرن وبداية القرن التاسع عشر الميلادي ظهرت مجموعة جديدة من المؤرخين اتجهوا إلى نوع آخر من التأريخ، سياسي ومدني، فاهتموا بالدرجة الأولى بالصراع حول السياسية حول السلطة، وقد كتبت أعمال من هذا الطراز في كتاب (تاريخ جبل لبنان) الذي قدّم فيه تفصيلات عن التاريخ السياسي للمناطق الشمالية، كما اشتمل الكتاب على خليط من الأنساب ومختصرات تعالج بشكل رئيسي جبل لبنان الإقطاعية، مع التركيز على تاريخ الكنيسة المارونية،^١ بينما قدم كتاب (تاريخ سليمان باشا العادل) وصفاً شاملاً لأعمال الجزار، التي كانت مقدمات وأسباباً لحوادث جرت فيما بعد في عهده، كما أوضح لنا التوازن بين العناصر الملوكية والمحلية والدينية والمدنية المسلمة والمسيحية واليهودية في تكوينها، والحكومة المركزية في استانبول.^٢

وانتمى أيضاً أحمد حيدر الشهابي إلى طائفة الكتاب السياسيين؛ فالموضوع الرئيسي لكتابه (الغرر الحسان في أخبار الزمان) هو سياسة الأمراء الشهابيين، كما ضمنه قدراً معيناً من التأريخ الاقتصادي والاجتماعي.^٣

ولا ننسى أيضاً مجموعة الأحداث التي شهدتها المنطقة، والتي امتدت من عام ١٢٥٧-١٢٧٧هـ / ١٨٤١-١٨٦٠م، وبشكل خاص الحرب الأهلية ومذابح الستين ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م.

تلك الأحداث غير العادية والمأساوية حركت أقلام العديد من المؤرخين، أهمها ذلك التقرير الذي نشره ميخائيل مشاققة تحت عنوان (مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان) الذي قدّم فيه تحليلاً متحيّزاً لأسباب تلك الحرب، ولم يتردد في لوم المسيحيين على نقصهم لاحترام السلطة التقليدية للإقطاعيين.^٤

وغيرها من المصنفات والتي من خلالها نستطيع رصد العديد من الأحداث السياسية التي شهدتها بلاد الشام، كما أن بالإمكان رسم صورة واضحة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فالأوضاع السياسية لأمة ما هي عبارة عن محصلة لأوضاعهم العامة السابقة معاً.

^١ مؤلف هذا الكتاب هو أنطونيوس أبو خطار العنيطوريني لمعرفة المزيد انظر، لويس: مؤرخو العرب والإسلام،، ص ٣٣٣، ٣٤٤٤.

^٢ إبراهيم العورة: تاريخ سليمان باشا العادل، تعليق: لخوري قسطنطينا لمخلصي، مطبعة دير المخلص، لبنان، د.ط، ١٩٣٦م، ص ١٦ وما يليها، ص ١٥٢.

^٣ سنتطرق لهذه لأحداث فيما بعد.

^٤ سنتطرق لهذا التقرير ومحتواه بشكل موسع في الفصل الرابع/انظر أيضاً لويس: مؤرخو العرب والإسلام،، ص ٣٥٤.

ثالثاً: المنشآت التعليمية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر

كان التعليم في بلاد الشام قبل ظهور لائحة التنظيمات عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م من النوع التقليدي المحصور في الكتاتيب والمدارس الدينية^١، ويعود ذلك إلى الدولة العثمانية التي عدت التعليم خارج وظيفة الدولة. فالتربية شأن ديني يتولّى أمرها أولو الأمر في الطوائف، فالمسلمون يدير أمرهم مفتٍ يعينه السلطان، ويترك له حرية تسيير شؤون الطائفة. استمرّ الوضع على هذا الحال حتى ثلاثينيات القرن التاسع عشر الميلادي في تلك الفترة شهدت البلاد تطوراً فكرياً وثقافياً قلب الموازين في بلاد الشام، تجلّى بإدخال التعليم الحديث على يد المبشرين الأجانب (الإرساليات التبشيرية)، الذين لعبوا دوراً مهماً ومؤثراً سارع في عملية تطور التعليم، وذلك يعود إلى ما ظهر من تنافس بينها؛ لإنشاء المدارس بهدف خدمة مصالحها الطائفية والاستعمارية هذا من جهة^٢، ومن جانب آخر مهدت الإدارة المصرية الطريق أمام الحياة الفكرية الشامية ممثلة بقيام إبراهيم باشا أثناء حملته على سورية بإنشاء المدارس الابتدائية واتباعه سياسة تعليمية هدفت إلى تعميم القراءة والكتابة بين أفراد جيشه، وذلك بوضعه قانوناً يقضي بعدم ترقية ضباط الصف إلا بعد أن يلموا بالقراءة، ومن يتأخر فعليه أن يلم بصناعة من الصناعات^٣، كما أنه عين رواتب شهرية لأبناء الجنود الذين التحقوا بالمدارس^٤. هذه الأمور مجتمعة كانت حافزاً للدولة العثمانية التي تنبعت عقب خروج المصريين وعودة بلاد الشام إلى الحكم العثماني إلى خطوة الوضع؛ فسارعت إلى إجراء إصلاحات تربوية وافتتاح المدارس العسكرية والملكوية، كما أنها أصدرت قانوناً عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م لإصلاح التعليم الذي يخولها حق الإشراف على مراحل كافة^٥.

وعليه بالإمكان تقسيم المراكز الفكرية في بلاد الشام إلى:

١. التعليم التقليدي يقسم إلى أ. كتاتيب، ب. مدارس دينية تقليدية.
 ٢. التعليم الحديث ينقسم إلى أ. التعليم العسكري ب. التعليم المدني، وهو بدوره مقسوم إلى - المدارس الرسمية العمومية - والمدارس الخاصة: ومنها ينقسم: * مدارس وطنية * وأجنبية.
١. التعليم التقليدي:

أ. الكتاتيب:

^١ أحمد سامح الخالدي: أنظمة التعليم، جزأين، مطبعة بيت المقدس، د.ط، ١٩٣٣، ج ١، ص ٨٢-٨٥.

^٢ أنطونيوس: بقطة العرب،، ص ١٠٤-١٢٦.

^٣ أسد رستم: آراء وأبحاث، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت ط ٢، ١٩٦٦م، ص ٩٢-٩٣.

^٤ Victoria Khazami- Le nseignement au Liban، These d'universite، Paris, 1952, p7.

^٥ الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية،، ص ٦٠ ومايليها.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

مفردتها كتاب وهو مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة، وهي التي اضطلع فيها. وتشير النصوص التاريخية إلى وجود الكتاتيب منذ عهد الرسول (ص) وخلفائه الراشدين^١.

* كتاب المسلمين:

كان التعليم عند المسلمين يقتصر غالباً على قراءة القرآن، ويضاف إلى ذلك في بعض الأحيان تعلم الكتابة والحساب، ومبادئ العقيدة الدينية والمختصرات الفقهية والنحوية^٢.

في المدن كان التلاميذ يتلقون العلم في المساجد، يبدأ الطالب الدراسة في سن مبكرة من عمر أربع سنوات، يتولى التدريس فيها رجل يدعى شيخ الكتاب (الملا) أو امرأة تسمى (خجا)^٣، وكانت تضم الأطفال من الجنسين. مكان الدراسة عبارة عن حجرة صغيرة رطبة، يجلس فيها الأطفال على متاع بسيط من الصباح حتى المساء^٤. الطلاب في هذه المرحلة يختمون القرآن ويجري لهم احتفالاً خاصاً بهذه المناسبة تتناسب مع الإمكانيات المادية لعائلة التلميذ. يلبس الولد ثياباً جديدة أعدت من قبل أهل فيزيونونه، ويحمل القرآن على رأسه فوق كرسي صغير يوضع عليه القرآن حين القراءة، ويطوف به الشيخ والأولاد شوارع البلد معلنين بذلك ختام قراءته، ينتقل بعدها إلى مرحلة أعلى يتولى التعليم فيها شيخ يتقاضى أجراً أسبوعياً تسمى خميسية^٥.

أما كتاتيب القرى تبدأ فيها الدراسة بسن متأخرة السابعة أو الثامنة، وتكون في فصل الشتاء حتى لا يتعطلون عن الأشغال الزراعية، ويكونون في تلك الفترة عاطلين عن العمل، أما في فصلي الربيع والصيف فيترك التلميذ الكتاب للعمل مع والده في الحقل. مدة الدراسة في هذه الكتاتيب بين ثلاث وأربع سنوات^٦.

لم يكن هناك أي ترتيب أو نظام أو أية مراعاة للقواعد الصحية في الجلوس، أو في توقيت الدوام، وبقي الأمر على هذا الحال حتى عهد مدحت باشا والي سوريا الذي أمر بتنظيم الكتاتيب؛ غير أن هذا التنظيم لم يدخل إلا إلى عدد قليل من الكتاتيب، وبقيت معظمها حتى أواخر العهد العثماني

^١ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م: البيان والتبيين، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة، مطبعة أبو الفتح، ١٩١١م، ج ١، ص ٥١.

^٢ الخالدي: أنظمة التعليم،، ج ١، ص ٨٢.

^٣ خجا: كلمة تركية بمعنى معلمة. فخري البارودي: مذكرات البارودي، تحقيق: دعد حكيم، منشورات وزارة الثقافة، د.ط، ١٩٩٩م، ج ١، ص ٢٩.

^٤ البارودي: مذكرات البارودي،، ج ١، ص ٢٩.

^٥ سميت خميسية لأن الأولاد كانوا يأتون بالأجر يوم الخميس وكان يتراوح بين القرش والبشك. عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٢٥٤/ البارودي: مذكرات فخري البارودي،، ص ٣٢.

^٦ طلال عترسي: البعثات اليسوعية مهمة في أعداد النخبة السياسية في لبنان (دراسة وثائقية تاريخية)، الوكالة العالمية للتوزيع، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٥٢، ٥٣/عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ص ٢٥٤.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

على حالتها البدائية وعلى إهمالها للأمور الصحية دون أن تتقدم خطوة في ترتيبها وتدريسها ونظامها^١.

كان عدد كتاتيب بلاد الشام عام ١٨٧٢م يزيد على (٢٠٠) منها (٣٠) مكتباً للإناث والباقي للذكور، توزعت في دمشق، وبيروت، وطرابلس، وحماه، وحواران^٢ ليرتفع عام ١٢٩٨-١٢٩٩هـ/ ١٨٨٠-١٨٨١م إلى ٤٤٨ مكتباً^٣.

أما في فلسطين فقد وجد عدد كبير من الكتاتيب تركزت بشكل خاص في المدن، ففي القدس وجد سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م (٣٥) مكتباً للصبيان، وكانت تقام هذه الكتاتيب في البيوت، وتضم حوالي (٥٢٥) طفلاً^٤، وفي مدينة غزة أيضاً وجد أكثر من خمسة عشر مكتباً للأطفال، وكان أكثرهم يقام في الجوامع^٥.

* كتاتيب المسيحيين (تحت السندانية)^٦:

وهي الوجه المقابل للكتاب لدى المسلمين سواء في بساطة الشكل أو في طريقة التعليم، ومضمونه الديني أساساً. وللطائفة المسيحية وحدها الحق في إنشاء مؤسساتها الخاصة تحت سلطة رؤسائها الروحيين تبعاً لنظام الملة الخاص بالكنيسة^٧.

يذهب الأولاد إلى الكتاب بعد بلوغهم الرابعة أو الخامسة من العمر، يتعلمون فيها اللغتين العربية والسريانية وأصول الفضائل المسيحية وخدمة القدا، ومبادئ اللغة العربية، وأحياناً تعلم مبادئ الحساب واللغة الأجنبية الفرنسية والإنكليزية^٨.

^١ مجلة المقتطف: السنة السابعة،، ص ٤٧٥-٤٧٦.

^٢ سالنامه: ولاية سورية عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧٣م، دفعة ٤، ص ١٣٢-١٦٢.

^٣ سالنامه: ولاية سورية عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م، دفعة ١٣، ص ٢٤٨.

^٤ المقتطف: السنة السابعة،، ص ٤٧٢-٤٧٣.

^٥ عارف العارف: تاريخ غزة، مطبعة دار الأيتام، القدس، ١٩٤٣م، ص ٢٥٩.

^٦ تعود تلك التسمية إلى أن حلقات التدريس كانت تتم تحت شجرة السنديان المزروعة بالقرب من الكنائس وقد ورد في المشرق ما يوضح ذلك "أن مررت في لبنان قرب عين ماء عذب في ظل جورة أو سنديانة بجوار كنيسة فسمعت ضوضاء، ورأيت عصابة جالسين على الأرض متربعين شأن أهل بلادنا، يقرأ هذا بصوت جهير، ويترنم البعض بلحن سرياني ورأيت في الوسط رجلاً عابساً بيده قضيب، فقليل هذه هي المدرسة وهذا المعلم " المشرق: العوائد اللبنانية، السنة الثانية، ١٨٩٩، ص ١٦٨-١٧٢.

^٧ حسان قبسي: الدولة والتعليم في لبنان، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، بيروت، د.ط، ١٩٩٩م، ص ١٠٨.

^٨ شاكر الخوري: مجمع المسرات، مطبعة الاجتهاد، بيروت، ١٩٠٨م، ص ٥/ انظر أيضاً عبد الله حبيب نوفل: تراجم علماء طرابلس الفحاء وأدبائها، مطبعة الحضارة، طرابلس، د.ط، ١٩٢٩م، ص ٩١-٩٢.

بالإمكان تلخيص الموصفات العامة لهذا الكتاب وقوانينه بالعودة إلى ما ذكره كتاب (أحاديث القرية) بالقول: ".... كانت مقاعد الدراسة الفروية شتاءً والحجارة والأرض صيفاً، وللمعلم كرسي الكنيسة، وهو من خشب التوت المعمر.... أما مدة الدراسة فكانت مختلفة بينها، أما على مدار السنة من تشرين الأول حتى أواسط تموز، ولا تتخلل هذه المدة لا فرص ولا أعياد، وعلى الدير أن يخص راهباً بتعليم الصغار القراءة والكتابة مجاناً، مع راتب من الوقف وأرغفة من الخبز، وبضع بيضات من التلاميذ.... والتلميذ يقبل في المدرسة من سن خمس سنوات وما فوق.... كان يتعلم الرموز الكتابية حتى يتسنى له القراءة، وأما الغرض من الكتابة فكان الخط وتصوير الألفاظ، وفي الحساب عدّ الأرقام وكتابتها، ومتى ختم الطفل الإنجيل المقدس أو المزامير، كان ذلك حدثاً عظيماً للأهل يقام من أجله الاحتفال"^١. استمرّ هذا النوع من الكتابات حتى منتصف القرن التاسع عشر؛ إلا أنها كانت بشهادة من عاصرها، وتلقى مبادئ القراءة فيها أنها كانت عديمة الفائدة تقريباً، وذلك لأسباب فرضت عليها وعلى تلامذتها^٢ في حين أكدّ آخرون أن المدارس الدينية كانت هي المنطلق الحقيقي للحركة التعليمية، ومدرسة تحت سنيديانة تعد فخر التعليم في لبنان ورمز التراث التربوي وهي إحدى العلامات الفارقة لبداية التعليم فيه^٣.

ب. المدارس الدينية التقليدية:

كانت هذه المدارس بعيدة عن نظام الصفوف، لم يكن لها نظام يرجع إليه ولا سجلات رسمية بأسماء الطلاب ولا دوام محدد، فقد تبدأ الدروس منذ الفجر، وتنتهي بعد العشاء، يحضر الطالب الدروس التي يريدها بمحض إرادته، ولا رقيب عليه سوى ضميره. الشيء المتعارف عليه أن الطالب يبدأ التعليم بحفظ المتون في مبادئ العلوم، وقد يرحل بعدها إلى أقطار إسلامية عدة؛ ليأخذ العلم عن الشيوخ المشهورين فيها، أو تعطى بها وفي أوقاتها^٤.

تقسم المدارس الدينية إلى أنواع فهناك:

* دور القرآن لتعليم تلاوة القرآن * دور الحديث لدراسة الحديث * ومدارس الشافعية لتعليم الفقه الشافعي * والحنبلية لدراسة الفقه الحنبلي * والمالكية لدراسة الفقه المالكي * ومدارس الأحناف ويدرس فيها الفقه الحنفي.

^١ مارون عبود: أحاديث القرية، كتاب نت، د.م، ١٩٤٥م، ص ١٥٠ وما يليها.

^٢ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ٤٤.

^٣ أندريه جدعون: تاريخ التعليم في لبنان ونشأة المدرسة اللبنانية عبر التاريخ (تعيين معلم حيث لا يوجد معلم)، مجلة اتحاد أور، ١٨ نوفمبر، ٢٠١٧م.

^٤ محمد شكري الألوسي: المسك الأذخر وتراجم علماء بغداد في القرن الثاني والثالث عش، مطبعة الآداب، بغداد، د.ط،

١٩٣٠م، ج ١، ص ٨.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

انحصرت الدروس في تلك المدارس بالعلوم اللغوية والدينية كالنحو والصرف والبديع وقليل من المنطق والحساب^١.

كان يتبع في إعطاء الدروس طريقتان:

- الإلقاء: كان المدرّس يتبعها في حال حفظه للمعلومات التي يود إعطاءها.

- القراءة من الكتاب وتوضح عباراته جملة فأخرى مع التعليق على الحاشية^٢.

وكانت العادة المتبعة عند البدء بالدرس أن يقوم الشيخ بذكر سنده لذلك الكتاب، ذكر مشايخه والآخذين عنهم، والمجازين منهم^٣.

٢. التعليم الحديث:

أ. التعليم العسكري:

شعرت الدولة العثمانية بضرورة إنشاء مدارس عسكرية يدرّب التلاميذ فيها حسب النظم الحديثة، وذلك إثر الانهزامات العديدة التي لحقت بها في حروبها مع الدول الأوروبية. ولما كان تعليم العلوم التي تتطلبها الفنون العسكرية تحتاج إلى مدة أطول من الفترة المحددة لتلك المدارس فإنّ هذا ما دفعهم إلى إنشاء مكاتب الإعدادية العسكرية؛ لتزويد الطلاب في سن مبكر بالمعلومات الضرورية التي تلائم حياتهم وتساعدهم على تلقي الفنون العسكرية في المدارس الاختصاصية العالية، كما أسسوا المكاتب (الرشدية العسكرية) ومهمتها إعداد الطلاب لتلقي الدروس في الإعداديات العسكرية^٤.

أسست أول مكتب إعدادي عسكري في دمشق عام ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م ومدة الدراسة فيه أربع سنوات، وتضمنت مواد تدريسه ما يلي: هندسة، جبر، جغرافيا، فرنسي، تاريخ عثماني، رياضيات، وغيرها^٥.

بينما أنشئت ثلاثة مكاتب رشدية عسكرية في دمشق، حلب، وبيروت^١.

^١ كرد علي: خطط الشام،، ج ٦، ص ٦٨.

^٢ محمد الشطي: أعيان دمشق في القرنين الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر، المكتب الإسلامي، دمشق، ط ٢، ١٩٧٢، ص ٩٤.

والشطي: روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر، دار البقطة، دمشق، ١٩٤٦، ص ٦، ١٦٧، ٢٠٩.

^٣ ظافر القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره، الصيغة الهاشمية، دمشق، ط ١، ١٩٦٥م، ص ٣٨.

^٤ بيات: المؤسسات التعليمية،، ص ٢٧٠-١٧١.

^٥ القساطلي: الروضة الغناء في دمشق الفيحاء،، ص ١١٩-١٢٠ / وسالنامة ولاية سورية عام ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م،، ص ١٠٢، و سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠،، ص ١٢٥-١٢٦.

ب. التعليم المدني:

- المدارس الملكية (الرسمية):

وهي المدارس التي تديرها الدولة وتشرف عليها، إذ يتم تعيين مديريها ومعلميها من قبل الدولة، وتسمى عادة مكتب وجمعها (مكاتب)^٢. ويعود السبب الذي دفع الدولة إلى إنشائها شعورهم بالحاجة إلى نوع جديد من التعليم يختلف عن التعليم الديني في مبادئه وأأسسه ومواده، ويساير روح العصر واتجاهاته؛ لهذا أصدر الباب العالي قانوناً سنة ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م لإصلاح التعليم وبموجبه، كما ذكر سابقاً، أخذت الحكومة على عاتقها حق الإشراف على التعليم بعد أن كان بيد رجال الدين^٣ وبموجب هذا القانون قسمت هذه المدارس إلى خمسة مكاتب.

- المكاتب الابتدائية: نصّ نظام المعارف على وجوب وجود مدرسة ابتدائية في كل قرية، أو على الأقل في كل قريتين على أن يدفع أهلها نفقات إنشاء المدرسة وتعميرها ومخصصات المعلمين فيها، والتعليم فيها إلزامي^٤. على الرغم من صدور هذا القانون غير أن نظارة المعارف لم تقم بأي عمل من شأنه أن يبرهن أنها جادة في تنفيذ قرارها، والعمل الوحيد الذي قامت به هو فتح بعض المكاتب الرشدية، وتركزت التعليم الابتدائي للمكاتب القديمة للمدارس الخاصة والتبشيرية^٥. وقيل أنه تم تأسيس أول مكتب ابتدائي حسب المفهوم الجديد سنة ١٢٩٩-١٣٠٠هـ / ١٨٨١-١٨٨٢م^٦.

مدة الدراسة في هذه المرحلة أربع سنوات تدرس فيها العلوم الدينية (استظهار القرآن والتجويد) والقراءة والكتابة باللغة العثمانية،^٧ بالإضافة إلى الحساب والجغرافيا والتاريخ، وفي هذه المكاتب لا يتعلم التلميذ أي لغة أجنبية^٨.

^١ لمعرفة المزيد من المعلومات عن هذه المكاتب انظر سالنامه ولاية سورية ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م،، ص ٢٤٨، وسالنامه ١٣٠٠هـ / ١٨٨١م، دفعة ١٥، ص ١١٨ / وسالنامه ولاية سورية عام ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م،، ص ٢٠ / وسالنامه ولاية حلب ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م،، ص ٦-٨٤-٨٥.

^٢ بيات: المؤسسات التعليمية،، ص ٢٧١.

^٣ الدباغ: الحياة الفكرية في القرن التاسع عشر،، ص ١٠٥.

^٤ يذكر عوض في كتابه أن إلزامية التعليم لتلك المرحلة كانت حبراً على ورق، وهو نظام اقتبسته الدولة العثمانية من الأنظمة الغربية دون أية دراسة لقدراتها المالية، ودليل ذلك الحالة العلمية المختلفة في جميع الولايات وعجز إدارة المعارف عن فتح المدارس في المدن ناهيك عن القرى، عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٢٥٥.

^٥ العارف: تاريخ غزة،، ص ٢٥٨-٢٥٩.

^٦ جحا: الحياة الفكرية في حلب،، ص ٨٣.

^٧ كان التعليم في المكاتب الابتدائية بالتركية بالرغم من أن دستور المعارف نصّ على جعل لغة التعليم باللغة المحلية، وقد طبق هذا الأمر عندما أسست المكاتب الابتدائية في ولاية سوريا في عهد مدحت باشا، وعيّن الشيخ طاهر الجزائري مفتشاً لها تمكن ذلك الشيخ من جعل العربية لغة التعليم. نوفل: الدستور،، مج ٢، ص ١٥٦-١٥٧. / الحصري:

- **المكاتب الرشدية**^٢: تأتي مرحلة التعليم الرشدي في ترتيبها بين التعليم الابتدائي والإعدادي يقبل فيها الطلاب الذين أتموا تعليمهم في الكتاب والمكاتب الابتدائية، وكان يتم قبول التلاميذ مجاناً في هذه المرحلة. ووفقاً لنظام المعارف فقد نصّ على وجود مكتب رشدي واحد في كل بلد لا يتجاوز عدد سكانه (٥٠٠) بيت شريطة أن يكونوا مسلمين أو مسيحيين، أما إذا كان أهل البلد مختلفين فيجب أن يقدّر عدد السكان بـ (١٠٠٠) بيت، ويتحمّل صندوق إدارة معارف الولاية جميع نفقات المدارس الرشدية^٣ مدة الدراسة نحو أربع سنوات، أما مناهج التدريس فهي العلوم الدينية واللغة العثمانية كونها لغة التعليم^٤، ومبادئ اللغتين العربية والفارسية، ويعود ذلك للاستفادة من العربية في تفسير القرآن والحديث، أما الفارسية فللاستعانة بها في دروس الأدب العثماني، ولا يتعلّم التلميذ أي لغة أوروبية^٥.

أول مكتب رشدي افتتح في بلاد الشام من هذا النوع في حلب سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م مكتب المنصورية الرشدية^٦. وأنشأ داوود باشا^٧ متصرف لبنان عام ١٢٧٨-١٢٨١هـ/١٨٦١-١٨٦٤م مكتباً في عبيه سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، وأطلق عليه اسم المدرسة الداودية نسبة إليه، أما في القدس فقد افتتح فيها مكتب رشدي سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م^٨.

- **المكتب الإعدادي**: نصّت المادة ٣٤ في دستور المعارف على إنشاء مكتب إعدادي في كل من القصبات التي يتجاوز عدد البيوت فيها ألف بيت، ويدفع صندوق إدارة معارف الولاية جميع نفقات

حولية الثقافة، السنة الأولى،، ص ٥-٩. وأيضاً أحمد حلمي العلاف: دمشق في القرن العشرين، تعليق: يوسف جميل نعيصة، دمشق، د.ط، ١٩٧٦م، ص ١٩٦-١٩٨.

^١ عوض: الإدارة العثمانية،، ص ٢٥٤.

^٢ أدمجت المدارس الرشدية مع الإعدادية في أواخر العهد العثماني وأصبحت مدة الدراسة فيها سبع سنوات وأصبحت مراحل الدراسة الابتدائية ثم الإعدادية، انظر البارودي: مذكرات البارودي،، ج ١، ص ٣٠/عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، هامش (١)، ص ٢٥٥.

^٣ الحصري: حولية الثقافة، السنة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، د.ط، ١٩٤٥م، ص ٥-٧/عترسي: البعثات اليسوعية،، ص ٣٠/نوفل: الدستور،، مج ٢، ص ١٥٩-١٦٠.

^٤ إن جعل لغة التعليم في المكاتب الرشدية التركية دفع الطلاب إلى حفظ أكثر الألفاظ التركية دون فهم معانيها. الحصري: حولية الثقافة، ...، ص ٥-٧.

^٥ عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٢٠٥.

^٦ سالنامه ولاية سورية ١٣٠٨-١٣٠٩هـ/١٨٩٠-١٨٩١م،، ص ١٩/علي كرد: الخطط،، ج ٤، ص ٨٢.

^٧ داوود باشا: ولد في القسطنطينية سنة ١٨١٦م من أبوين أرمنيين، كان من الموظفين في الدولة العثمانية، ارتقى إلى مناصب عدة، ومنها منصب السفارة النظارة، ومنها نظارة المطبوعات والتلغراف، عين متصرفاً للبنان عام ١٨٦١م، قام بإصلاحات عدة، منها تنظيم المجالس، وتأسيس دار الحكومة في دير القمر. إبراهيم الأسود: تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مجلدان، مطبعة جاورجيوس، بيروت، ١٩٢٥م، مج ١، ص ٤٧.

^٨ المقطف: السنة السابعة،، ص ٤٧٣.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

إنشاء هذه المدارس. وعلى الرغم من هذا فقد اقتصر تأسيس المكاتب الإعدادية حتى نهاية العهد العثماني على مراكز الولايات والألوية^١.

توزعت هذه المكاتب على نوعين:

* إعداديات الولايات: مدة الدراسة فيها سبع سنوات، الثلاث الأولى منها رشدية.

* إعداديات الألوية: مدة الدراسة فيها خمس سنوات، الثلاث الأولى منها رشدية.

كانت هذه المكاتب تقبل جميع الطلاب بغض النظر عن ديانتهم شرط أن يكون الطالب حائزاً على شهادة المكتب الابتدائي إذا أراد الدخول في المرحلة الثانية الرشدية، أو أن يكون حاصلاً على شهادة المكتب الرشدي إذا ودّ الانتساب إلى القسم الإعدادي.

كانت المكاتب الإعدادية نهائية، غير أنه وجد في مركز الولايات قسم داخلي لتلك المكاتب يضم الطلاب الغرباء (أبناء المناطق البعيدة)، ويؤخذ من هؤلاء رسوم معينة لقاء مصاريف إقامتهم الداخلية وقيمة هذه الرسوم (١٢) ليرة عثمانية تدفع على ثلاثة أقساط^٢.

مناهج الدراسة في هذه المكاتب هي اللغة العثمانية، والحساب، والهندسة، والقانون العثماني، والتاريخ العام، والجغرافيا، والمنطق، والكيمياء، والجبر، والرسم^٣.

كان البدء بتأسيس هذه المكاتب الرسمية في بلاد الشام سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م حيث أسس (مكتب عنبر)^٤ في دمشق ومكتب (البسطة)^٥ في بيروت، و (الميمونة) في القدس^٦.

^١ نوفل: الدستور،، مج ٢، ص ١٦٢/عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٢٥٥.

^٢ الحصري: حولىة الثقافة، السنة الأولى،، ص ٥-٧/البارودي: مذكرات البارودي،، ج ١، ص ٤٣/التميمي، بهجت: ولاية بيروت،، ج ٢، ص ٢٧٧/عبد الباسط الإنسي: دليل بيروت ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م، تقويم الإقبال، السنة الأولى، ص ٨١./ سالنامة ولاية بيروت، ١٣١١هـ / ١٨٩٣م، ص ٢٣٧-٢٣٩.

^٣ عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٢٥٥.

^٤ مكتب عنبر: نسبة إلى الخواجا يوسف عنبر، الثري اليهودي الذي عجز عن اتمام بنائه، فصادرت الدولة العثمانية وجعلت منه أول مدرسة تجهيزية في دمشق، وكان ذلك سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م، وما يزال إلى اليوم أحد معالم دمشق التاريخية/ البارودي: مذكرات البارودي،، ج ١، هامش (١)، ص ٨١.

^٥ كان موقع المكتب في البسطة التحتانية في مجلة الباشورة، انظر الإنسي: تقويم الإقبال،، ص ٨١.

^٦ سميت بالميمونة نسبة إلى فارس الدين أبو سعيد ميمون بن عبدالله خازن، صلاح الدين انظر العارف: تاريخ القدس،، ص ٨١.

- المدارس العالية: وتشمل:

* دار المعلمين:

ذكر فيما سبق أن الدولة العثمانية افتتحت المكاتب الابتدائية، وكانت تعين لها الأساتذة من خريجي المدارس الدينية والرشدية، ونظراً لجهل المتقدمين لوظيفة التعليم وبشكل خاص جهلهم باللغة التركية وبالعلوم الحديثة اضطرت الحكومة لافتتاح دور المعلمين لتأهيلهم للمدارس الابتدائية.

وأول دار افتتح في بلاد الشام كان في دمشق عام ١٣١٢هـ/١٨٩٤م^١.

مدة الدراسة في هذا الدار اختلفت بين شعبة وأخرى، فشعبة الطلاب الذين يعدون للتدريس في المدارس الرشدية ثلاث سنوات، وستان للتعليم في المكاتب الابتدائية^٢.

* المكاتب الصناعية:

في دمشق أسس مدحت باشا مكتباً سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م بهدف إيواء الأطفال الأيتام وتعليمهم القراءة والكتابة والحساب، بالإضافة إلى تعليمهم حرفة معينة كالحداثة وسبك الحروف والخياطة، وإصلاح الآلات الميكانيكية وغيرها^٣. أنشأ بعدها العديد من هذه المكاتب في كل من بيروت وحلب^٤.

* التعليم الزراعي

تعود بدايته في بلاد الشام لعام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م، عندما أرسل مجموعة من الشبان إلى فرنسا ليتعلموا أصول تربية دودة الحرير^٥. أما افتتاح أول مكتب كان عام ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م في السلمية غير غير أنه سرعان ما أهمل^٦.

- المكاتب السلطانية:

ويقبل في هذه المدارس الطلاب الناجحون في امتحان المرحلة الإعدادية، ولا توجد مدارس من هذا النوع إلا في مركز الولاية^٧.

^١ النشرة الرسمية العثمانية عن التعليم للعام الدراسي ١٣٢٩-١٣٣٠هـ/١٩١١-١٩١٢م، ص ٣٦-٣٧.

^٢ عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٢٥٦-٢٥٨/سالنامه ولاية سوريا ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، ص ٤٨، وسالنامه ١٣١٣ هـ/١٨٩٥م، ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، ص ٢٢٩.

^٣ مدحت باشا مذكرات مدحت باشا،، ص ١٥٦/الصباغ: معالم الحياة الفكرية في الولايات العربية في العصر العثماني ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)، منظمة المؤتمر الإسلامي، استانبول، د.ط، ١٩٩٩م، ص ٤١٦.

^٤ أنشأ هذا المكتب في بيروت سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧ وفي حلب سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١ / لمعرفة المزيد عنهم انظر سالنامه سالنامه ولاية حلب ١٣٢١، ص ١٤١، ١٣٩-٣٩٨، ص ١٣٦ / وأيضاً الأنسي: دليل بيروت،، ص ١١٠-١١١.

^٥ علي الحسني: تاريخ سورية الاقتصادية، مطبعة بدائع الفنون، دمشق، د.ط، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، ص ٥٨.

^٦ الغزي: نهر الذهب،، ج ١، ص ٤٨.

^٧ عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٢٥٦.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

- لا بدّ من ذكر أنّ جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت وقبل تحويلها إلى مجلس شعبة المعارف عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م، فكرت بإنشاء مدرسة سلطانية، إلا أن الحلم توقف بعد تحويلها إلى مجلس المعارف، ليكمل هو هذه المهمة، وقد قدمت السلطات العثمانية كل أنواع الدعم والمساعدة لهذه المدرسة، حيث قدمت مبلغاً قدره ستة آلاف قرش^١.
- ويشترط على التلميذ للدخول أن يدفع رسوماً تختلف من واحد لآخر، فالدارس ليلاً يدفع مبلغاً يتراوح بين ٢٠-٣٠ ليرة عثمانية، في حين يدفع التلميذ الذي يدرس نهاراً نصف مبلغ الرسوم الليلية، والتلميذ الخارجي يدفع ربع تلك الرسوم^٢.
- فتحت تلك المدرسة أبوابها لكل الطوائف التابعة للدولة العثمانية، مع الإذن لكل ذي دين أن يؤدي وظائف دينه من عقائد وفرائض حسب معتقده، وإلزام المسيحيين يوم الأحد أن يذهبوا لأداء عباداتهم^٣.

وتقسم الدراسة إلى مرحلتين:

- * القسم العالي: الدراسة فيه ست سنوات يتفرّع عنها شعبتان:
الأولى للآداب أهم مواد الدراسة فيه: فن الكتابة والإنشاء التركي، والمؤلفات المتعلقة بالآداب العربية والفارسية، والمعاني، واللغة الفرنسية والتاريخ وحقوق الأمم.
الشعبة الثانية: للعلوم، مواد تدريسه هي: الهندسة، المناظر، الجبر، الفلسفة الطبيعية، تخطيط الأرض وغيره.
- * القسم المعتاد (العادي): الدراسة فيه ثلاث سنوات، مواد الدراسة كمنهج المرحلة الإعدادية، والتعليم في هذه المدارس باللغة التركية^٤.

- المدارس الخاصة:

هي المدارس التي لم تخضع لإدارة المعارف، والتي كان لها نظامها وبرنامجه الخاص. أقيم هذا النوع من قبل الطوائف والأفراد والأجانب، ولا يتم تعيين منتسبيها من قبل الدولة بل من قبل مؤسسيها الذين يتحملون نفقاتها، وتستوفى الأجور من طلبتها^٥. وقد عرّفها نظام إدارة المعارف بأنها

^١ عبد القادر الجندي: الحياة التعليمية في بيروت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، مجلة صوت الجامعة، لبنان، العدد التاسع، ٢٠١٦م، ص ١٦١.

^٢ عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٢٥٦/بيات: المؤسسات التعليمية،، ص ٢٧٢.

^٣ جريدة ثمرات الفنون: العدد ٦٨، ١٣٠٥هـ / ١٨٣٨م.

^٤ نوفل: الدستور،، مج ٢، ص ١٦٣-١٦٤/ عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٢٥٧/ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ٥٣.

^٥ بيات: المؤسسات التعليمية،، ٢٧١.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

المكاتب التي تحدث في بعض المحلات، وتؤسس من قبل جمعيات أو أفراد سواء أكانوا من رعايا الدولة أو الأجانب. واشترط النظام على هذه المدارس ما يلي:

١. الحصول على رخصة رسمية من إدارة معارف الولاية (الوالي) قبل فتح تلك المدرسة.
٢. يجب أن تكون شهادات الهيئة التدريسية في المدرسة الخاصة مصدقة من إدارة المعارف المحلية.
٣. يجب عرض جداول الدروس وكتب التعليم على إدارة المعارف كي لا تطالع في هذه المكاتب دروس مغايرة للآداب والسياسة.

وتفرّع عن هذه المدارس نوعان:

- * مدارس وطنية أسسها أفراد وجماعات من الأهالي.
 - * مدارس أجنبية أسسها أفراد أو جماعات أجنبية، وكانت في معظمها مدارس تبشيرية^١.
- ونظراً للدور الذي لعبه هذا النوع من المدارس في النهضة الفكرية فإننا سنتحدث عنها بشكل مفصّل من فقرة (أهم مظاهر) النهضة الفكرية في القرن التاسع عشر.
- نظرة في الأوضاع التعليمية العامة للمدارس العثمانية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر:

لتقييم أوضاع المدارس العثمانية العامة سنبدأ أولاً بإلقاء نظرة على أهم التيارات الاجتماعية التي وجدت في بلاد الشام في تلك الفترة.

عندما بدأ العثمانيون بإصلاح التعليم كان هناك تياران، أحدهما محافظ يدعو إلى السير على خطا السلف الصالح والاقتناع بما هو موجود، وعدم الأخذ عن الأوروبيين، وعرف هذا التيار باسم (علماء الدين المحافظون)، بالمقابل وجد فريق آخر رأى ضرورة الأخذ عن الحضارة الأوروبية في جميع نواحيها المادية والروحية، ومثّل هذا التيار الأشخاص المولعون بالثقافة الأوروبية، والذين طرحوا الاعتبارات الدينية جانباً وكان معظم هؤلاء من خريجي المدارس العسكرية المطلعين على حضارة الغرب.

بين هذين الفريقين وجّد فريق وسط كان مقتنعاً باقتباس العلوم والصناعة الأوروبية لكنّه يرى في الوقت ذاته الإعراض عن الفلسفات الأوروبية؛ لأن الدولة العثمانية بنظره لا تحتاج إلى فلسفة أو عقيدة جديدة. وقد انضمّ هؤلاء إلى الفريق الثاني، وقادوا حركة الإصلاح في ظروف قاسية، وأدخلوا العلوم الحديثة إلى المناهج الرسمية، إلا أنهم تحاشوا كل ما من شأنه أن يثير علماء الدين، فتركوا المدارس الدينية وشأنها^٢.

^١ عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٢٦٣.

^٢ الحصري: محاضرات في نشوء الفكرة القومية، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٥٩م، ص ١٣٨/ جميل صليبا: الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث، المطبعة الكمالية، دم، ١٩٥٩م، ص ٥٨/ محمد بهيجة

- أما بالنسبة للأوضاع التعليمية العامة للبلاد لمعرفتها سنأخذ بالحسبان عدّة أمور وهي:

• ما هو الهدف الأساسي للعثمانيين من بناء المدارس؟

• طرق التعليم والكتب المدرسية.

• مدى فهم واضعي المناهج للطبيعة الإنسانية.

• ما هي مساوئ جعل العثمانية لغة التعليم الرسمية؟

- الهدف الأول والأساسي من افتتاح المعلمين المدارس (الرشدية والإعدادية والسلطانية، والعالية)

هو إعداد الموظفين لدوائر الدولة ومصالحها، ولهذا أولوا عنايتهم لتعليم اللغة العثمانية وآدابها^١، بالإضافة إلى شعورهم بالحاجة إلى نوع جديد من التعليم يختلف عن التعليم الديني في مبادئه وأسسهِ ومواده ويساير روح العصر، لهذا أصدر الباب العالي قانوناً ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م لإصلاح التعليم الذي يخوّل الحكومة حق الإشراف على التعليم^٢.

في حين نجد أن الكتب المدرسية التي يُسمح بتدريسها في المدارس هي الكتب التي تُولف بناء على إعلان مسابقة عن تأليفها، أو تترجم من قبل أشخاص تكلفهم الدولة أو ما تقرره الوزارة^٣. وقد نصّت المادة العشرون من القانون الأساسي الصادر لعام ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م بعدم السماح بإصدار مؤلف إلا بتصريح رسمي من وزارة المعارف، ويطلب من كل شخص يطبع أي مؤلف أن يتقدم بخمس نسخ للوزارة^٤.

فيما يخص المناهج: لم يكن لواضعي المناهج أية دراية بالطبيعة الإنسانية وقدرتها على الاستيعاب، وليس لهم معرفة بأحوال الولايات، وطبائع أهلها، ومتطلباتها الأساسية. هذا الأمر دفعه إلى حشد أكبر كمية من المعلومات من المناهج دون أن يحققوا أي انسجام أو ترابط في مناهج الدراسة في مراحلها المختلفة^٥.

وأخيراً نختم بذكر مساوئ جعل العثمانية لغة التعليم الرسمية في الولايات العربية

- بقيت اللغة العثمانية غريبة في بلاد الشام حتى عهد التنظيمات على الرغم من كونها اللغة الرسمية للدولة، ثم أصبحت تنتشر بعد ذلك على حساب اللغة العربية وذلك بسبب تطبيق الإصلاح، وما نتج

البيطار: الثقافات الصفراء والبيضاء، مطبعة ابن زيدون، د.م، ١٩٥٠م، ص ٥٠-٥٢/ شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، مطبعة المنارة، مصر، د.ط، ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م، ص ٦٥-٩٦.

^١ محمد رضا: كلمات في التربية، مصر، د.ط، ١٣٢٩هـ - ١٩١١م، ص ٢٠.

^٢ الدباغ: الحياة الفكرية في القرن التاسع عشر،، ص ١٠٥.

^٣ نوفل: الدستور،، مج ٢، ص ١٩٨، ٢٠١ - ٢٠٥.

^٤ لمعرفة المزيد. أنظر نوفل: الدستور،، مج ٢، ص ١٨٨-١٩٦.

^٥ مجلة المنار، مجلد ١٩، ج ٨، ص ٥٠٢.

عنه من تضخم في الجهاز الإداري لتغدو اللغة التركية ضرورية لإنجاز الأعمال الرسمية في دوائر الدولة، وللتوظيف في وظائفها^١، الأمر الذي أثر سلباً على أبناء العرب، ويعود ذلك لأسباب عدة هي:

- جعل العثمانية لغة التعليم في المرحلة الابتدائية، مخالف للأسس التربوية؛ لأن هذه اللغة لا صلة لها بحياة الطفل، إضافة إلى أن تعلمها يتم على حساب تكوينه وفعالياته ولغته الأصلية وهذا ما جعل التلميذ ينهي المرحلتين (الابتدائية والرشدية^٢) وهو جاهل للعثمانية والعربية معاً.
- إن التعليم بها -العثمانية- يجعل فهم الدروس صعباً لدرجة أن طلاب المكاتب الإعدادية ودور المعلمين كانوا يشكون من عدم فهم كلام الأساتذة الأتراك^٣.
- التقليل من الرغبة في التعليم بالمدارس الرسمية، الأمر الذي أدى إلى ترك الكثير من الطلاب دراستهم قبل الحصول على الشهادة^٤.
- تدني المستوى العلمي عند المتخرجين من المدارس الحكومية من أبناء العرب، ولذلك قلّ عدد النابغين منهم^٥.

- غير أن هذه الإجراءات المتبعة لم تكن لتتطلي على رجال النهضة العربية، ويتجلى ذلك واضحاً في المنشور الثالث لجمعية بيروت السرية^٥ عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م الذي ندّد بمحاولات الأتراك الرامية للقضاء على اللغة العربية، لذلك كان على رأس البنود التي اقترحتها الجمعية بأنه سيتم العمل على الاعتراف باللغة العربية لغة البلاد الرسمية^٦.

وعليه نجد أن التعليم في بلاد الشام في القرن التاسع عشر تطور تدريجياً متأثراً بالعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي كانت سائدة آنذاك، ففي البداية كان مقتصرًا على الكتاتيب والمدارس الدينية القديمة، ثم ظهر التعليم العسكري بعد دخول إبراهيم باشا إليها، وفي فترة الإصلاحات الإدارية أنشئت مدارس رسمية حكومية، تبعها ظهور مدارس وطنية وأجنبية اقتبست طرائق التدريس الحديثة والعلوم المتقدمة من بعض الدول لأوروبية.

^١ كرد علي: خطط الشام،، ج ٤، ص ٧٤، ٧٥.

وأنطونيوس: يقظة العرب،، ص ١٥٩.

^٢ محمد فؤاد جلال: التربية القومية، المطبعة النموذجية، مصر، د.ت، ص ٨٢.

مجلة التربية والتعليم: السنة الأولى، دمشق، ج ١١ و ١٢، ص ١، ٣٦٢، ٣٦٣.

^٣ الحصري: مذكراتي في العراق، جزآن، منشورات، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٨م، ج ١، ص ١٢٥.

^٤ كرد علي: خطط الشام،، ج ٤، ص ٦٣.

^٥ أصدرت عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥ من قبل خمسة شبان سنتطرق للحديث عنها ص ١٢١.

^٦ أنطونيوس: يقظة العرب،، ص ١٤٩-١٥٥.

الفصل الثالث: بواعث النهضة الفكرية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر

أولاً: المستشرقون وأثرهم في النهضة الفكرية

١. دوافع الاستشراق
٢. مواقف المفكرين العرب من الاستشراق
٣. المستشرقون ودورهم في النهضة الفكرية في بلاد الشام
٤. أثر المستشرقين على الحياة الفكرية

ثانياً: بواعث النهضة الفكرية في القرن التاسع عشر

١. الإرساليات التبشيرية: تقسم إلى
أ. الكاثوليكية ب. البروتستانتية ج. الروسية د. النمساوية هـ. الألمانية
٢. المدارس الحديثة: تقسم إلى
أ. مدارس الإرساليات التبشيرية ب. المدارس الوطنية
٣. الجمعيات:
- أ. العلمية والأدبية والسياسية في بلاد الشام
- ب. الخيرية
٤. الطباعة:
- أ. مطابع لبنان
- ب. الطباعة في سوريا
٥. الصحافة والتأليف:

بواعث النهضة الفكرية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر

أولاً: المستشرقون وأثرهم في النهضة الفكرية:

المفهوم الاصطلاحي للاستشراق كما هو متعارف عليه طلب علوم الشرق والاتجاه للتخصص في معرفتها. يقال: استشرق أي اتجه نحو الشرق وانتسب إليه^١، وقيل أيضاً أطلق لفظ الاستشراق على تلك المحاولة التي قام بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافته وعلومه^٢، بينما عرّف المستشرق بأنه المتخصص في علوم الشرق وحضارته وآثاره وفنونه^٣، وهو من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق سواء أكان في مجال الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، الاجتماع، أو التاريخ، أو فقه اللغة، وسواء أكان ذلك يتصل بجوانب الشرق عامة أو خاصة^٤.

أطلقت كلمة استشراق أول مرة عام ١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية، ومن ثم عرف بها كل من خبر لغات الشرق^٥.

غير أن الكثير من الباحثين ربطوا نشأة الاستشراق بالصدام العنيف الحاصل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية المسيحية.

فبعد أن استطاع الإسلام أن يبسط سلطانه على أجزاء كبيرة من آسيا وأفريقيا وجنوب أوروبا، مقيماً دولاً ذات قوة وحضارة أسهمت في تثقيف الإنسان مضيئة الكثير من المعارف والنظريات والآراء في مجالات مختلفة، أصيبت تلك الحضارة فيما بعد بالركود بعد أن انصرفوا إلى الترف واللهو، فطمع بهم عدوهم المترقب لأوضاعهم والطامع في أرضهم وفجأة انطلقت الحملة الصليبية مخترقة قلب العالم الإسلامي مقيمة لنفسها دولة صليبية في القدس، غير أن الفشل الذي منيت به تلك الحملة فيما بعد على يد (صلاح الدين الأيوبي) منعها من تحقيق أهدافها ومراميها، فكان لا بدّ من البحث عن وسيلة أخرى لتحقيق ما ترجو له، في السيطرة على شعوب العالم الإسلامي فكان الاستشراق هو ذلك البديل^٦.

^١ محمد فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات النهضة الإسلامية للتربية والعلوم و الثقافة، الرباط، د.ط، ٢٠١٢م، ص ١١٥.

^٢ محمد السيد الجنيد: الاستشراق والتبشير (قراءة تاريخية موجزة)، دار القاهرة، د.ط، ١٩٩٩م، ص ١٠.

^٣ النبهان: الاستشراق تعريفه مدارسه،، ص ١١٥.

^٤ إدوارد سعيد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، رؤية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠٠٨م، ص ١١.

^٥ النبهان: الاستشراق تعريفه ومدارسه،، ص ٨-٩.

^٦ الجنيد: الاستشراق والتبشير،، ص ١١.

وعليه، فإن البداية الأولى لهذه الحركة كانت نهاية القرن العاشر الميلادي وأوائل القرن الحادي عشر في فرنسا^١ هذا ما يخص الاستشراق ونشأته الأولى

١. أما بالنسبة لأهدافه ودوافعه فيمكن إرجاعها إلى عاملين ديني وسياسي.

أ. **الديني:** يعد الإسلام بالنسبة للغرب ظاهرة جديدة بالدراسة بالإضافة لكونه حقيقة لا مجال لإنكارها، وهو في الوقت نفسه خطر يهددها في حال يقظتها، من هنا بدأ سياسته^٢ التي تمثلت بإثارة الخلافات الدينية بين طوائف المسلمين وشعوبهم، متبعاً لتحقيق ذلك في شرح كثير من مبادئ الإسلام شرحاً يشوهه وينحرف به عن أهدافه الأصلية^٣، وغايتهم من وراء هذا الأمر إشغال المسلمين بها عن التفكير في عظام الأمور^٤، في الوقت الذي عمدوا فيه إلى تمجيد القيم المسيحية والحضارة الغربية، والنظام السياسي، والسلوك الفردي لتلك الشعوب^٥، وخير دليل على ذلك ما قاله أحد المستشرقين الفرنسيين ملخصاً ذلك: "صراحة لا بدّ من العمل على تفكيك تلك الرابطة التي تجمع بين المسلمين شرقاً وغرباً على سطح المعمورة فتجعل منهم أمة واحدة وهي رابطة الدين، لا بدّ من العمل على إضعاف هذه الروح السائدة التي تحرّك المسلمين من سباتهم حالما يتم الاقتراب من الكعبة، من البيت الحرام، من ماء زمزم المقدّس من الحجر الأسود....، وحققوا بأنفسهم الغريزة التي استحثتهم على ترك بلادهم في أقصى مدن العالم، للفوز بجوار الخالق في بيته الحرام، فاشتعلت جذوة الحمية الدينية في قلوبهم... إنّ رابطة الإخاء الجامعة بين أفراد المسلمين كقيلة بأن تجعل المسلم في شرق الأرض يهب لنصرة المسلم في غربها، فهي عامل مؤرق لفرنسا في المستعمرات التي تخضع لها، ومن هنا فإن العمل على إضعاف هذه الرابطة بين المسلمين كانت ولا زالت تمثل غايةً وهدفاً لنشاط المستشرقين^٦.

ب. **العامل السياسي:** هو العامل الأوضح في حركة الاستشراق، فهو في صورته الأولى تطلّع معرفي وهدف ثقافي^٧، غير أن محرّكه ودافعه الأساسي سياسي للسيطرة على ثروة الشرق، وبعدّ الاستشراق أهم وسيلة اعتمد عليها الغرب لغزو الشرق فكرياً، ومن ثمّ عسكرياً، لذلك كان الاعتماد على

^١ يعدّ الراهب الفرنسي (جرير دي أولياك) هو أول من اشتغل بعلوم الشرق. الجلنيد: الاستشراق والتبشير،، ص ١٣-١٤ / بنسالم حميش: العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠١١م، ص ١٤.

^٢ النبهان: الاستشراق تعريفه ومدارسه،، ص ١٥.

^٣ محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، ط٤، د.ت، ص ٢٣-٢٤.

^٤ الجلنيد: الاستشراق والتبشير،، ص ١٨.

^٥ البهي: الفكر الإسلامي الحديث،، ص ٢٤.

^٦ ذلك المستشرق هو (هانوتو) لمعرفة المزيد انظر لجلنيد: الاستشراق والتبشير،، ص ١٨ / البهي: الفكر الإسلامي، الإسلامي،، ص ٢٠-٢١.

^٧ النبهان: الاستشراق تعريفه ومدارسه،، ص ١٥.

المستشرقين بصورة فعّالة لدراسة نفسية الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم^١، فكانت مهمة المستشرق الاتصال بالعقول المفكرة في البلاد وكبار العاملين في المناصب القيادية في محاولة لاحتواء هذه الشخصيات، عن طريق الصداقة أو تقديم الخبرة لهم، ومن خلالهم يتمكنون من تنفيذ مخططاتهم في غزو البلاد. والمتابع لأحداث القرن التاسع عشر والعشرين يدرك مدى الصلة القوية بين الاستعمار والاستشراق^٢، دليل ذلك لم يكد ينتهي القرن التاسع عشر إلا وقد احتلّ الغرب معظم البلاد الإسلامية العربية^٣.

٢. من الطبيعي أن تتعدد المواقف وتتباين حول الاستشراق كظاهرة وكمدرسة فكرية، لذلك يمكننا تقسيم موقف المفكرين العرب بين رافض لهم وناقد ومحلل لأعمالهم.

أ. التيار المعارض لعمل المستشرقين: يبرز هذا التيار في المدرسة الإسلامية، ونختصر هذا الموقف الرافض المتشجع بما ورد في كتاب (العرب والإسلام في مرايا الاستشراق): "لا يعد الاستشراق كحركة استكشافية تبشيرية واكبت وعززت الحملات الصليبية الجديدة لأواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول للقرن العشرين، والمتمثلة في الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية، وبما أن الاستشراق من هذا المنظور لا يجد مكانته ووظيفته الطبيعيين إلا داخل الحرب الاستعمارية الصليبية ضد الإسلام، فإن من واجب المثقف المسلم أن يفضح حقيقته العدوانية التآمرية ويقف موقف المعارضة والتضاد، ولم يكن المعبرون عن هذا الموقف من العلماء التقليديين والدعاة السلفيين فحسب؛ وإنما نجدهم أيضاً من بين مفكرين إسلاميين لهم ثقافة غربية وحتى قدرة على التأليف بالفرنسية أو الإنكليزية"^٤.

ويعدّ كتاب (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) نموذجاً واضحاً وبلغاً لذلك الموقف الرافض، وأهم ما جاء فيه: "إن سياسة الاستعمار في الشرق الإسلامي تقوم على إضعاف المسلمين... في إسلامهم أولاً وبالذات"^٥ في الوقت الذي دعا فيه آخرون إلى محاولة تضيق الخناق على المستشرقين دون تمييز وغلق كل المخارج والمنافذ لهم، فكلهم في تشويه الإسلام سواء، وكلهم يتحملون خطيئته والتأثير سلباً على الفكر الإسلامي الحديث"^٦.

^١ الجنيد: الاستشراق والتبشير،، ص ٧٦.

^٢ النبهان: الاستشراق تعريفه ومدارسه،، ص ١٥-١٦/ الجنيد: الاستشراق والتبشير،، ص ٧٦-٧٧.

^٣ وضعت فرنسا يدها على لبنان ومعظم دول شمال إفريقيا الإسلامية، ووضعت انكلترا يدها على مصر والسودان والعراق والعراق والأردن وفلسطين وكثير من إمارات الخليج العربي، انظر الجنيد: الاستشراق والتبشير،، ص ٢٠-٢١.

^٤ حميش: العرب والإسلام في مرايا الاستشراق،، ص ١٦٢.

^٥ البهي: الفكر الإسلامي،، ص ٢٣.

^٦ بني مالك بني: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مجلة الفكر العربي عدد ٢٣، حزيران، ١٩٨٣ م.

ب. **الموقف التحليلي الناقد:** يبرز في كتابات علمية لمفكرين معاصرين وباحثين مقتدرين^١. هذا التيار ليس بعيداً من حيث الموقف عن سابقه (الإسلامي)، فهو يتلاقى معه في كثير من المواقف عن التراث العربي الإسلامي غير أنه يرد من خلال منهج نقدي علمي، ويدين بعض اتجاهات الاستشراق في تجاهله لكثير من الحقائق العلمية، وأوجه الخلاف بين هذه المدرسة وسابقتها أن التحليلية حاولت أن تدرس الأفكار الاستشراقية من منطلق موضوعي مستخدمة أسلوب الحوار الهادئ بخلاف المدرسة الإسلامية التي رفضت الفكر الاستشراقي وأدانتها وربطته بالتبشير والاستعمار، واتهمته بالتحيز والظلم والتعصب وخدمة أهداف مشبوهة، ونظرت إليه نظرة إدانة وحذر وريبة، وهاجمت آراءه ورجاله والمتأثرين به^٢.

وخير من يمثل تيار الموقف الناقد هو (إدوارد سعيد)^٣ الذي يبين غاية الاستشراق بكلمة معبرة فقال: "لقد استجاب الاستشراق للثقافة التي انتخبته أكثر مما استجاب لموضوعه (المزعوم) الذي كان هو أيضاً من نتاج الغرب، وهكذا فإن لتاريخ الاستشراق في آن واحد اتساقاً داخلياً وطعماً من العلاقات على درجة من الفصاحة والوضوح مع الثقافة المسيطرة المحيطة بها"^٤.

٣. أثر ظاهرة الاستشراق على الفكر العربي.

من الصعب أن ننكر أثر الدراسات الاستشراقية على الحياة الفكرية، وذلك من حيث تطوير المناهج العلمية، وتشجيع الدراسات النقدية، وإحياء بعض أمهات الكتب العربية وترجمتها، بالإضافة إلى الاهتمام بالدراسة المعجمية والموسوعية، وإيجاد مناهج للدراسات اللغوية في إطار اللغات الشرقية التي تمثل روح هذه الحضارة، كما أنه ليس من الخطأ القول بأن الدراسات الاستشراقية التي قام بها هؤلاء المستشرقون أسهمت في تكوين الظروف المناسبة للنهضة العربية التي شهدتها العالم العربي^٥. كما امتد نشاطهم في مجال الدراسات العربية، ف عقدوا المؤتمرات والندوات وألقوا المحاضرات في الجامعات العربية الإسلامية، كما تسللوا إلى المجامع اللغوية في كثير من البلاد العربية^٦، ولا ننسى

^١ من هؤلاء هشام حميط، عبدالله العروي، محمد أركون، وإدوارد سعيد، انظر حميش: العرب والإسلام،، ص ١٦٨.

^٢ البهي: الفكر الإسلامي،، ص ٧٤ وما يليها.

^٣ إدوارد سعيد: مفكر وناقد أدبي، أمريكي من أصل عربي، ولد في القدس عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م وتوفي أمريكا عام ٢٠٠٣م، التحق بالمدارس الابتدائية والثانوية في القدس ثم انتقل إلى القاهرة تخصص فيما بعد بالأدب الإنجليزي في جامعة برنستون الأمريكية ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م وحصل على الماجستير والدكتوراة من جامعة هارفارد عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م. سعيد: الاستشراق والمفاهيم الغربية،، ص ٢١.

^٤ سعيد: الاستشراق والمفاهيم الغربية،، ص ٧٢.

^٥ النبهان: الاستشراق تعريفه مدارسه،، ص ٣٥.

^٦ الجليلي: الاستشراق والتبشير،، ص ٢٦-٢٧.

أن رموز الإصلاح استفادوا من اتصالهم بالحضارة الغربية، وعادوا إلى البلاد العربية حاملين أفكاراً إصلاحية في مجال المناهج التعليمية والحريات العامة، والتنظيمات السياسية والإصلاح الاجتماعي والإداري والقضائي، وأخذوا يبينون هذه الأفكار في مجتمعاتهم وأنشأوا صحفاً ومجلات وجمعيات، وأحدثوا جامعات ومعاهد، وأخذت فيما بعد نداءات الإصلاح تتلاحق ملحّة وداعية إلى يقظة شاملة^١.

٤. يمكن أن تلخص آثار هؤلاء المستشرقين على الحياة الفكرية بـ:

أ. اهتمامهم بتحقيق المخطوطات ونشر الكتب، وجهدهم في هذا المجال واضح لا يمكن إنكاره، ومن المؤرخين العرب الذين استفادوا من منهجهم في التحقيق ونقل هذا المنهج إلى العربية (أحمد زكي باشا)^٢، الذي أشاد بمنهجهم في دقة التحقيق، واستخدام علامات الترقيم، والعناية بالفهارس^٣.

ب. انكبوا على التأليف المعجمي والموسوعي لخدمة التراث العربي وتدوين تاريخ الآداب العربية، وإعداد موسوعات ومعاجم علمية تساعد الباحث في إعداد بحوثه العلمية، وتيسير مادة البحث لديه، وتزويد المؤلفات العلمية بفهارس متقنة، والعناية بالتقسيم والأبواب. ويبرز هذا المنهج المعجمي في إعداد المستشرق الهولندي (فنسك)^٤ لمعاجم في الحديث النبوي، وأهمها المعجم المفهرس للألفاظ الحديثة عن الكتب الستة.

ج. أهم أعمال المستشرقين هو إعداد دائرة المعارف الإسلامية في أواخر القرن التاسع عشر، جمعت جهودهم العلمية في عمل موحد، وتناول كل واحد منهم ما يدخل ضمن تخصصه العلمي، واشتملت على بحوث ودراسات وآراء ومعارف عظيمة الفائدة والأهمية، وقد ترجم هذا العمل إلى العربية من قبل

^١ النبهان: الاستشراق تعريفه مدارسه،، ص ٢٧.

^٢ أحمد زكي باشا المعروف بشيخ العروبة ولد سنة ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م، حصل على شهادة الحقوق عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م، بدأ حياته مترجماً، وعمل محرراً بجريدة الوقائع المصرية، اتصل بالعديد من المستشرقين وطالع أبحاثهم، توفي سنة ١٩٣٤م. لمعرفة المزيد انظر أنور الجندى: أحمد زكي الملقب بشيخ العروبة (حياته وآراؤه وآثاره)، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، د.ت، ص ١٠ ومايليها.

^٣ أحمد سمائلو فتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ١٩٨٠م، ص ٥٥٨.

^٤ فنسك: مستشرق هولندي توفي عام ١٩٣٩م، أول إنتاجه هو رسالته التي حصل بها على الدكتوراه في ١٩٠٨م وعنوانها (محمد واليهود في المدينة)، وفي عام ١٩١٦م أعلن عن عزمه لوضع معجم وفهرس حسب الألفاظ، وبالترتيب الهجائي للأحاديث الواردة في كتبة السنة الصحاح الستة، واستعان بثلاثين باحثاً لإعداد البطاقات لهذا العمل العظيم وصدر الجزء الأول منه عام ١٩٣٦م. بدوي: موسوعة المستشرقين،، ص ٤١٧.

مجموعة من الباحثين المتمكنين،^١ أعقبوها بإصدار مجموعة دراسات تقييمية ونقدية أشاد فيها كاتبوها^٢ بأهمية هذه الموسوعة، وصححو الكثير من أخطاءها^٣.

وعليه فلا يمكن أن ننكر فضلهم على تهئية العرب وإيقاظهم؛ فقد أقبل رجال الغرب على الشرق يبشرون ويترجمون، ويؤلفون، ويؤسسون الجمعيات والمكتبات، وقيمون المؤتمرات، ويعملهم هذا أفادوا واستفادوا فقد فتحوا عيون الغرب والعرب على ما في الشرق من ثروات ومجد عظيم، ومهما كان مقصد هؤلاء (المستشرقين) فقد كان لهم فائدة في حفظ وإحياء ما اندثر من نفائس العرب في مكتباتهم، فلم يكد يطل القرن التاسع عشر حتى زحرت مكتباتهم بهذه المؤلفات مما قدّر بمئتين وخمسين ألف مجلد^٤.

ثانياً: مظاهر النهضة الفكرية في القرن التاسع عشر:

شهدت بلاد الشام في القرن التاسع عشر نهضة فكرية وتقدماً شمل المجالات كافة، وتجلّى ذلك بظهور المدارس الحديثة والإرساليات التبشيرية والجمعيات والمطابع والصحف، وقد أفرزت تلك التطورات طبقة من المفكرين لعبوا دوراً مهماً في الحياة الفكرية والسياسية ببلاد الشام بما تركوه لنا من مؤلفات. وسنوجز بعض تلك المظاهر لمعرفة تأثيرها على الكتابة التاريخية.

١. الإرساليات التبشيرية:

كان من نتائج التسامح والأمن اللذين تميّز بهما حكم محمد علي وابنه إبراهيم باشا في بلاد الشام، فتح الباب أم البعثات التبشيرية الغربية، من فرنسية وأمريكية وروسية وبريطانية، لبدء نشاطها في المنطقة، ورفع وتيرة التنافس فيما بينها. ويرجع وجود تلك البعثات في بلاد الشام إلى مطلع القرن

^١ قام الأساتذة إبراهيم خورشيد وأحمد الشنتساوي وعبد الحميد يونس ومحمد ثابت الفندي بترجمته سنة ١٩٣٣م وحافظت لجنة الترجمة على الدقة والأمانة العلمية وكانت تستعين ببعض الأساتذة أمثال أمين الخولي وأحمد شاکر للتعليق على بعض الموضوعات التي تحتاج إلى تصحيح. البهي: الفكر الإسلامي،، هامش (١)، ص ٤١.

^٢ نذكر من هؤلاء محمد كرد علي وشكيب أرسلان الذي نشر مقالاً بعنوان (الانسيكلوبيدية الإسلامية للغات الأجنبية) في مجلة السلام، عدده، السنة الأولى، ١٩٣٤م، لمعرفة المزيد انظر البهي: الفكر الإسلامي،، ص ٤١.

^٣ وضع إبراهيم عوض كتاب دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية (أضاليل وأباطيل)، مكتبة البلد الأمين، مصر، ط ١، ١٩٩٨م، يبين ما في هذه الدائرة من انحراف في منهج البحث العلمي وألقى الضوء على الأخطاء الرهيبة والتناقضات الخطيرة ونية القارئ إلى النوايا التي تكمن خلف ذلك، انظر الكتاب المذكور، ص ٥ وما يليها.

^٤ زكي المحاسني وآخرون: دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ٧٢-٧٣.

السابع عشر، غير أن مجال عملها كان محدوداً ومقتصراً على إنشاء القليل من المدارس والمعاهد في أماكن متفرقة^١.

أجبرت سياسة الدولة العثمانية، التي سمحت للدول الكبرى أن تحتضن الطوائف الإرساليات وترعي حمايتها، على تركيز نشاطاتها بين المسيحيين العرب، وكانت كل إرسالية مرتبطة بالمصالح الاستعمارية للدولة التي رعتها وأطلقتها أو نظمتها^٢.

وقد لخصت سياسة الدول الأوروبية في اختراق الطوائف وتوجيهها بما يتلاءم مع مصالحها ويلبي صراعاتها فيما بينها بذلك التقرير الذي رفع عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م ونصه مايلي: "إن القناصل في بيروت قد تبوّأ ذهنية الطوائف في لبنان وسوريا وأصبح كل منهم مصدر الوحي والتوجيه والإرشاد والحماية لطائفة معينة، فكلما حدثت هزة روحية أو اكفهر الجو السياسي تتجه أنظار العرب الكاثوليك إلى القنصلية الفرنسية، فإليها دون سواها يقصدون طلباً للرأي فإمّا أن يسمعوها كلام التشجيع وإمّا أن يزودوا النصيح بالصبر والتأني، ومثل هذا تفعل الطوائف الأخرى من غير الكاثوليك لدى قنصليتي روسيا وبريطانيا إذ تدق أبوابها طالبة الحماية من مظالم تعلم أن ممثلي الباب العالي يديرونها....."^٣

كان التزاحم بين هذه الإرساليات على أشده، ودليل ذلك ما قاله الدكتور (فانديك) "إني ذاهب لأفتح مدرستين في تلك القرية، فإذا قيل له أنها لا تتحمل لصغرها، قال سأكتفي بواحدة، ولكني متأكد أن اليسوعيين سيأتون بعد مدة قليلة ليفتحوا مدرسة ثانية"^٤

بالإمكان تقسيم الإرساليات في بلاد الشام على النحو التالي:
الكاثوليكية، البروتستانتية، الروسية، النمساوية، الألمانية.

أ-الإرساليات الكاثوليكية.

- بعثة اليسوعيين الأولى والثانية:

هناك اختلاف حول تاريخ وصول بعثة اليسوعيين الأولى إلى بلاد الشام، ويتراوح هذا الاختلاف في روايات المؤرخين أو المبشرين بين سنوات ١٦٢٥-١٦٣٨-١٦٥٠-١٦٥٦م. كما يشمل ذلك

^١ أنطونيوس: بقطعة العرب،، ص ٩٧.

^٢ نصيرات: المسيحيون وفكرة القومية العربية،، ص ٦٦ وانظر أيضاً

Tibi Bassam ، Arab nationalism: A critical Enquiry London: oxford university press- 1961- pp.70-71.

^٣ عادل إسماعيل، إميل خوري: السياسة الدولية في الشرق العربي، أربعة أجزاء، بيروت، د.ط، ١٩٦٠م، ج ٣، ص ١٣-١٤.

^٤ المحاسني وآخرون: النهضة الحديثة،، ص ٧٧٠.

الاختلاف من وصل أيضاً إلى تلك البلاد (الكبوشيون) أم (اليسوعيون)، حيث يؤكد كل من جهته بأنه وصل قبل الآخر، فيقول: مسؤول بعثة الكبوشيين إلى سوريا إنّ بعثتنا هي الأولى بين جميع البعثات والنشاطات الفرنسية التي تغطي الأرض السورية، ففي سنة ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م أسس كبوشيون فرنسيون **Bertagne** أماكن لهم في بيروت وحلب وصيدا وفي مناطق أخرى من لبنان^١.

أما اليسوعيون فيذكرون وصولهم إلى لبنان في الفترة نفسها لقدوم الكبوشيون وقد أرسلتهم روما لفحص عقائد الموارنة وعاداتهم وكتبهم المربية^٢.

المتعارف عليه أن أقدم هذه البعثات اليسوعية إلى منطقة بلاد الشام كانت في أوائل القرن السابع عشر، وكان مجال عملها في لبنان وسورية وفلسطين^٣.

تركز نشاط البعثة الأولى في حلب لتنتقل منها إلى بقية المناطق السورية الأصل وصولاً إلى جبل لبنان لتقيم في كسروان كلية عينطورة. غير أن الأوضاع العامة للعمل التبشيري عموماً واليسوعي بشكل خاص إثر حملات النقد والطرْد وصُدور قرار بمنع جميعهم ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م انعكست على مشاريعهم في لبنان وسورية، فغادروا تاركين مراكزهم للمرسلين العازاريين^٤ وهؤلاء بدورهم وضعوا نظاماً تعليمياً هدفه خدمة احتياجات الموارنة والطوائف الكاثوليكية الشرقية الأخرى^٥.

عاد اليسوعيون إلى العمل التبشيري في عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م، وفي هذا العام تبدأ بعثتهم الثانية التي تمّ التحضير لها من قبل الأب ريللو **Rullo** والأب ريكادونا **Riccadona**، اللذين قاما برحلة استطلاعية إلى الشرق لدراسة أفضل السبل لعودة اليسوعيين إلى بلاد الشام، كان حافزهم في العودة هو تقدّم جيوش إبراهيم باشا في سورية وإطلاقهم حرية الإرساليات التبشيرية. واختلفت أهدافها عن سابقتها بسبب الظروف التي أحاطت بعودتهم من جهة ونشاطهم من جهة ثانية، وقد حرصوا منذ وصولهم على ممارسة التعليم وتأسيس المدارس، فاستقروا في غزير التي أصبحت مركزاً للبعثة. وما لبث نشاطهم أن امتدّ وتوسّع وبدأ التعليم بتنظيم، فأوجدوا مدارس عدّة في بكفيا بجبل لبنان، وزحلة والبقاع ووصلوا بيروت، وصيدا، ودير القمر، ودمشق، وحلب^٦.

قيل عن تلك البعثة " أمّا اليسوعيون والعازريون الذين سبقوا الأمريكان بمئتي سنة فقد أسسوا مدارس لهم في دمشق وحلب ولبنان، وشاركوا بلا ريب مشاركة كبيرة في نشر التعليم ولكن جهدهم

^١ مسؤول بعثة الكبوشيين هو جيروم لمعرفة المزيد انظر، عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ٦٥.

^٢ مجلة المشرق: العدد الخامس، سنة ١٩١٤م، ص ٧٢٦.

^٣ عبد الجليل الشبلي: الإرساليات التبشيرية، الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ط، د.ت، ص ١٩٢.

^٤ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ٦٧.

^٥ نصيرات: المسيحيون العرب وفكرة القومية،، ص ٦٦.

^٦ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ٦٨.

الأكبر كان موقوفاً على استمالة الناس للدخول في طائفتهم وعلى نشر الثقافة الدينية، ولم يعملوا شيئاً للنهوض باللغة العربية من كبوتها وإيقاظها من سباتها. ومع أنّهم قضوا قرنين في نشر التعليم. إلا أنه لم يكن لهم أثر يذكر في التخفيف من حدة العداوة المذهبية الطائفية، ولم يكن لهم أدنى جهد في إيجاد نهضة فكرية^١.

أما فيما يتعلّق بنشاطهم في فلسطين فقد سبقت فرنسا غيرها من الدول وأبرمت مع الدولة عام ١٨٤٢هـ/١٨٣٥م أول الامتيازات، ومنحت بموجبها الراهبان الفرنسيين الحرية في ممارسة النشاط التبشيري في فلسطين، وعند وقوعها تحت حكم محمد علي تضاعف عدد الكنائس والأديرة والمدارس والمستشفيات والمؤسسات الخيرية للبعثات التبشيرية اللاتينية، وذلك بسبب موقف فرنسا المؤيّد لوالي مصر^٢.

- بعثة الكيوشيين:

ذكر سابقاً أنّ وصولهم إلى سوريا كان في عام ١٨٣٥هـ/١٨٢٥م، وقد خضعت تلك البعثة للإدارة الفرنسية البحتة، ينتمي تلامذتها إلى طائفة الكاثوليك. أظهر الكيوشيون عبقرية في فرنسا في غايتهم الدينية في الخارج، وكانوا يمهدون لتوسعها الاستعماري بطريقة غير مباشرة.

- بعثة الأخوة المريميين:

للبعثة وجود قديم في سورية، إلا أن مؤسساتها بدأت بالبروز عام ١٣٠٨هـ/١٨٩٠، وأسّسوا عام ١٣١٤هـ/١٨٩٦م مدارس بمساعدة الأليانس الفرنسية. كان طلابها من المسيحيين وأغلبهم من الموارنة^٣.

ب-الإرساليات البروتستانتية:

يعود تاريخ بدء نشاط هذه الإرساليات إلى بلاد الشام عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م بوصول (بارسونز) أول المبشرين البروتستانت إلى القدس، وأقام علاقات ودية مع الأهالي الكاثوليك والأرثوذكس معاً، وذلك يعود إلى عدم وجود طائفة بروتستانتية في بلاد الشام فسعى هؤلاء إلى تحويل أفراد الطوائف الأخرى إلى مذهبهم، ولتنفيذ هذا الأمر نقلوا مركز نشاطهم من مالطا إلى بيروت^٤ مؤسسين أول مركز لهم. أثارت تلك الحركة التبشيرية الإنجيلية مذ بدأ الأمريكيون يفدون إلى لبنان

^١ أنطونيوس: يقظة العرب،، ص ٩٩.

^٢ علي المحافظة: الحركات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين والأردن، الأهلية للنشر، بيروت ١٩٨٧م، ص ١٩.

^٣ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ٩٩.

^٤ يعود سبب نقل نشاطهم إلى بيروت وجود نسبة كبيرة من المسيحيين والتجار الأجانب هناك وحماية القناصل الغربيين لهم. نصيرات: المسيحيون وفكرة القومية،، ص ٦٩.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

خصومة الكنيسة المارونية إلى حد أن بطريرك الكنيسة منع أتباعه من إرسال أولادهم إلى المدارس الإنجيلية. ولم يكن اليسوعيون أقل قلقاً من اقتراب البروتستانت من الموارنة، الأمر الذي دفعهم إلى الطلب من قناصلهم في بيروت بمحاصرة نشاطهم ومراقبة أعمالهم، ليحول البروتستانتون اهتمامهم إلى الدروز. معتبرين الفرصة مناسبة لتدعيم موقفهم في وجه الموارنة الذين تجمعهم فرنسا، خاصة وأنهم شاهدوا بعض الرهبان يرفعون العلم الفرنسي على أديرتهم. بدأ الأمريكيون نشاطهم التربوي بتأسيس مدارس عدة في بيروت، وجبل لبنان.

وما إن جاء عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٦ م حتى بلغ عدد المدارس ست في بيروت وما حولها من الذكور والإناث، الأمر الذي شجّع على إرسال المزيد من البعثات إحداها كانت برئاسة إيلي سميث الذي كان لجهوده أبعد الأثر في بلاد الشام.

كان سميث مسؤولاً عن مطبعة الإرسالية وتحضير الكتابات الخاصة بأعمال الإرسالية سواء الدينية أو الأدبية منها. ركزت الإرسالية على تعليم البنات فقام بتأسيس مدرسة خاصة بالإناث.

في عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠ قدم فاندريك ببعثة إلى بيروت وقد استطاع بفضل معرفته باللغة العربية من إحداث ثورة في الثقافة العربية. وما إن جاء عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠ م حتى وصل عدد المدارس إلى ثلاث وثلاثين مدرسة ضمت نحو ألف تلميذ، الخمس تقريباً من الإناث^١، وهذا ما أكده الدكتور باورنج في تقريره الذي رفعه إلى المرستون مؤكداً تفوقهم في المجال العلمي^٢، أكثر الإنجازات أهمية لتلك البعثة هي تأسيس الكلية السورية الإنجيلية في بيروت عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦ م على يد دانيال بلس الذي شعر بحاجة البلاد إلى جامعة علمية تعد الطلبة لاستغلال الموارد العصرية فنقلوا مركز نشاطهم من بيروت إلى عبيه^٣.

^١ أنطونيوس: يقظة العرب،، ص ١٠٦. نصيرات: المسيحيون العرب وفكرة القومية،، ص ٧٠.

^٢ تضمن التقرير ما يلي: للأمريكان في بيروت أيضاً مدارس لها بعض الشهرة وإحدى هذه المدارس مدرسة كبيرة ملحقة بمباني البعثة، تستحق أكثر من أي معهد في الشام أن تسمى كلية ... وقد أتيحت الفرصة لرؤية كثير من شباب الشام الذين يتعلمون في مدرسة البعثة التبشيرية الأميركية فوجدتهم يتفوقون على جميع أقرانهم في الشام، فهم جميعاً يدرسون اللغة الانكليزية، وتراوح نفقات هذه المنشأة بين ٦٠٠٠-٧٠٠٠ دولار في العام تجمع كلها من التبرعات العامة في الولايات المتحدة وقد أنشأ هؤلاء المبشرون في أزمان مختلفة عدة مدارس للبنات وكانت النتيجة أن نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة من السكان النصارى في بيروت تفوق نسبتهم في أي بلد آخر في بلاد الشام" انطونيوس: يقظة العرب،، هامش ١، ص ١٠٦.

^٣ النصولي: أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر- تحقيق: عبد الله الطباع، دار ابن زيدون، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص ٨٥-٨٦.

أما وسائل الترغيب التي اعتمد عليها هؤلاء البروتستانت فهي تقديم الكتب والأوراق وحتى الثياب مجاناً، وكذلك تعليم القراءة والكتابة والحساب، وكذلك استغلّوا المعاناة الصحيّة في لبنان لتحقيق غايتهم فالطب بالنسبة لهم وسيلة وليس غاية^١.

فيما يخص نشاطهم في القدس فقد كان في عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م عندما أقام أحد (المبشرين)^٢ فيها، لكنه لم يدم طويلاً بسبب الثورات ضد الحكم المصري وانتشار الأمراض ليعودوا عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م ويركزوا نشاطهم بين اليهود مؤسسين مدرسة للبنات في القدس على نمط المدارس التي أنشئت في بيروت^٣.

ج. البعثات الروسية:

أتاحت اتفاقية (كوجك قينارجة) التي وقعت بين روسيا والدولة العثمانية عام ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م. الفرصة لبدء النشاط التبشيري الأرثوذكسي في القدس، وذلك لمنحها روسيا الحق في فرض حمايتها الدائمة على الرعايا المسيحيين الأرثوذكس وكنائسهم في الدولة العثمانية^٤، وعليه فقد اتّجهت نحو الروم الأرثوذكس، فبقيت خارج حلبة الصراع التي اشتدت بين البروتستانت والكاثوليك^٥.

افتتحت روسيا أول قنصلية لها في فلسطين عام ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م، ومن ثمّ نقلتها إلى بيروت عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م، وأصبح اسمها القنصلية العامة الروسية لسورية وفلسطين، وفي عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م افتتحت أول قنصلية لها في القدس^٦، اتّجهت بعدها إلى تأسيس العديد من المدارس في القدس والناصرية ورام الله ويافا وحيفا، وكانت لغة التعليم هي العربية، كما أنها بنت مشفى ومنازل للرهبان والمعلمين والحجاج^٧، امتدّت تلك البعثة من فلسطين إلى لبنان عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م بناء على قرار (الجمعية الأرثوذكسية الملكية في فلسطين)، وتم افتتاح أول مدرسة لها في بيروت عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م، تلتها مدارس أخرى في صور وحاصبيا والمتن وطرابلس وغيرها. لغة التدريس فيها العربية والروسية، كما كان لتلك الجمعية في فلسطين مدرسة لإعداد المعلمين تستقبل الطلاب من لبنان ومن سائر مناطق الشرق الأوسط، حيث كان التدريس باللغة الروسية فقط إلى جانب بعض

^١ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٦٨.

^٢ المبشر هو جون نيكولاس.

^٣ نصيرات: المسيحيون وفكرة القومية،، ص ٧١، وانظر أيضاً

Tibawi ،Abdul Latif ،American Interests in Syria 1800-19 London : Clarendon press ، 1966 – p73-74

^٤ محافظة: الحركات الفكرية في عصر النهضة،، ص ٢٤.

^٥ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٧٣.

^٦ محافظة: الحركات الفكرية في عصر النهضة،، ص ٢٥.

^٧ نصيرات: المسيحيون العرب وفكرة القومية،، ص ٧٣٠.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

المبادئ العربية. ومن ينهي دراسته في هذه المدرسة يسافر إلى روسيا لمتابعة تحصيله ليعود بعد ذلك للتعليم في المدارس الأرثوذكسية^١.

وسعيًا إلى دعم النفوذ الروسي تأسس في بطرسبرغ عام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م (جمعية روسيا الإمبراطورية) بهدف لم شمل الطائفة الأرثوذكسية ووقايتها من خطر الإرساليات الأجنبية^٢.

د. البعثات الألمانية:

لم تحقق نفوذاً ملحوظاً بين البعثات المتنافسة. ويقول أحد الفرنسيين معلقاً على نشاطهم "على المهندسين الألمان أن يتعلموا لغتنا كي يسمعهم الناس ويتفاهموا مع موظفيهم"^٣. وهذا دليل على قلة انتشار هذه اللغة.

هـ. البعثات النمساوية:

اقتصرت نشاطها على المساعدات المادية وعلى بعض الأعمال الإنسانية، وقد حاولوا الوقوف إلى جانب اليسوعيين، وتأييدهم أثناء خلافهم مع فرنسا، لجذبهم إلى فلك السياسة النمساوية^٤.

وبالإمكان إجمال الآثار العامة لتلك البعثات على المسيحيين العرب والمسلمين بما يلي:

- ١- تولّد عن هذه الحركة التبشيرية نهضة أدبية ثقافية وعربية لعبت دوراً بارزاً في اليقظة القومية،^٥ فالمدارس والجامعات التي أسست نشاط سيقاها التبشيري كان عاملاً فعالاً في حركة الإحياء العربي في بلاد الشام، كما أنّها أعطت المسيحيين العرب ميزة تعليمية ميزتهم عن غيرهم.^٦
- ٢- بروز فريق من المثقفين تنبهاوا لعالم أوروبا الجديد، بل عدّوا أنفسهم جزءاً منه فأسهلوا إسهاماً كبيراً في تعرّف أوروبا بالشرق الأدنى، كما قام بعضهم بتوسيع آفاق طوائفهم بترجمة مؤلفات اللاهوت الكاثوليكي الغربي واقتباسها^٧.
- ٣- يعدّ عام ١٢٥١هـ/ ١٨٣٤م عام الازدهار في نشاط الإرساليات التبشيرية، وذلك يعود إلى أربعة حوادث مجتمعة بـ:

^١ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٧٤.

^٢ حنا أبو حنا: طلائع النهضة في فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٢١-٢٣.

^٣ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٧٤. انظر أيضاً

Abdel nourJ abbour:La contribution des Libanaisa la renaissance Littrairearab au XIX<s<These de Doctorat d`Etat-paris-1952- p56

^٤ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٧٣.

^٥ محافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة،، ص ٢٧.

^٦ نور الدين زين: نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، دار النهار للنشر، بيروت، ط ٣، ١٩٧٩م، ص ٥٠-٥١.

^٧ ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة (١٧٩٨-١٩٣٩)، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٥٠.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

- إعادة الآباء العازارين افتتاح كليتهم الخاصة بالذكور في عينطورة.
- نقل مطبعة البعثة التبشيرية الأمريكية من مالطا إلى بيروت.
- قيام إيلي سميث بتأسيس مدرسة للإناث في بيروت مع بناء خاص بها.
- ما قام به إبراهيم باشا في تطبيق برنامج واسع للتعليم الابتدائي للذكور على النمط الذي أقره أبوه في مصر^١.
- نالت المدارس التبشيرية الأمريكية رضى الجميع واحترامهم، وذلك بسبب حسن المعاملة التي لاقاها التلاميذ، واتباع أسلوب وطريقة تدريس مختلفة عما هو معروف في السابق من حيث المادة والأسلوب، فكان تأثيرها في مسارات مختلفة، فكل فرقة من الفرق المسيحية مالت إلى مذهبها، الأمر الذي ساعد على تنوع الميول والاتجاهات، وحتى المدارس الوطنية كيفت أساليب تعليمها وفقاً لمدارس الإرساليات وهو ما دفع بالحركة التعليمية نحو الأمام^٢.
- خلقت تلك الإرساليات جوّاً ثقافياً بمسحة علمانية يتجلى ذلك في الآثار التي تركته على المسلمين على الرغم من ضالة أعداد المنتسبين منهم إليها، غير أنها مكنتهم من الحصول على تعليم ثانوي جيد شمل العلوم الحديثة واللغات الأجنبية، الأمر الذي مكّن طلابها من توثيق علاقاتهم بالغرب^٣.
- في الوقت نفسه كانت لتلك الإرساليات آثارها السلبية على المسلمين فرغم أنّ هدفها الأول هو نشر الدين المسيحي بين المسيحيين العرب واليهود إلا أنّ ذلك أثار الشك والريبة في نفوس المسلمين واليهود، وأثار النزاع الطائفي بين المسيحيين أنفسهم بسبب اختلاف الولاءات الثقافية والسياسية للقيادات الدينية في كل طائفة، فكل منها قوة أجنبية تحميها^٤.

٢- المدارس الحديثة:

يعدّ إنشاء المدارس على النظام الأوروبي أول بواعث النهضة الفكرية التي شهدتها بلاد الشام عامّة في القرن التاسع عشر. ويعتبر لبنان بحكم مجاورته للبحر، وأكثريّة سكّانه من المسيحيّين واتجاهه نحو الغرب أسرع ولايات بلاد الشام تجاوباً مع تيار الأفكار العصرية الغربية، وأكثرهم ميلاً لتقبّل الحضارة الأوروبية^٥، وعليه فإنّ له الفضل -وللموارنة بشكل خاص- بتهيئة السوريين لاستقبال النهضة الحديثة^٦.

^١ أنطونيوس: بقطة العرب،، ص ١٠٠

^٢ جرجس الخوري المقدسي: التعليم قديماً وحديثاً في سورية، المقتطف، السنة ٢٩، الأعداد ٧٤٥-٧٥١، ١٩٠٦م، ص ٧٤٨-٧٤٩/ نصيرات: المسيحيون وفكرة القومية،، ص ٥٧.

^٣ فيليب خوري: أعيان المدن والقومية والعربية، ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٥٤.

^٤ زين: نشوء القومية العربية،، ص ٥١.

^٥ حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية،، ص ٥٤٩.

ذكرنا سابقاً أن المدارس الحديثة تفرع عنها نوعان من التعليم: مدني وخاص، وقد تم الحديث عن المدارس المدنية، والآن سنتطرق إلى التعليم الخاص لمعرفة أثره في النهضة الفكرية. قسم هذا النوع إلى:

أ-مدارس الإرساليات التبشيرية، ب-الوطنية وهي بدورها تنفرع إلى (أهلية مسيحية، وإسلامية) سنتعرف على أهمية كل منها على حدا؛ لنستطيع تكوين صورة شاملة عن إنجازات كلٍّ منها، والدور الذي لعبته في النهضة الفكرية وتأثيراتها العامة على المسيحيين والمسلمين على السواء.

أ-مدارس الإرساليات التبشيرية:

كان لجهود الإرساليات التربوية في القرن التاسع عشر الكاثوليكية أولاً -جلهم من الفرنسيين- والبروتستانتية ثانياً - معظمهم من الأمريكيين- الحافز الأول في إيقاظ الحياة الفكرية، وبعدّ النصارى أوائل السكان الذين نهلوا من ثقافة الغرب، وذلك يعود لاختيار المرسلين قرى لبنان نقطة انطلاق لتحضير البلاد والتأثير فيها^٢، مخالفين في فعلهم هذا ما هو متعارف عليه، من جعل المدن مركز الانطلاق؛ لتحقيق أهداف تلك الإرساليات، مستغلةً تلك الدول الامتيازات التي حصلت عليها من الدولة العثمانية؛ لحماية المسيحيين داخل الإمبراطورية حجةً وجسراً عبرت عليه البعثات المختلفة إلى الطوائف والأقليات المسيحية، تحميها شرعية القنصليات والسفارات، أو القوة العسكرية المباشرة، فأنشأت مدارسها الخاصة وأرست نظاماً تعليمياً يستلهم الثقافة الأوروبية ويبشر بها^٣.

- المدارس الكاثوليكية:

* **مدرسة عينطورة:** عين طوراً لفظة مشتقة من السريانية بمعنى عين الجبل، وهو اسم لقرية في كسروان تقع بين هضاب عدة، تبعد عن البحر نحو ساعة شرقاً، ونصف ساعة جنوباً، وفيها عين عذب ماؤه سلس؛ ولهذا أطلق عليها اسم (عين الجبل)^٤.

كانت هذه المدرسة في بادئ الأمر عبارة عن دير للآباء اليسوعيين بناه الأب (كمبرت)^٥ سنة ١٠٦٣هـ/ ١٦٥٢م، ليتحول فيما بعد إلى مدرسة على يد بطرس مبارك عام ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م، ويوكل أمرها

^١ منذر معاليقي: معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية، تقديم: ياسين الأيوبي، بيروت، د.ط، ١٩٨٦م، ص ٩٩.

^٢ حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور،، ص ٥٤٩-٥٥٠.

^٣ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ٢٤.

^٤ المشرق: مدرسة عين طوراً، السنة الثالثة، ١٩٠٠م، ص ٤٨١.

^٥ الأب كمبرت اليسوعي أبو نوفل الخازن أصله من مدينة مرسيلية، كان رجلاً تقياً ورعاً فاضلاً يضاهي بإيمانه الحي وقداسة سيرته المسيحيين الأولين، بنى ديراً تحول فيما بعد إلى مدرسة عين طوراً. لمعرفة المزيد انظر المشرق: مدرسة عين طوراً،، ص ٤٨١.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

للمرسلين اليسوعيين^٢ حتى عام ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م يوم إلغاء جمعيتهم^٣ ليستولي عليها البطريرك (يوسف أسطفهان)^٤، بموجب براءة من ملك فرنسا سنة ١١٥١هـ / ١٧٣٨م^٥.

افتتحت تلك المدرسة عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م وذلك بناءً على طلب من (الكرسي الرسولي)^٦ في روما، والحكومة الفرنسية الذين أعربوا عن رغبتهم بافتتاح مدرسة لتتقيد الشبان في سوريا ومصر وقبرص، فلبى الآباء اللعازاريون رغبتهم في ذلك، وفتحو مدرسة عين طورا في أوائل شهر تشرين الأول من السنة المذكورة، مطلقين عليها لقب (أم المدارس)؛ لكونها أول مدرسة وجدت في هذه البلاد لتعليم اللغة الفرنسية^٨. ضمت تلك المدرسة جنسيات مختلفة من جميع الطوائف، عددهم في البدء كان سبعة أشخاص^٩، ثم عشرة ليصلوا إلى الستين في عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م.

أهم مواد تدريسها هي: الإيطالية، الفرنسية، العربية، اللاتينية، بالإضافة إلى الحساب، الجغرافية، التاريخ، الإنشاء والخطابة.

^١ بطرس مبارك: ولد بقرية غوسطا سنة ١٠٧١هـ / ١٦٦٠م، تخرج من مدرسة الموارنة برومة، أتقن سبع لغات العربية والسريانية واللاتينية واليونانية والعبرية والإيطالية والفرنسية، عينه البطريرك أسطفهان الدويهي وكيلاً له وسلمه بعض الكتب لترجمتها ونشرها. الدبس: الجامع المفضل،، ج ٩، ص ٣٩٠.

^٢ ذكر المجمع اللبناني الصك الذي دونه الأب فرنسيس رتز رئيس اليسوعيين عند استلامه تلك المدرسة/ انظر الدبس: الجامع المفضل،، ج ٩، ص ٤٣٤ - ٤٣٥.

^٣ جمعية يسوع: أسسها القديس الإسباني إيناس دي لويولا، عام ١٥٣٤م غير أنها لم تحصل على الإذن الشرعي من البابا والكرادلة بممارسة الوعظ والتبشير إلى عام ١٥٤٠م وبعد هذا التاريخ هو الولادة الحقيقية لجمعية يسوع وبدء نشاطها انتشرت في مختلف بقاع العالم هدفها هو خدمة المسيح والتضحية في سبيل زعماء الكنيسة، والوعظ الإنجيلي وتعليم الشباب، وتعمير الكنائس، لمعرفة المزيد انظر عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ٢٨-٣١.

^٤ يوسف أسطفهان: أحد تلامذة مدرسة الموارنة برومة درس بها اللغات والعلوم الكنسية، برع وفاق أقرانه، ارتقى إلى درجة الكهنوت، ثم رقي إلى أسقفية بيروت سنة ١١٦٤هـ / ١٧٥٠م، وبعد وفاة البطريرك طوبيا الخازن اجتمع الأساقفة وانتخبوه بطريركاً سنة ١٧٦٦م. الدبس: الجامع المفضل،، ج ٩، ص ٣٧٣ ومايليها.

^٥ ملك فرنسا في تلك الفترة هو لويس السادس عشر.

^٦ الدبس: الجامع المفضل،، ج ٩، ص ٤٣٦.

^٧ القاصد الرسولي لتلك الفترة في روما هو السيد أوفرن. المشرق: مدرسة عين طورا،، ص ٥٤٨.

^٨ المشرق:، السنة الثالثة، ص ٥٥٠.

^٩ هؤلاء التلاميذ هم: الفونس كيس جورل ابن قنصل فرنسا، وولدا قنصل النمسا، ميخائيل مدور، يعقوب ثابت، وابن أبي فرنسيس/ المشرق:، السنة الثالثة، ص ٥٤٨-٥٥٠.

أُفقلت هذه المدرسة أبوابها عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م، بسبب حوادث الستين المعروفة ليرحل رئيس المدرسة^١ ومعه خمسة عشر تلميذاً إلى الإسكندرية، ولما استتب الأمن والراحة عادوا إلى البلاد معلنين معلنين افتتاح المدرسة وعودة الأمور إلى مجراها، وذلك في عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م.

في سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م وحباً بالنظام المدرسي جعلت للتلاميذ بدلة رسمية لتمييزوا بها عن غيرهم، وفي السنة التالية أعطيت شهادة (الدبلوم لمن أنهى دروسه)^٢، وأضيفت لها عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م كنيسة شيدت في الجناح الجنوبي للمدرسة، كما مدّ طريق للعربات بين عين طورا وبيروت، وذلك بسبب صعوبة الطريق، كما أقيم على جانبيه محلات للاستقبال ومدخل كبير لها وللمدرسة^٣.

* **مدرسة غزير**^٤: أنشأت عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م في كسروان لتهديب الإكليروس في دار كان قد شيده شيده الأمير (حسن شهاب)، وقد اشترى الآباء اليسوعيون هذا الدار مع محل القيسارية الذي أنشأه عبد الله بن الأمير حسن الشهابي سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م بمبلغ ٢٠٠ ألف غرش لجعلوه مدرسة داخلية نشروا فيها الدين والأدب^٥.

في البداية أعطيت فيها الدروس اللاتينية، الإيطالية، الفرنسية، العربية والتركية، قبل أن تصبح الفرنسية لغتها الرئيسية^٦، ليتحوّل التعليم فيها بشكل تدريجي ليغلب عليه الطابع العلماني^٧، ويعود ذلك ذلك لتضاعف عدد الطلاب المسيحيين، فأنشأوا في البداية سنة ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م حلقة اكليركية لجميع الطوائف لإعداد الإكليروس المحلي. وبدأوا عام ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م يستقبلون الطلاب العلمانيون لجميع الطوائف وخصّصوا قسماً لدراسة الفرنسية. وفي ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م أضافوا لها كلية أخرى هي (القديس يوسف)، وبعد أربع سنوات أصبح الطلاب العلمانيين أكثر من الطلاب الإكليركيين وظلّت

^١ رئيس المدرسة في تلك الفترة هو الأب ديبار . المشرق: مدرسة عين طورا،، ص ٦٤٠.

^٢ أول من حاز على هذه الشهادة هم: بولس زلوم في بيروت، شكري حداد في صيدا، عزيز مايسترو من القاهرة/انظر المشرق: السنة الثالثة،، هامش (٢)، ص ٦٤٣.

^٣ المشرق:، السنة الثالثة، ص ٦٤٤-٦٤٦.

^٤ غزير: لفظة سريانية معناها (مقطوع) وقيل أنها عربية معناها كثير لغزارة مياهها وهي إحدى قرى لبنان ترتفع عن البحر نحو ٣٥٠ م مبنية على منحدر رابية منبسطة وبيوتها منضدة بعضها فوق بعض على شكل نصف دائرة. المشرق: السنة الثالثة،، ص ٢٠٨.

^٥ المشرق: السنة الثالثة،، ص ٣١٣.

^٦ تحوّلت اللغة الفرنسية لغتها الرئيسية إثر زيارة الأب Maillard مسؤول إقليم ليون الذي اطلع على أوضاع هذه المؤسسة وأمر أن تحل الفرنسية محل الإيطالية في التعليم وفي الاستعمال اليومي. عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٢٥-١٢٦.

^٧ اهتمّ اليسوعيون في أول أمرهم بالتعليم الديني لاعتقادهم أنهم إذا سيطروا على رجال الدين المسيحيين، بإعدادهم في مدارسهم فإنهم يستطيعون أن يسيطروا على القرى النصرانية كلّها. خالدي، فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية،، ص ١١١.

هذه المدرسة عامرة حتى عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م لتنتقل إلى بيروت ويحل عوضاً عنها (كلية القديس يوسف)^١.

* كلية القديس يوسف:

ذكر سابقاً أن اليسوعيين نقلوا حلقتهم الدراسية من غزير إلى بيروت عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م، وهناك اتسعت رغبتهم لإنشاء مؤسسة كبيرة للدراسات الثانوية والعليا بجميع فروعها لمواجهة البروتستانت، الذين يهدّدون الإيمان التقليدي لمسيحي جبل لبنان، ولجذب جميع الكاثوليك، حتى المنشقيّين منهم وكذلك المسلمين إلّا أنّ هذه الرغبة اصطدمت بمعارضة الحكومة الفرنسية التي رفضت تمويل هذا المشروع رغم اتفاقها مع اليسوعيين، فلجأ هؤلاء إلى وسائلهم الخاصة لجمع المال بالسفر إلى أميركا، وتمّ لهم ذلك سنة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م وتأسست الكلية^٢. وبعد مضي ست سنوات على إنشائها ثبتها قداسة البابا كجامعة، وفي سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م بها وافقت وزارة التربية الفرنسية على منحها مساعدة مالية سنوية لفتح كلية للطب^٣ التي لحق بها فيما بعد فرع للصيدلة^٤.

وقد تضاعف عدد طلاب الكلية حوالي ثلاث مرات منذ انتقالها إلى بيروت حتى بدايات الانتداب الفرنسي من ٢٧٦ إلى ٧٣٥ طالباً كان نصفهم تقريباً من الموارنة والنصف الآخر من جميع الطوائف المسيحية^٥، ويعدّ بعضهم أن مدرستي غزير وعينطورة أسهمتاً في تقوية أواصر الاتحاد بين فرنسا والأمة المارونية عبر نشر اللغة الفرنسية في جميع العائلات المارونية وتثبيت محبتهم لحاميتهم فرنسا^٦.

^١ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٢٦.

^٢ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٢٧.

^٣ سبب هذا العون المالي لفرنسا الذي ظهر في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تطرد اليسوعيين من بلادها رغبت منها في بسط نفوذها وتطويع العقول لأنّ الشبان ذوي الثقافة الفرنسية، سيتابعون لمدة ست سنوات دراسة كلمات تقنية تقرض عليهم معرفة عميقة... هؤلاء الشبان سيتكلمون الفرنسية أيضاً فيما بينهم... لكن اللغة معبر للأفكار... فالنظام الطبي سوف يعلمهم بقوة الأشياء، ويغرس في عقولهم طريقة فرنسية في الحديث والتفكير... إن المواد الدراسية، في الصيدلة، والكتب والوسائل الفرنسية، وإلى فرنسا حتماً سيذهب معظمهم للتخصص "عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٣٠.

^٤ حتي: لبنان منذ أقدم العصور،، ص ٥٥١.

^٥ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٢٩.

^٦ غنام: مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، دار بيسان، د.ط، ٢٠٠٥م، ص ٢٣٠.

كذلك أنشأ اليسوعيون مدارس صغيرة في بكفيا سنة ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م وفي بيروت، وزحلة، وكانت مدرستا زغرتا وعينطورا تحت إدارة الإرساليات والإكليروس الماروني بالتناوب^١، وقد أجمل عدد المدارس الفرنسية بـ سبعة في بيروت، واثنين في عكا، واثنين في طرابلس^٢.

أما ولاية سورية فيعود التبشير فيها إلى منتصف القرن الثامن عشر عندما بدأت إرسالية الآباء العازاريين عملها في دمشق عام ١١٦٩هـ / ١٧٥٥م، ثم قامت بعد ذلك بنحو عشرين سنة بتأسيس مدرسة للصبيان في دمشق، غير أن نصيب ولاية سورية في تلك الإرسالية كان أقل من مثيلاتها في بيروت ومنتصرفية جبل لبنان حيث تركز فيها النشاط التبشيري^٣.

أهم المدارس تلك التي أسستها إرسالية العازارية في حلب، حيث يتلقى فيها التلاميذ جميع الأديان، والتعليم الابتدائي مجاناً. كما أنشأ الفرنسيون مدرسة أخرى في حلب أطلق عليها اسم (تره سنتا) أو معهد الأرض المقدسة أو الشيبين، وهناك خلاف حول عام تأسيسها^٤، وقد ذكرها الغزي بقوله: "قد أنجب هذا المعهد أغلب مشاهير حلب ورجال حكوماتها وعظماء مفكريها وكبار تجارها منذ أواسط القرن التاسع عشر"^٥. مواد التدريس فيها الإيطالية، العربية، الفرنسية بصورة إجبارية والإنكليزية والألمانية بصورة حرّة، لكن التركية أصبحت لغة إجبارية فيها بعد انهيار عهد السلطان عبد الحميد الثاني^٦.

وهناك أيضاً مدرسة البطريركية الكاثوليكية أنشئت عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م في دمشق، وقد أنفق عليها ما يربو على ألف ليرة، تدرّس فيها العربية والتركية والفرنسية.

وأيضاً المدرسة الكاثوليكية السريانية في دمشق، تدرّس فيها العربية والفرنسية فيها معلّم واحد وخمسون تلميذاً^٧. أما فلسطين الضلع الثالث في مثلث بلاد الشام فقد شهدت في نهاية النصف الأول

^١ إيليا حريق: التحول السياسي في تاريخ لبنان الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٢٠.

^٢ بيات: المؤسسات التعليمية،، ص ٢٩٢.

^٣ عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٢٦٥.

^٤ تقول الدكتور عائشة الدباغ في كتابها عن الحياة الفكرية في حلب عن تأسيس هذه المدرسة "روى لي ناظر المدرسة المذكورة أنها بقيت من ١٨٥٣-١٩٣٧م في محلّة الشيبيني، ثم انتقلت، بينما أعطاني الأب فيليب بيلوني السرياني المعلومات التالية (المعهد الشيبيني وضع أسسه البطريرك الأورشليم يلودفيكوبيا في يوم كان رئيساً لدير حلب سنة ١٨٥٨م)"، وكتب الأب توتل: "جاء في سجلات الآباء الفرنسيين في ١٠/١/١٨٥٩م تأسست مدرسة تره سنتا الكبرى، كان قبلها مدرسة صغرى مفتوحة منذ ثلاثين سنة"، انظر الدباغ: الحياة الفكرية،، ص ١٠٠، وأيضاً المشرق، عدد ٣٦، عام ١٩٣٨م، هامش (٢) ص ٢٣٥/ وأيضاً عدد ١٣، سنة ١٩٣٧م، ص ٤٠٤.

^٥ كامل بن حسين الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، ثلاثة أجزاء، د.م، د.ط، ١٩٢٦م، ج ٢، ص ٨٠.

^٦ الدباغ: الحياة الفكرية،، ص ١٠٠.

^٧ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١١٨.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

من القرن التاسع عشر الميلادي نشاطاً مدرسياً وتعليمياً مماثلاً للبنان، وكانت القدس أهم مدينة فلسطينية حظيت بأكثر عدد من المدارس في القرن التاسع عشر بسبب قيمتها التاريخية ومنزلتها الدينية^١ ويمكن إجمال المدارس الأجنبية في فلسطين بأربع وسبعين مدرسة موزعة على مدنها^٢

- المدارس البروتستانتية:

* **مدرسة عبيه:** اهتم المبشرون الأمريكيون ببلدة عبيه منذ نزولهم سورية، لأنها بعيدة عن مراقبة الحكومة المركزية في بيروت، ولأنها في وسط ظنوه يسهل عملهم التبشيري، بسبب بعدها عن الأحداث السياسية ووجود طوائف مختلفة في عبيه وما جاورها^٣.

أنشئت في عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م بمساعي الدكتور فان فاندريك ، وما لبثت أن تحولت في عام ١٢٥٤هـ / ١٨٤٧م إلى مدرسة داخلية بمساعدة بطرس البستاني، لتتحول لغة التعليم فيها إلى العربية بعد كانت بالإنكليزية. وقد تحدث فاندريك في مذكراته عن بناء تلك المدرسة بالقول: " كانت عبيه قرية كبيرة عامرة وصحية، وفيها أخلاط من الدروز وبلاد النصارى..... فاشترينا أرضاً عليها بناء قديم أصلحناه وجعلناه مسكناً للمرسلين، ثم صارت مدرسة هي عبيه الشهيرة..... وبعد قليل أخذنا في بناء بيت آخر وفتحنا مدارس صغيرة في بعض أنحاء القرية"^٤. وقد ظلت تلك المدرسة تؤدي دورها حتى تأسست الكلية السورية الإنجيلية عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م في بيروت.

* **الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية اليوم):** أدى تطور النشاط التعليمي البروتستانتي إلى دفعهم لإنشاء كلية للتعليم العالي، باعتهم إلى ذلك ما شاهدوه من تنامي النشاط اليسوعي، وتزايد عدد مدارسهم في بيروت وما حولها، وتزايد الأحداث السياسية بين فرنسا وإنجلترا وما ظهر بينهم من تنافس حول المشرق العربي. هذا الأمر دفعهم إلى إعداد نخب داخلية لقيادة البلاد، ومن هنا كان المحرك الأساسي لفكرة تأسيس الكلية في أذهان مسؤولي البعثة وليم طومسون والدكتور دانيال بلس فذهبوا إلى أمريكا لجمع المال اللازم ونجحت مساعيهم في تحقيق غايتهم، فصدرت الرخصة الرسمية في نيويورك بإنشائها^٥، لذا نقلت البعثة نشاطها من عبيه إلى بيروت، وأنشئت الكلية عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م^٦. ولنشر نفوذهم استغلوا الأوضاع الصحية وحاجة الأهالي للطبابة والدواء فاتخذوا من الطب ستاراً

^١ النابلسي: عصر النكايا والرعايا،، ص ٤٢٨-٤٣٠.

^٢ بيات: المؤسسات التعليمية،، ص ٣٦٢.

^٣ فروخ، خالدي: التبشير والاستعمار،، ص ٩٤.

^٤ مجلة الهلال: مذكرات الدكتور فاندريك، الجزء الرابع، السنة الرابعة عشرة، كانون الثاني، ١٩٠٦م، ص ٢٢-٢٨٠.

^٥ غادة يوسف خوري: المؤسسون الرواد للجامعة الأمريكية في بيروت، مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط،

بيروت، ١٩٩٤م، ص ١٨.

^٦ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ٥٨-٦٤.

يتقربون من خلاله ليس فقط من عامّة الناس، بل من الزعماء والأعيان أيضاً، حتى إذا وثق هؤلاء بهم أفضوا لهم بأرائهم الدينية وأقنعوهم بالارتداد واعتناق المذهب الذي يبشرون به، وقد ذكر بعضهم: "إنّ المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع تلك المستشفى منطقة عمان بأسرها، لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى"^١

ضمّت الكلية عام تأسيسها ستة عشر تلميذاً من بيروت، واثنى عشر من جبل لبنان، وواحداً من طرابلس، وهي تتبع نظام الجامعة في أميركا فهي تعنى بسكن الطلاب، ومأكلهم وملاعبهم وحياتهم الاجتماعية خارج الصفوف بما في ذلك تأسيس الجمعيات والأندية الأدبية.

لغة التدريس فيها العربية في بادئ أمرها، ثم تخلّت عن هذا التقليد^٢ فيما بعد لتمر اللغة بثلاث مراحل هي العربية الثانية امتدّت من ١٨٦٦-١٨٨٠م وكانت لغة التعليم بجميع فروعها العلمي والطبي لتحلّ الإنكليزية موقع الصدارة، والمرحلة الثالثة تميّزت بإعادة الاعتبار للغة العربية رغم استمرار الغلبة للغة الإنكليزية^٣.

كانت تدرّس: العلوم الطبية والطبيعة والدينية والعقلية والفلسفية وعلوم اللاهوت^٤.

ضمّت هذه الكلية الطلاب المسيحيين وبنوع خاص من الكنيسة الأرثوذكسية، أمّا المسلمون فقد كانوا بمنأى عن المبشرين فلم يجرؤ هؤلاء على احتوائهم، باستثناء بعض حالات التنصير التي تمت على مستوى الأسرتين اللمعية والشهابية وبعض العائلات الدرزية من المتن، والشيعية في بلدة جبيل^٥. جبيل^٥. فقد تخرّج من تلك الكلية أثناء الفترة الممتدة بين عام ١٢٨٨-١٣٠١هـ / ١٨٧١-١٨٨٣م اثنان وستون طبيباً جلّهم من لبنان ومعظمهم من النصاري، بينهم مسلم واحد وثلاثة دروز^٦.

تم استبدال تلك الكلية في عام ١٩٢٠م باسم الجامعة الأمريكية بهدف نزع الصبغة الدينية عنها، ولجذب المسلمين إلى إدارتها وتعليمها ولمنافسة (جامعة القديس يوسف)^٧.

^١ فروخ، خالدي: التبشير والإستعمار،، ص ٩٤ ومايليها

^٢ يعود سبب ذلك تنوّع الجنسيات على أرض الجامعة، وصعوبة إيجاد المعلّمين ذوي الخبرة الكافية باللغة العربية، بالإضافة إلى المصاعب في الحصول على الكتب المدرسية يرافق ذلك كله تخلف العربية عن اللحاق بركب العلوم والفلسفة انظر: حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور،، ص ٥٥٢.

^٣ مجلة المقتطف: السنة السابعة، ١٩٠٣م،، ص ٩٠٥-٩٠٦/الصولي: أسباب النهضة العربية،، ص ٩١ ومايليها.

^٤ خوري: المؤسسون الرواد للجامعة الأمريكية،، ص ١٩.

^٥ تعود حالات التنصير تلك لأسباب سياسية واقتصادية بفعل مداخلات بعض المبشرين الموارنة ولمعرفة المزيد انظر غنام: مقاطعات جبل لبنان،، ص ٢٤٥.

^٦ رستم: لبنان في عهد المتصرفية، دار النهار، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٢٤٤ وما يليها.

^٧ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٧١.

أما في سوريا فقد انفردت أمريكا بتأسيس ثلاث عشرة مدرسة^١.

- مدارس الإرساليات الروسية والألمانية والإنكليزية والإيطالية يمكن إجمالها بما يلي:

* **المدارس الروسية:** تأسست مدرسة إعدادية في الناصرة بلواء عكا للروس عام ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م عدد طلابها ٣٠ وهي غير مرخصة، وأخرى رشدية في المكان نفسه عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م ، عدد طلابها ٧٠ وهي أيضاً غير مرخصة^٢.

* **الألمان:** افتتحو مدارس لتعليم الأطفال الألمان، ثم دخل بعض أبناء الأرثوذكس إليها إلا أنها لم تحقق نفوذاً، تأسست مدرستان رشدية وإعدادية في عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م في حيفا بلواء عكا، وهما مدرستان مختلطتان ذكور وإناث غير مرخصتين. كما تأسست المدرسة الألمانية في بيروت سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٦٦م، لتدريس اللغة الألمانية والعربية والإنكليزية فضلاً عن إيوائها للأيتام وضحايا الحرب الأهلية ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م، وكانت تقع في الشارع الذي أطلق عليه فيما بعد شارع البطريك (حويك)^٣.

* **الإنكليز:** أنشؤوا مدرسة إعدادية في صفا بلواء عكا عدد طلابها ٥٥ عام ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م، وهي أيضاً غير مرخصة^٤. كما أسسوا في بيروت سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م مدرسة للعميان في زقاق البلاط لتعليمهم القراءة والكتابة وتدريبهم على المهن^٥.

* **إيطاليا:** بقيت المدارس الإيطالية قليلة حتى الحرب العالمية الأولى، منها المدرسة التجارية الإيطالية وهي إعدادية عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م، بلغ طلابها العشرين وهي غير مرخصة، وأخرى رشدية عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٠م عدد طلابها ١٢٠، وهي غير مرخصة^٦.

وقبل أن ننهي الحديث عن المدارس الأجنبية لابد أن نتطرق بإيجاز لأهم مدارس الفتيات التي أنشئت في تلك الفترة، والتي تعد إحدى أهم ثمرات النشاط التبشيري للمنطقة.

^١ بيات: المؤسسات التعليمية،، ص ٢٩٢، ولمعرفة أسماء هذه المدارس راجع المرجع نفسه ص ٣٣٢.

^٢ بيات: المؤسسات التعليمية،، ص ٣٥٥.

^٣ حتي: لبنان منذ أقدم العصور،، ص ١٩٣.

^٤ بيات: المؤسسات التعليمية،، ص ٣٥٤-٣٥٥/عترسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٧٣.

^٥ عصام شبار: تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين، دار مصباح الفكر للطباعة، بيروت، د.ط، ١٩٨٧م، ص ١٩٣.

^٦ بيات: المؤسسات التعليمية،، ص ٣٥٤-٣٥٥/ انظر أيضاً عترسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٧٣-١٧٤.

٤-مدارس الفتيات: إنّ للتعليم النسائي أهمية خاصة في بناء المجتمع، وهذا الأمر لم يغيب عن أعين المبشرين، فعندما قدموا إلى العالم العربي كان العلم بين الرجال قليلاً، أما بين النساء فلم يكن يذكر، وقد أدرك المبشرون خطورة ذلك الأمر، فأولوه اهتماماً عظيماً^١.

افتتحت أول مدرسة إرسالية خاصة عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م من قبل الإرساليات البروتستانتية في عبيه، أسسها إيلي سميث وزوجته، كما قاما بتأسيس سكن داخلي للطالبات، وركزوا في تعليمهم على اللغة العربية والإنكليزية ومبادئ الدين المسيحي والإنجيل^٢، تبعها مدرسة أخرى عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥ وكان عدد تلميذاتها أربعين^٣.

كما افتتحت مدرسة راهبات مار يوسف عام ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م، إلا أن الموقف الفرنسي المعارض لليسوعيين منعهم من ممارسة نشاطهن^٤، تبعها راهبات المحبة عام ١٢٥٤هـ / ١٨٤٧م، وأخذن يتقنن في تهذيب الفتيات في الشام وفلسطين، وبعد سنين قليلة أنشأ الآباء اليسوعيون جمعية الراهبات المريميات عام ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م، وجمعية قلب يسوع، وهاتان المدرستان حازتا على رضى الأساقفة والأهالي وخدمتا الوطن ثم اجتمعتا بأخوية واحدة وعرفت باسم راهبات قلبي (يسوع ومريم). ويشهد لهنّ الجميع في يومنا بالخير والصلاح وحسن التربية في كل من بيروت وعكا وحيفا والناصرة^٥.

ومدرسة (بوين طومسون) سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م للبنات اليتامى اللواتي قُتل ذوهن في أحداث السنة المذكورة لتتشي هذه السيدة فيما بعد الكلية الإنكليزية الأمريكية للبنات عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م. وكانت أول كلية تفتح للبنات في تاريخ بلاد الشام^٦، تبعها سلسلة من المدارس وهي الراهبات العازريات، مدرسة (مس تيلر)، مدرسة زهرة الإحسان للروم الأرثوذكس سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م وهي مدرسة داخلية خاصة تعلم الفتيات اللغات العربية والفرنسية والإنكليزية والروسية واليونانية والبيانو وأشغال اليد والتعليم المسيحي^٧. كما تأسس في عام ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م مدرسة للبنات في حلب وبقيت حتى الحرب العالمية الأولى^٨.

^١ فروخ، خالد: التبشير و الاستعمار،، ص ٨٦.

^٢ نصيرات: المسيحيون العرب وفكرة القومية،، ص ٦٩-٧٠.

^٣ الجندي: الحياة التعليمية في بيروت،، ص ١٥٤.

^٤ عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٢٥.

^٥ شيخو: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ١، ص ٤٣/انظر أيضاً عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ١٢٥-

١٢٦/حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور،، ص ١٩٣./النابلسي: عصر النكايا والرعايا،، ص ٤٢٢-

٤٢٣/شبار: تاريخ بيروت،، ص ١٩٣.

^٦ النابلسي: عصر النكايا والرعايا،، ص ٤٢٣.

^٧ زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٢٨/النصولي: أسباب النهضة العربية،، ص ١٠٤-١٠٥.

^٨ مجلة النشرة: ٤ حزيران، سنة ١٩٥٠م، ص ١٣٤-١٣٧.

مجمل القول عن المدارس التبشيرية: إن ساحة التعليم خلال القرن التاسع عشر ولاسيما في نصفه الأول، كان مسرحاً يكاد يكون موقوفاً على المدارس الأجنبية فقط التي خلا لها الجو العام بفعل مجموعة عوامل ساعدتها في إرساء قواعد الثقافة الغربية في بلاد الشام قبل أن يتنبه السلطان العثماني ويبادر إلى التعاون مع أبناء هذه البلاد لإنشاء مدارسها الرسمية^١. كما أن أحداث ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م أسهمت بشكل غير مباشر في زيادة عدد المدارس الأجنبية بسبب نزوح أعداد كبيرة من اللبنانيين إلى بيروت هرباً من الحرب الأهلية التي كانت مشتتة بالجل، فقد ذكر المرسلون الأمريكيون أن رسائل فتح المدارس انهالت عليهم من كل فج في سوريا ولبنان من الدروز والمسيحيين، مما جعل عدد المدارس التي تشرف عليها تلك الإرساليات يقفز إلى نحو إحدى وأربعين مدرسة في عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م ضمت حوالي ألف طالب وطالبة^٢. كما أن الحرية التي تمتعت بها المدارس الأجنبية على عكس المدارس الوطنية شكلت خطراً على عقول الناشئة، إذ أخذ المعلمون الأجانب يستميلون تلاميذهم إلى بلادهم^٣، الأمر الذي دفع بالمؤسسات الدينية إلى اتخاذ موقف عدائي منها على المستويين الرسمي والخاص، وتجلّى ذلك في عدم تغيير منهاج المدارس الدينية ومنع العلوم العصرية معتبرة إياها علوماً دخيلة هذا على المستوى الرسمي، أما الخاص (الفردى) فكان في انتقادها السلبي على لسان واحد من كبار رجال المؤسسات الدينية وهو الشيخ (محمد عبده)^٤ شيخ الجامع الأزهر عندما أقام في بيروت منفياً عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م و رأى هذا العدد الهائل من المدارس الأجنبية ففرع وقلق فرفع خطاباً إلى والي بيروت يشكو ويحتج، وقال: "كل هذه المكاتب الدينية أنشئت لغرضين : تحويل العقائد إلى المسيحية، وإمالة المشارب إلى الدول المنسوبة إليها"^٥

^١ سليمان البستاني: الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، مؤسسة هنداوي، القاهرة، د.ط، ٢٠١٢م، ص ٣٤-٣٥.

^٢ النابلسي: عصر النكاي والرعايا،، ص ٤٢٣..

^٣ البستاني: الدولة العثمانية،، ص ٣٤-٣٥.

^٤ محمد عبده (١٢٦٦-١٣٣٣هـ / ١٨٤٩-١٩٠٥م): عاش في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، قضى حياته كلها في مصر، أما سنوات نفيه الست قضى أكثرها في بيروت، وبعضها في باريس ولندن، تسلم العديد من المناصب منها محرراً لجريدة الوقائع المصرية، ومعلماً في دار العلوم ومدارس بيروت الخاصة والرسمية، إلى القضاء، وغيرها الكثير. نقولاً زيادة: أعلام عرب محدثون من القرنين الثامن والتاسع عشر، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، ١٩٩٤م، ص ٩٣-٩٩.

^٥ النابلسي: عصر النكاي والرعايا،، ص ٤٢٦. لمعرفة المزيد عن موقف المؤسسات الدينية من الكلية الإنجيلية وكلية القديس يوسف وغيرها انظر غرابية: سورية في القرن التاسع عشر،، ص ١٧٢.

ب- المدارس الوطنية^١ ويتفرع عنها:

- الأهلية المسيحية

لما أدرك أهل البلاد أنّ الذين يتتقنون في المدارس الأجنبية يحتلون مراكز اجتماعية مرموقة ومناصب حكومية رفيعة، ولما لاحظوا أنّ كسب المال أيسر إذا كان الإنسان متعلماً تعليماً عصبياً، أخذ بعض الناس يفتحون المدارس التي كانت تقتفي أثر المدارس الأجنبية في برامجها وإدارتها وكانوا يستخدمون الأساتذة الفرنسيين أو الأمريكيين وجعلوا هاتين اللغتين لغتي التدريس^٢ ومن هذه المدارس:

* **المدرسة الوطنية:** أنشئت في عبيه سنة ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م من قبل بطرس البستاني، وانتقلت فيما بعد إلى بيروت، جمعت بين صفوفها الطلاب على اختلاف عقائدهم، وعرفت تسامحاً دينياً، ومثلاً وطنية، وقيماً أخلاقية إنسانية، وسعت جاهدة إلى القضاء على المفاهيم الفكرية الخاطئة، محاولة الكشف عن الأهداف الأساسية للمصالح الأجنبية في إثارة الفتن وتسعير المشاعر الطائفية، وسرعان ما ذاع صيتها لينضم إليها الطلاب من مختلف أنحاء البلاد (الشام، مصر، الأستانة، اليونان والعراق)^٣، غايتها الأساسية أن يتلقّى فيها التلاميذ على اختلاف عقائدهم تعليماً أساسه التسامح الديني والمثل الوطنية، أنعمت الحضرة السلطانية على البستاني (بنيشاه عال)، مكافأة على خدماته، وتلقّى ولده (سليم البستاني)^٤ نيابة المدرسة وكان والده يلقي الخطب والمواعظ مرتين في الأسبوع^٥.

* **مدرسة الثلاثة أقمار:** أنشئت من قبل مطرانية الروم الأرثوذكس عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م في سوق الغرب لتنتقل إلى بيروت عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م، ويطلق عليها (مدرسة الثلاثة أقمار)^٦. ويذكر

^١ تعود تلك التسمية إلى أن الطوائف المسيحية في بيروت وجبل لبنان لها احتكاك بالحضارة الغربية الحديثة قبل المسلمين، وكان ذلك أمراً طبيعياً ومنطقياً، ذلك أن بين مسيحيي الغرب والشرق وحدة حال من الناحية الدينية، هذا الأمر أدى بصورة عفوية إلى وجود رابطة اجتماعية وثقافية بين الطرفين، وعلى المستوى التعليمي إلى مبادرة المسيحيين محاكاة نظرتهم في التدين (الغربيين)، في أسلوب إنشاء المدارس على الطريقة الأوروبية العصرية. انظر الجندي: الحياة التعليمية،، ص ١٥٦.

^٢ حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور،، ص ٥٦٠.

^٣ أنطونيوس: بقطة العرب،، ص ١١٥.

^٤ سليم البستاني: ولد بمنطقة الشوف في لبنان سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٦٣م، أدخل في السابعة من عمره إلى المدرسة الوطنية، وفيها تعلم العربية والفرنسية والإنكليزية والسريانية، كتب مقالات في مجلة الجنان، والجنينة، كما أنه اشتغل في تنظيم هيكل دائرة المعارف. زيادة: أعلام عرب ومحدثون،، ص ١٧٠.

^٥ زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ٢، ص ٣٩/ زيدان: آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٣٨/ الياس مطر: العقود الدرية في تاريخ المملكة السورية، مطبعة المعارف، د. ط، ١٨٧٤م، ص ١١٧.

^٦ كمال الصليبي: تاريخ لبنان الحديث، دار النهار، بيروت، ط ١، ١٩٩١م، ص ١٨٠.

(شيخو)^١ أنه لم يكن للروم الأرثوذكس خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر أي مدرسة ذات شأن، وإنهم كانوا يرسلون أبناءهم إلى مدارس الكاثوليك إلى أن أنشئوا عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م مدرسة خاصة بهم^٢، وهناك أيضاً مدرسة للروم الأرثوذكس في دمشق تأسست عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م وحصص ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م.

* **المدرسة السريانية:** أنشأها القس السرياني لويس الصابونجي^٣ عام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م.

* **مدرسة الحكمة:** أنشأها المطران يوسف الدبس سنة ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م الذي نقل المطرانية من الجبل إلى بيروت^٤، لتهديب الإكليريكيين وتعليمهم. يلخص الدبس مراحل بناء هذه المدرسة بقوله: " لم يكن في طائفتنا مدرسة لتعليم الشبان العالمين، ولما داني الله بوافر سخائه لا باستحقاقي إلى أسقفية بيروت كان أول اهتمامي في إنشاء هذه المدرسة للعالمين، فشريت عدة قطع من الأرض من المحلة المعروفة بالغابة سنة ١٢٥٤هـ / ١٨٤٧م، وأخذت في البناء في السنة المذكورة، وواصلت السعي في تكملة هذه المدرسة فوهبني الله التوفيق فكان أكثر البناء القائم الآن مع الكنيسة كاملاً في آخر سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م... كان مجمل ما صرفته في هذه المدرسة من نفقة البناء والأثاث وشراء العقارات وتعمير مساكن للأجرة نحو ثلاثين ألف ليرة فرنسية إلى الآن... وقد نجحت والحمد لله... ولا ينقص تلامذتها في كل سنة عن ثلاثمائة طالب السواد منهم داخليون... وقد نبغ منها كهنة وعلماء وخطباء وشعراء وكتّاب، وكنت أرسلت أخي الخوري بولس مسعد^٥ بعد إتمام دروسه في مدرسة عين

^١ لويس شيخو: ولد في ماردين، ثم اتصل بالآباء اليسوعيين فتعلم في مدرستهم بغزير، سافر إلى أوروبا، ثم عاد ودرس الآداب العربية في كليتهم، انقطع إلى التأليف فخدم الآداب العربية بما ألفه من الكتب القيمة، كانت مجلة المشرق ميدانه ينشر فيها كل ما يعن له نشره، له العديد من المؤلفات أهمها (تاريخ آداب اللغة العربية). مارون عبود: أدب العرب (مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم)، مؤسسة هنداوي، مصر، د. ط، ٢٠١٢م، ص ٣٢٣ وما يليها.

^٢ شيخو: الآداب العربية في القرن التاسع عشر، ...، ص ٨١٠ وما يليها/ غنام: مقاطعات جبل لبنان،، ص ٢٣١/ شبار: تاريخ بيروت،، ص ١٩٧.

^٣ لويس الصابونجي (١٢٥٤-١٣٥٠هـ / ١٨٣٨-١٩٣١م) لويس بن يعقوب بن إبراهيم الصابونجي، عارف باللغات، أصله من ديار بكر مولده فيها، تعلم في سورية ورومية، أجاد التركية واللاتينية والفرنسية والإيطالية والإنجليزية، أصدر مجلة النحلة ببيروت، ثم نقلها إلى لندن، عين أستاذاً لأبناء السلطان حميد و مترجماً خاصاً له، له العديد من المؤلفات. الزركلي: الأعلام،، ج ٥، ص ٢٤٧-٢٤٨. لمعرفة المزيد عن تلك المدرسة انظر الشيخ طه الوالي: بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٢٣٠.

^٤ حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور،، ص ٦٠.

^٥ بولس مسعد: بن مبارك مسعد من عشقوت يتصل نسبه بالشدياق، ولد سنة ١٢٢٠هـ / ١٨٠٦م، تلقى علمه على يد العالم الفاضل الخوري انطوان عريضة، دخل مدرسة عين ورقة وأنقن اللغات السريانية والعربية والإيطالية واللاتينية، أرسل إلى رومة ليتم دراسة سائر علومه الكنسية في مدرسة مجمع نشر الإيمان المقدس، في سنة ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

ورقة إلى باريس سنة ١٢٠٢هـ / ١٨٧٥م ليكمل دراسته ومراعاة إدارة المدارس في أوروبا، فعاد إليّ سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م وعهدت إليه بإدارة هذه المدرسة ورئاستها فأتمّ ذلك بما يرضي الله ويعزيني عن أتعابي... الخ^١. أهم مواد تدريسها هي العربية والفرنسية والإنكليزية والتركية واللاتينية والحساب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة والطبيعيات والفقه^٢. وقد تغنى البعض بهذه المدرسة بالقول:

وقد شيدت في بيروت مدرسة بدا
لمن يتحدّى العلم موردها عذبا^٣

* **المدرسة البطريركية الكاثوليكية:** أنشئت سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م، وأقبل إليها الطلبة من الشام ومصر وقبرص^٤، تدرس العربية والفرنسية والإنكليزية والتركية والرياضيات وغير ذلك. نبغ من خريجها كثير من الأدباء^٥

لم يقتصر الأمر على المسيحيين بإنشاء المدارس بل انتقل الأمر إلى جميع الطوائف كالتوائفة اليهودية، التي أسست أول مدارسها في منطقة الأشرفية في بيروت^٦، وأيضاً مدرسة الإليانس الإسرائيلية للذكور^٧، أنشئت في دمشق ١٢٩٩هـ / ١٨٨٠م كما أسست مدرسة أخرى للإناث في عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م، ومدرسة (زاكي كوهن) لليهود في قضية بيروت بلغ عدد طلابها ٨٨ في صفد وحيفا وهما غير مرخصتين^٨.

ويمكن إجمال عدد المدارس المسيحية واليهودية وفق إحصاء سالنامة ولاية سورية أنه في عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م كان يوجد في بيروت ٢٣ مدرسة لجميع الطوائف المسيحية واليهودية^٩.

جعله البطريرك يوسف حبّيش كاتب له، ثم رقي سنة ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م إلى أسقفية طرسوس له العديد من المؤلفات. أنظر الدبس: الجامع المفضل،، ج ٩، ص ٤٦٨-٤٧٣.

^١ الدبس: الجامع المفضل،، ج ٩، ص ٤٩٠-٤٩١.

^٢ النصولي: أسباب النهضة،، ص ١٠٢-١٠٣/المقتطف: السنة السابعة،، ص ٣٩٠.

^٣ من هؤلاء الشعراء سليم أفندي الحلج. عبد الله البستاني: ربحانة الأئس في تهنئة المطران يوسف الدبس، بيروت، د.ط، ١٨٨٧م، ص ٢٩٤.

^٤ غنام: مقاطعات جبل لبنان،، ص ٢٣١.

^٥ النصولي: أسباب النهضة،، ص ١٠٣.

^٦ جريدة ثمرات الفنون: العددان ١٥، ١٩، جمادى الأولى ١٢٩٢هـ / ١ حزيران ١٨٧٥م.

^٧ بيات: المؤسسات التعليمية،، ص ٣٣١-٣٣٢.

^٨ بيات: المؤسسات التعليمية،، ص ٣٥٣-٣٥٤/شبار: تاريخ بيروت،، ص ١٩٤/وانظر أيضاً زيدان:

فلسطين تاريخها وآثارها، مجلة الهلال، عدد ٢٢٢، سنة ١٩١٤م، ص ٦٠٤.

^٩ سالنامة ولاية سورية، دفعة ١٦، سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م، ص ١٤٠-١٤٥.

- المدارس الأهلية الإسلامية:

كان وضع المدارس الإسلامية مزرياً قياساً بمدارس الإرساليات التبشيرية والأخرى المسيحية، وقد وصفت مجلة الفجر الصادق الحالة العامة لتلك المدارس بما يأتي:

"أما الطائفة الإسلامية، فإنها كانت غافلة عن ذلك خمس عشرة سنة، مقتصرة في المدارس على بعض زوايا مهجورة مملوءة بالعفونة والرطوبة، مما يضر بصحة الطلاب، وبقيت محرومة من الفوائد التامة، بالمدارس الملقبة بالعمومية لأن مبادئ تعليمها لا توافق المشرب الإسلامي من وجوه معلومة..... إلخ^١. وقد كان عبد القادر قباني وعبر جريدته (ثمرات الفنون) يحث المسلمين دائماً على افتتاح المدارس محذراً من خطورة الغزو الفكري فيقول: "إن أوروبا لم تتجشم هذه المتاعب رحمة بالشرق، ولا رأفة بأهل الشام"^٢.

يعدّ بعض الكتاب والمؤرخين أن سبب تخلف المسلمين أو تأخرهم عن اللحاق بركب ترقّي العلوم يعود إلى الدولة العثمانية نفسها، التي كانت المسؤولة الأولى عن دينهم وديارهم، لأنها تأخرت كثيراً في افتتاح المدارس في الولايات العربية العثمانية وسبب ذلك:

- أن الدولة العثمانية لم تعرف فترة سلام طويلة، فطيلة عهدها كانت في حروب متتالية، فلم تعرف الدولة طعم الراحة منذ تأسيسها حتى سقوطها، لذلك كان همّها الدفاع عن البلاد وتقوية الجيش.

- تركت الدولة العثمانية أمر التعليم للطوائف والملل، وعليه فإن جميع الطوائف قامت بإنشاء العديد من المدارس إلا الطائفة الإسلامية^٣.

- كانت المدارس الإرسالية منتشرة بكثرة في بيروت، فترددت العائلات المحافظة في إرسال أبنائها إلى هذه المدارس خوفاً من مغبة تغريبهم، ومحاولة التأثير على عقولهم وربما (تتصيرهم)^٤. أما الفتاة فلم يكن يسمح لها بالخروج من المنزل إلا في الحالات القصوى.

- إحجام المسلمين عن تلقّي العلوم الحديثة ولم يكن همّه (المسلم) إلا أن يتعلّم ابنه القرآن الكريم ويرتّله على أيدي الشيوخ، أي في المدارس التقليدية الإسلامية^٥، يضاف إلى ذلك العقلية التي

^١ الفجر الصادق: البيان السنوي لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م، أعمال السنة الأولى، الأولى، طبع بمطبعة ثمرات الفنون، ص ٤.

^٢ حسان حلاق: جمعية المقاصد الخيرية، جريدة النهار، عدد ١١، ص ٥-٨٣.

^٣ الجندي: الحياة التعليمية،، ص ١٥٣.

^٤ علي حيدر مدحت: مدحت باشا، مرآة حيدر، ترجمة سوسن آغا قصاب، استانبول، مطبعة الهلال، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، ص ٢٠٩-٢١٠.

^٥ الجندي: الحياة التعليمية،، ص ١٥٨-١٥٩.

كانت تتحكم بغالبية الأهالي، والتي كانت تعتبر أنه من العار عليها أن ترسل أبناءها لطلب العلم وغايتها في ذلك كسب الرزق.

غير أن الجهود تضافرت واتحدت الهمم لتأليف جمعيات إسلامية خيرية للنهوض بالتعليم وأول جمعية من هذا النوع أنشئت من قبل الدروز عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م لتعليم الأولاد الفقراء^١، ولما أصبح مدحت باشا والياً على سوريا سنة ١٢٩٦-١٢٩٧هـ / ١٨٧٨-١٨٧٩م شجع الأهالي على تشكيل تلك الجمعيات الخيرية لافتتاح المدارس الابتدائية للذكور والإناث، غير أن ظهور مناشير عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م منددة للحكومة وداعية العرب إلى النهوض والثورة على العثمانيين وقيام السلطات العثمانية باتهام- مدحت باشا- والجمعيات الخيرية بالتحريض وإصدار المناشير، دفع الباب العالي إلى إغلاق الجمعيات وتشكيل مجلس المعارف عوضاً عنها ونقل مدحت باشا عن ولاية سوريا^٢.

وعندما انتصح للأهالي المتنورين مساوئ المدارس الأجنبية والمدارس الحكومية وقتلتها اندفع أرباب الغيرة لتأسيس مدارسهم الخاصة هادفين من خلالها إلى تنشئة جيل يحافظ على دينه ووطنه^٣، إلا أنها لم تستمر طويلاً وذلك بسبب المضايقات التي تتعرض لها من قبل السلطات العثمانية، التي خشيت من أي نشاط وطني بعد ظهور المناشير في بيروت، ومن جهة أخرى فقر معظم الأهالي وعدم اهتمام الطبقات الفقيرة بالتعليم، في حين اتجه أبناء الأغنياء إلى التعلم في المدارس الأجنبية، بالإضافة إلى شدة الإقبال على المدارس الحكومية طمعاً بالوظائف^٤. بلغ عدد المدارس الخاصة في ولاية سوريا عام ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م حوالي عشرين مدرسة^٥، بينما لم يفت البيروتيون المدارس على الطريقة العصرية إلا في نهاية القرن التاسع عشر، عندما قامت بعض العائلات البيروتية بلفت الأنظار إلى خطر وقوع أولادهم تحت تأثير المبشرين في المدارس الأجنبية، الذين كانوا يستغلون وجود هؤلاء الأولاد في مدارسهم لتحويلهم من الديانة الإسلامية إلى المسيحية، فحمل الأهالي هذه الشكوى إلى والي الأيالة، الذي اتصل باسطنبول، وتم اختيار (جامع النوفرة) لاتخاذ بعض غرفه لتدريس أبناء المسلمين فيها^٦.

^١ مجلة الجنان: سنة أولى، ١٨٧٠م، ص ٢٦١-٣٥٨.

^٢ مدحت باشا: مذكرات مدحت باشا،، ص ٣٦-٣٧-٣٨. /المقتطف: السنة السابعة،، ص ٣٩١/مجلة المجمع العلمي: دمشق، مجلد ٤٩، ج ٤، ص ٨٧١-٨٨١/عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية،، ٢٦٣. حلاق: جمعية المقاصد،، ص ٩.

^٣ العلاف: دمشق في القرن العشرين،، ص ١٨٢-٢٠١.

^٤ مجلة المقتبس: مجلد ٥، ص ٥١٢. ومجلد ٧، ص ٣٥-٣٠٣.

^٥ المقتبس: عدد ١٠٩٥،، ص ٣٠.

^٦ عبد القادر قباني: مجلة الكشف، المجلد الأول، السنة الأولى، عدد ٢، مطبعة وزنكرغراف طيارة، بيروت، د.ط، ١٩٢٢م، ص ٨٧.

وفقاً لسالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م بلغ عدد مدارس المسلمين والتي كانت أشبه بالكتاتيب حوالي ١٢ مدرسة خاصة بالذكور^١، في حين أفردت سالنامة وزارة المعارف لعام ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م أسماء عشر مدارس مع أسماء معلميها^٢ وعدد التلاميذ، أما المدارس الرشدية والإعدادية والأهلية التي أسسها المسلمون في مدينة بيروت فكان عددها ست مدارس^٣، في حين بلغ عدد المدارس في حلب وضواحيها حوالي ٥١ مدرسة^٤.

٣. الجمعيات:

١. العلمية والأدبية والسياسية في بلاد الشام:

رافق النهضة التعليمية التي شهدتها بلاد الشام في القرن التاسع عشر نشوء العديد من الجمعيات والنوادي التي لعبت دوراً ثقافياً وسياسياً واجتماعياً مهماً^٥ في نشر الثقافة العربية وإحياء التراث واللغة العربية، وتنوير أذهان الشعوب إلى أهدافهم القومية والعربية، الأمر الذي دفعهم إلى المطالبة بحقوقهم وانتزاعها من أيدي السلطات العثمانية بمختلف الوسائل^٦.

كانت بيروت مقراً للعديد من تلك الجمعيات، التي عبر من خلالها المسيحيون عن البوادر الأولى للوعي القومي العربي. وبالإمكان تلمّس ذلك من خلال فحص مجموعة الأهداف التي قامت لأجلها تلك الجمعيات وما ناقشته من موضوعات في خطبها ونشاطاتها، ولابد من ذكر أنّ البداية الأولى لها كانت بالتعاون مع الإرساليات اليسوعية والأمريكية^٧، وفيما يلي تفصيل القول في أبرز هذه الجمعيات:

- **مجمع التهذيب:** أول جمعية ثقافية عربية أنشئت عام ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ م هدفت إلى تهذيب العقل واكتساب المعرفة ونشرها، ويتضح ذلك من الرسالة التي بعثها بطرس البستاني إلى إيلي سميث في بيروت يتحدث عن إنشاء ذلك المجمع^٨، لم يقتصر برنامجه على الموضوعات اللغوية والأدبية بل تجاوزها إلى مناقشة الوطنية وإحياء أمجاد الماضي، غير أنّه لم يتعرّض للمسائل الدينية والسياسية

^١ سالنامة: ولاية بيروت، سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م، ...، ص ٢٤٤.

^٢ سالنامة: نظارة المعارف، سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م، ج ٢، ص ٤٢٥.

^٣ الجندي: الحياة التعليمية،، ص ١٦٠.

^٤ بيات: المؤسسات التعليمية،، ص ٢٨٦.

^٥ نصيرات: المسيحيون وفكرة القومية،، ص ١٥/ غرابية: سورية في القرن التاسع عشر،، ص ٢١٥.

^٦ حسين العودات: العرب والنصارى، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٩٩٢ م، ص ٢٠٥.

^٧ نصيرات: المسيحيون وفكرة القومية،، ص ٧٧-٧٨.

^٨ بطرس البستاني: الجمعية السورية للعلوم والفنون (١٨٤٧-١٨٥٢ م)، تحقيق: يوسف خوري قزما، الحمراء للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ١٩٩٠ م، ٦.

وهذا ما يفسّر بعض شروط الانتساب لهذا المجمع، وهو أن يتمتع العضو بروح السلامة والهدوء، وأنّه منتسب لغاية المنفعة^١.

- **جمعية بيروت السورية:** تأسست في بيروت عام ١٢٥٤هـ/١٨٤٧م بمعونة المبشرين الأمريكيين لغرض نشر العلوم وترقية الفنون بين الناطقين بالعربية^٢، حملت في البداية اسم جمعية العلوم والفنون^٣ والفنون^٤ انضم إليها نخبة من الأدباء والعلماء والوجهاء، وبلغ عدد أعضائها خمسين عضواً، وتكاد تكون مقصورة على المسيحيين فقط^٥. تسلّم رئاستها (وليم طومسون). ظلّت هذه الجمعية عاملة إلى عام ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م، تجتمع مرّة في الشهر، وبلغ عدد جلساتها ثلاثاً وخمسون جلسة تدور فيها الخطب والمباحثات^٦. يروى أن تأسيسها كان بناء على اقتراح قدّمه (بطرس البستاني، وإبراهيم اليازجي) للمرسلين الأمريكيين غايتهم من ذلك تأسيس جمعية أدبية تعمل على نشر العلوم بين الكبار عن طريق حملهم إلى الاحتكاك بالثقافة الغربية على أن يساير ذلك انتشار التعليم في المدارس وظهور الاهتمام بالعلوم^٧. وقد حدّد دستور الجمعية مجموعة الأهداف التي يجب تحقيقها في مجال العلوم والفنون وأهمّها العمل على أنها من الرغبة في اكتساب العلوم، أما الفوائد المجردة عن المسائل الخلاقية في الأديان والأحكام، فهذه أمور لا تتعلّق بنشاط الجمعية^٨.

- **الجمعية الشرقية:** يعد اليسوعيّون أول من احتذى خطوات الأمريكيان في تأسيس الجمعيات، فأسسوا في سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م تلك الجمعية في بيروت في دير الآباء اليسوعيّين^٩، وهي علمية أدبية، أهدافها مماثلة للجمعية السابقة في نشر العلوم والمعرفة، وجرت مباحثها باللغة العربية^{١٠}. كان باب الانتساب إليها مفتوحاً للجميع دون استثناء، حدّدت أهدافها بأنّها من أجل الخير العام لا بقصد الأرباح الذاتية، وإتّما لتحقيق ما تصبو إليه سورية من التمدّن^{١١}، السجلات الباقية حول تلك الجمعية ناقصة

^١ عبد العزيز الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية (دراسة في الهوية والوعي)، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٤٩/نصيرات: المسيحيون وفكرة القومية،، ص ٧٨.

^٢ المحاسني: دراسات تاريخية في النهضة العربية،، ص ٨٠.

^٣ شمس الدين الرفاعي: تاريخ الصحافة السورية، جزآن، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ج ١، ص ٤٩.

^٤ نذكر من أعضائها: الدكتور فاندريك، بطرس البستاني، إيلي سميث، ناصيف اليازجي، هنري دي فرست، ميخائيل مشاققة، ميخائيل سحابة وغيرهم، زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٦٩.

^٥ زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٦٨.

^٦ الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٤٩.

^٧ البستاني: الجمعية السورية،، ص ١٩.

^٨ أنطونيوس: يقظة العرب،، ص ١١٨.

^٩ البستاني: الجمعية السورية،، ص ١٢٤-١٢٥/الدوري: التكوين التاريخي،، ص ١٤٩.

^{١٠} يوسف سركيس: الجمعية الشرقية في بيروت، المشرق، العدد ١٢، سنة ١٩٠٩م، ص ٣٢-٤١.

غير أنها تشير إلى عقدها لبعض اجتماعاتها الدورية، التي تلقى فيها بعض الأبحاث. أما أعضاؤها فبعضهم من السوريين والآخر من الأجانب، وكانوا جميعاً من المسيحيين^١.

- **الجمعية العلمية السورية (١٢٧٤-١٢٨٥هـ/١٨٥٧-١٨٦٨م):** أنشئت على غرار جمعية بيروت السورية قلّدتها في قوانينها وشروطها حتى في اسمها، لكنّها اختلفت عنها بانتساب العديد من الشخصيات البارزة إليها من المسلمين والمسيحيين الذين يقيمون داخل البلاد وخارجها ولا سيما القسطنطينية والقاهرة. بلغ عدد أعضائها ١٥٠ عضواً^٢. كانت غايتها إثارة الوعي الوطني في النفوس للعمل على بعث التراث العربي والاعتزاز به. نشرت أفكارها عن طريق نشرتها الدورية (مجموعة الأعلام)^٣، ولم تتعرض للمسائل السياسية أو الدينية^٤.

أعاققت مذابح ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م جهود الجمعية إلاّ أنّه أعيد تأليفها بعد ذلك، ونالت اعتراف الحكومة بها عام ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م، كفرع لجمعية علمية في استنبول هي الجمعية العثمانية^٥، وتمّ انتخاب عمدة لتدير أعمالها^٦.

لقد كان إنشاء هذه الجمعية أول مظاهر الوعي الوطني الاجتماعي، لكونها التقت حول أهداف ومثل واحدة تسعى إلى تطوير البلاد، وقد مثّلت بحق أول تعبير فعلي عن الوعي القومي العربي، ولعبت دوراً أساسياً في تطوير القوة الأساسية التي كانت حلف الحركة القومية العربية^٧.

- **جمعية شمس البر:** أنشئت في بيروت عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م وهي أدبية خطابية، انتظم في سلكها طائفة كبيرة من أدباء بيروت وسورية، وأكثرهم متخرجون من المدرسة الكلية الإنجيلية وغيرها من

^١ أنطونيوس: يقظة العرب،، ص ١١٨.

^٢ كان أبرز أعضائها: إبراهيم اليازجي الذي أخذ ينظم القصائد مهاداً للفكرة الوطنية ويدعو العرب إلى التحرر، كما تغنى تغنى بأمجاد الأدب العربي ودعا السوريين إلى الاتحاد لرفع يد الحكم التركي وقصيدته المشهورة

تنبّهوا واستفيقوا أيها العرب
فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

انظر: توفيق برو: العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، جامعة الدول العربية، القاهرة، د.ط، ١٩٦٠م، ص ٢٦/
وأيضاً زيدان: تاريخ أدب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٨٤.

^٣ مصطفى الشهابي: القومية العربية، تاريخها قوامها ومراميها معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، ١٩٦١، ص ١٤٥ / المحاسني: النهضة الحديثة،، ص ٨٠ / زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٩٩ / أنطونيوس: يقظة العرب،، ص ١١٩.

^٤ نصيرات: المسيحيون وفكرة القومية،، ص ٨٨.

^٥ الدوري: التكوين التاريخي،، ص ١٥٠.

^٦ عين حسين رئيساً، سليم البستاني نائباً، إلياس كركبة وحنين خوري وعبد الرحيم بدران مميّزون، سليم شحادة وموسى يوحنا فريج كاتبان، إبراهيم اليازجي وسليم الخوري مصححان عبد الأحد خضراً أميناً للصندوق، جرجس الجاهل أميناً للمكتبة، يوسف الشلفون مدير أشغال، انظر البستاني: أعمال الجمعية العلمية السورية،، ١٤٢.

^٧ رافق: العرب والعثمانيون،، ص ٥١٥.

مدارس الأمريكيين، وفيهم طبقة من الكتاب وأرباب الصحف، والأساتذة والأطباء والوجهاء. وقد انتشرت روح هذه الجمعية بانتشار أعضائها في سورية ومصر^١، فنبتت لها فروع كثيرة في المدن لكل منها اسم خاص، منها جمعية رباط المحبة وهي فرع من جمعية اتحاد الشبان المسيحيين تم تأسيسها سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، ومقصدها مضادة روح الكفر والملكات الردية كالسكر ونحوه، وتهذيب الشبان المسيحيين وتقويتهم في المبادئ الدينية المسلم فيها من جميع الطوائف النصرانية، ومساعدة المرضى والمحتاجين وهي لا تتعرض للأمور السياسية، وعدد أعضائها ٢٨ عضواً^٢.

- **جمعية زهرة الآداب:** تأسست في بيروت عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م برخصة من الحكومة العثمانية على يد (أسعد باشا) متصرف بيروت في ذلك العهد. انخرط في عضويتها طبقة من الأدباء منهم جماعة من متخرجي (المدرسة الوطنية) للبيستاني، وغيرها من المدارس الكبرى^٣. الغرض منها التمرن على الخطابة وقوة الحجة والدرس والبحث. وكان كل عضو مكلف بدرس يلقيه على سائر الأعضاء مرة في الأسبوع، وكانت تؤلف الروايات وينفق دخلها في سبيل المشاريع الخيرية. وقد توقفت هذه الجمعية في أيام عبد الحميد^٤.

- **جمعية بيروت السرية (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م):** أولى الجمعيات السرية العربية التي نددت بالحكم التركي وطالبت باستقلال الولايات العربية^٥. أنشئت في بيروت من قبل خمسة شبان درسوا في الكلية البروتستانتية، كانوا جميعاً من النصاري^٦، غير أنهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدروز إليهم فاستطاعوا أن يضموا إليهم نحو اثنين وعشرين شخصاً من مختلف الطوائف، لها فروع في طرابلس ودمشق وصيدا. كان عملهم في البدء مقتصرًا على الاجتماعات السرية يتبادلون خلالها الآراء، ويبحثون الخطط وكيفية نشر أفكارهم السياسية باستخدام وسائلهم واتصالاتهم الشخصية، وبعد أن قضوا على هذا الأمر أربع سنوات عزموا على توسيع نطاق دعوتهم ونشرها عن طريق لصق المنشورات في الشوارع والتي تضمنت تنديداً عنيفاً بمبادئ الحكم العثماني والعمل على تحريض السكان العرب والثورة عليهم والإطاحة بهم^٧.

^١ زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٧٠.

^٢ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٢٠.

^٣ من أعضاء تلك الجمعية نذكر أديب إسحاق، إسكندر العازا، إبراهيم اليازجي، وبعض من آل مراش في حلب وآخرون زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٧٠.

^٤ زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ص ٧٠-٧١. /النصولي: أسباب النهضة،، ص ١٧٠.

^٥ المحافظة: الاتجاهات الفكرية في عصر النهضة،، ص ١٣٠.

^٦ نصيرات: المسيحيون وفكرة القومية،، ص ٢٥.

^٧ نصيرات: المسيحيون وفكرة القومية،، ص ٢٤-٢٥/ أنطونيوس: يقظة العرب،، ص ١٤٩-١٥٠/ الشهابي: القومية العربية،، ص ٤٥.

اتهم الصدر الأعظم (مدحت باشا) بأنه مطّلع على سرّ هذه الجمعية ووجودها فنسب إليه إثارة الاضطراب في بلاد الشام لفصلها عن حكم السلطان وتم نفيه، غير أنّ الثابت أنّ المذكور لم يكن له أي صلة بهذه الجمعية ودليل ذلك أنّها استمرت أربع سنوات بعد اتهامه ولشدة طغيان عبد الحميد توقّفت أعمال تلك الجمعية وأتلف أعضاؤها السجلات وهاجر قسم منهم إلى مصر^١.

- **الجمعية العلمية في المدرسة الكلية:** أنشأها تلاميذ المدرسة الكلية الأمريكية عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، غايتها الأساسية هي تمرين الشباب على الاجتماع وإلقاء الخطب والمباحث في الموضوعات الاجتماعية والتاريخية، أعضاؤها هم تلاميذ تلك الكلية في مرحلة الصفوف العلمية العليا. وقد انتشرت في سورية وغيرها بتحركات طلابها وتنقلاتهم. وفي المدارس الوطنية الكبرى في بيروت أنشأت مدارس من هذا القبيل وللغاية نفسها، منها جمعية مدرسة الحكمة، التي أنشئت في العام نفسه، غايتها الدفاع عن حقوق العرب مهما اختلفت مذاهبهم ومن قوانينها أن تعقد اجتماعاً كل عام تدعو إليه أعيان بيروت وكبار رجال الحكومة وغيرهم^٢.

- **جمعية حفظ حقوق الملة العربية:** نشأت في بيروت على يد مجموعة من المتحمسين والمسلمين عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، غايتها الدفاع عن حقوق العرب مهما اختلفت مذاهبهم، وحفظ حقوق الأمة العربية والمساواة بين العرب والأتراك، وإجراء الإصلاحات في البلاد العربية، واستقلال كل ولاية بماليتها، وتخصيصها بوالٍ عربي أو معاون عربي^٣، وجاء في إحدى منشوراتها "أين أنتم وأين هم، من منكم اليوم أمير، ومن منكم اليوم وزير، ومن منكم اليوم مدير، بل كل واحد فيكم فقير، وكبيركم مثل صغيركم فقير، والمال والآمال في أيدي الترك؟ اتحدوا واستعدّوا لنوال حريّكم من المعتدين"^٤.

- **حلقة الشيخ طاهر الجزائري:** تعدّ هذه الجمعية أقدم أساس وأرسخ ركن قامت عليه النهضة الأدبية الأدبية والعلمية في دمشق^٥، دعت إلى تعليم العلوم العصرية، وتدريس تاريخ العرب وتراثهم العلمي

^١ أنطونيوس: بقظة العرب،، ص ١٥٠-١٥١.

^٢ زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٧١.

^٣ نصيرات: المسيحيون وفكرة القومية،، ص ٢٥.

^٤ محمد عزة دروزة: نشأة الحركة العربية الحديثة، ستة أجزاء، المطبعة العصرية، صيدا، د.ط، ١٩٧١م، ج ١، ص ٩٤-٩٥.

^٥ طاهر الجزائري (١٢٦٨-١٣٣٨هـ/ ١٨٥٢-١٩٢٠م) جزائري الأصل، دمشقي المولد، كان والده أحد أولئك الذين أبث نفوسهم الإقامة في الجزائر بعد احتلال الفرنسيين لها ١٨٣٠م، قضى معظم حياته في دمشق باستثناء فترة قصيرة لجأ فيها إلى مصر هرباً من ضغط السلطات العثمانية، بدأ حياته العلمية معلماً في مدرسة ابتدائية هي الظاهرية، له العديد من المؤلفات منها، (مدخل الطلاب إلى علم الحساب)، (الفوائد الجسام لمعرفة خواص الجسام). عبود: أدباء العرب، ...، ص ١٤٨-١٥١.

وآداب اللغة العربية، والتمسك بمحاسن الأخلاق الدينيّة والأخذ بالصالح من المدنيّة الغربيّة^٢، أنشأها الشيخ (طاهر الجزائري) عند قدومه إلى بلاد الشام في القرن التاسع عشر، وكان يجتمع حوله صفوة المتعلّمين والمفكرين العرب، تولّد عن هذه الحلقة شعور قوي بالوضع السيئ الذي آل إليه العرب تحت حكم الأتراك، الأمر الذي نتج عنه قيام حلقة أو جمعية سرّية سياسية مؤلفة من أعضاء عرب وأتراك للقضاء على حكم السلطان المطلق وجعل الحكم شورى في الدولة، وذلك يتم بعودة الدستور المعلق^٣.

- **الجمعية التاريخية:** أنشأت في دمشق عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م للبحث في العلم والتاريخ، لا تتعرّض للمسائل السياسية ولا الدينية، عدد أعضائها ينيف عن السبعين^٤.

- **جمعية الفنون الطبية:** أنشئت عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م في دمشق، اختصت بالأبحاث، وانضم إليها الأطباء الوطنيون للبحث في المعارف الطبيّة ونحوها^٥.

ب. الجمعيات الخيرية:

- **جمعية المقاصد الخيرية:** تأسست عام ١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م في بيروت، وهي جمعية خيرية إسلامية لا تبغي الربح، أسسها (عبد القادر القباني)^٦، هدفت إلى تأمين التعليم الأساسي والتربية الإسلامية لأكبر عدد من أولادها، ورد الأخطار التي تعرض لها المسلمون إثر الهجمة الشرسة من قبل الإرساليات التبشيرية الأجنبية التي غزت بيروت وقرى جبل لبنان بعد حوادث الستين، فضلاً عن عدم اهتمام السلطنة بتخلف المسلمين ثقافياً في حين كثرت المدارس التي أنشأتها الطوائف المسيحية^٧. رأت الجمعية منذ بداية نشاطها أنّه لا بدّ من الاهتمام بتعليم الفتاة المسلمة وإعدادها جيداً لتكوين جيل مسلم ناضج ومنفتح، لهذا كان همّها الأول إنشاء مدارس للبنات المسلمات، وكانت باكرة أعمالها بافتتاح مدرسة عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م بلغ عدد أعضائها ٢٠٠ تلميذة تلاها عدد تلميذاتها ٢٥٠ تلميذة^٨ وقد

^١ المؤسسون الأوائل لهذه الحلقة: جمال الدين القاسمي، عبد الرزاق البيطار، سليم البخاري، رفيق العظم، محمد كردعلي، فارس الخوري وغيرهم/ انظر الشهابي: القومية العربية،، ص ٥١.

^٢ نصيرات: المسيحيون وفكرة القومية،، ص ٩٢.

^٣ الشهابي: القومية العربية،، ص ٥١-٥٣/ نصيرات: المسيحيون وفكرة القومية،، ص ٩١-٩٢.

^٤ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٢٠.

^٥ زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٧٦.

^٦ عبد القادر القباني (١٢٦٤-١٣٥٤هـ/ ١٨٤٨-١٩٣٥م) عبد القادر بن مصطفى آغا بن عبد الغني القباني، صحافي من أعيان بيروت، مولده ووفاته فيها، أصدر جريدة ثمرات الفنون، وهو من مؤسسي جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية. الزركلي: الأعلام،، ج ٤، ص ٤٦،

^٧ شبار: بيروت حتى القرن العشرين،، ص ١٩٤.

^٨ الفجر الصادق: جمعية المقاصد الخيرية،، ص ٨-٩.

انتشرت فروع تلك الجمعية في أنحاء الولاية جميعها^١، ومدرسة أخرى في المتحدين، وكان لازماً على كل أب أراد إدخال ابنته في هذه المدرسة أن يكتب تعهداً بتعليمها أربع سنوات على الأقل حتى يتسنى لها التزود بأكبر قسط من العلم والفن^٢.

نمت تلك الجمعية في عهد مؤسسها القباني غير أن الخلافات السياسية بين الحكومة العثمانية ووالي سوريا (مدحت باشا) الذي دعم تلك الجمعية، واهتم بإصلاح المدارس انعكس سلباً على وضعها، واتّهمت بأنها جمعية سرّية تعمل علناً بالتربية والتعليم، مما دعا الحكومة إلى إصدار فرمان عليها بحلّها، ولم يمض على تأسيسها ست سنوات، وتلحق (بشعبة المعارف الأهلية)، ذلك فرمان كان بداية اضمحلال دورها، وتأخر مدارسها^٣.

- **جمعية زهرة الإحسان:** أنشأتها طائفة الروم الأرثوذكس من قبل جماعة من سيدات هذه الطائفة عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م بغرض تعليم الفتيات، وترقية نفوسهن^٤.

أما فيما يخص الجمعيات في كل من ولاية حمص وحلب

حلب: لم تقم في حلب جمعيات، ولم ينشأ فيها ما يمكن أن يطلق عليه اسم جمعية علمية أو أدبية قبل إعلان دستور عام ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م، ولعلّ ذلك مردّه إلى الاستبداد والضغط على الأفكار، وسوء ظنّ الحكومة بكل اجتماع^٥.

لكنّ الغزي يذكر في تاريخه "أنّ نواة للجمعية الماسونية كانت موجودة في حلب سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م، وأنّ أحد الثقات أخبره أنّه رأى في هذا العام ختماً مكتوباً عليه هذا ختم جمعية الماسون في حلب، أمّا وجودهم العلني فيحدّده بسنة ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م^٦.

حمص: أكثر ما أنشئ فيها من جمعيات لغرض خيري طائفي، وبعضها خيري فقط للقيام بالإحسان إلى الفقراء ودفن الموتى، ونذكر منها جمعية دفن الموتى للروم الأرثوذكس تأسست عام ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م^٧.

^١ عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٢٦٣.

^٢ من تلامذة هذه المدرسة: خديجة خضر محمصاني، زوجة محمد فروخ، ونظيرة محاسبيجي، والدّة رياض الصلح. أنظر يوسف يزبك: أوراق لبنانية،، مج ١، ص ١٨٢-١٨٣.

^٣ حلاق: جمعية المقاصد الخيرية،، ص / وانظر: عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ٢٦٣ / عتريسي: البعثات اليسوعية،، ص ٥٦ / مدحت: مذكرات مدحت باشا،، ص ٣٦-٣٧.

^٤ أدبرت تلك الجمعية من قبل لبيبة جهشان لمعرفة المزيد انظر زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٧٣ / نصولي: أسباب النهضة،، هامش ٨٤، ص ١٠٤.

^٥ زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٧٤.

^٦ الغزي: نهر الذهب، تاريخ حلب،، ج ١، ص ٢٢٢ / وانظر الدباغ: الحياة الفكرية،، ص ١١٤-١١٥.

٤. الطباعة:

قبل الحديث عن تاريخ الطباعة في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي وأهم مطابع تلك الفترة، كالعادة المتبعة سابقاً، هنالك مجموعة أسئلة سنستعرضها ونجيب عنها ومن خلالها نستطيع تكوين صورة واضحة عن البداية الأولى للطباعة وتطورها، وصولاً إلى ما هي عليه الآن، أولاً: ما المفهوم العام والمتعارف عليه لمعنى كلمة الطباعة؟ في أي عام ظهرت؟ على يد من وأين؟ كيف دخلت إلى البلاد الأوروبية وما اسم الدولة التي تبنتها؟ ما هو السبب الرئيس لانتشار الطباعة العربية في أوروبا؟ وكيف دخلت بلاد الشرق؟ بعد الإجابة عن هذه الأسئلة جميعها ننتقل إلى صلب موضوع البحث بتبيان أهم مطابع بلاد الشام في القرن التاسع عشر.

المفهوم العام والمتعارف عليه أن الطباعة ليست فقط مجرد حفر كلام على خشب، أو إحداث صورة لشيء ما، بل هي نقش للحروف المفردة على المعادن بشكل يجعلها تجمع فتصبح كلاماً على الورق، ثم تحل ويعاد جمعها بصيغة أخرى لتصبح كلاماً، وهكذا لتوضع تلك الحروف في آلات ويطبع منها نسخ كثيرة في وقت قصير^١.

أما عن زمان دخولها وفي أي بلد؟ وعلى يد من؟ فهناك جدل في الكتب والبحوث المصنعة حول تأريخ الكتاب على الزمن الذي اكتشفت فيه الطباعة، فبعض المراجع أكّدت أنه من حديث الظهور تعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي^٢، في حين أرجعه آخرون إلى زمن أبعد منه وأنه يعود إلى قرون تسبق هذا التأريخ^٣، وهذا ما أكّده لويس شيخو بقوله: "وأول ما يحق لأهل المشرق أن يفتخروا به أن فن الطباعة في بلادهم أقدم منه في بلاد أوروبا^٤".

^١ زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٧٥.

^٢ رضوان أبو الفتوح: تاريخ مطبعة بولاق (لمحة في تاريخ الطباعة في بلدان الشرق الأوسط)، كتب مقدمته: محمد شفيق غريال، المطبعة الأميرية، القاهرة، د.ط، ١٩٥٣م، ص ١

^٣ جوزيف إلياس: موجز عن تاريخ الطباعة وملحق بأقدم المطبوعات العربية في إيران منذ ظهور الطباعة حتى عام ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢م، ٢٣-٣٣، ٢٠٠٧م، ص ١٢٦

^٤ قيل أنه عُثر على قرص من الصلصال في فستوس تدل على الفترة الثالثة من العصر الأوسط (١٦٠٠-١٧٥٠ ق.م) مكتوب عليه علامات في وجهيه وهذه العلامات غير محفورة بل مطبوعة بحروف متحركة لكل حرف شكل خاص بها، ويعدّ هذا أول اختراع للأحرف المتحركة. مكليستر (ر.أ.س): نظرة عامة في ثقافة البحر المتوسط الأول، ضمن كتاب تاريخ العالم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، د.ت، مج ١، ص ٦٣٧.

^٥ لويس شيخو تاريخ فن الطباعة في الشرق، مجلة المشرق، عدد ٢، السنة الثالثة، ١٥ كانون الثاني، ١٩٠٠م، ص ٧٨.

بالإضافة إلى تعدّد الآراء حول تأريخ الطباعة الأمر ذاته فيما يخص مخترعها، وبالإمكان إيجاز ذلك بالقول المتعارف عليه أن الألماني يوحنا جوتنبرغ^١ هو الذي أوجد الحروف المنفردة، وفي سنة ١٤٤٥م / ٨٣٩هـ ذهب إلى مسقط رأسه وتعاقد هناك مع رجلين^٢ على سبك حروف في أمهات مصنوعة من الرصاص والنحاس، وأول كتاب طُبِع بهذه الحروف هو التوراة ذات الاثنتين والأربعين سطرًا^٣، ليتطور هذا الفن وينتشر بسرعة في الدول الأوروبية^٤، ويُعد الايطاليون هم أسبق هذه الأمم لاقتباسه عن الألمان، ليأتي بعدهم الفرنسيون فالإسبان والإنكليز ومن ثم الروس^٥.

والسؤال المهم الآن ما هو السبب الأساسي لوجود طباعة باللغة العربية في تلك الدول؟ الجواب هو الدافع الديني البحث والذي يتلخص برغبة الأوروبيين بطبع الإنجيل بلغته الأصلية أولاً، يليه نشر آرائهم وأفكارهم الدينية بين غيرهم من أصحاب اللغات الشرقية ثانياً^٦. وبينما كانت الطباعة تتقدّم في الغرب بخطى سريعة كانت بلاد الشرق لا تزال في طور النسخ، وتعدّ (الأستانة) أول تلك البلاد معرفة بالطباعة والفضل في إدخالها إلى اليهود، ودليل ذلك قول (جرجي زيدان)^٧. ويظهر أن الطباعة العربية الأولى في الأستانة عام ٩٥٦هـ / ١٥٥١م طبعها بعض اليهود، ونسخها نادرة جداً، ولم نسمع بمطبعة في الأستانة حتى أوائل القرن الثامن عشر^٨.

بعد هذا الموجز البسيط لنشأة الطباعة فننقل إلى موضوع البحث الطباعة في بلاد الشام للتعريف بأهم المطابع في بلاد الشام في القرن التاسع عشر، والبداية مع مطابع لبنان كونه يعدّ أول

^١ يوحنا جوتنبرغ (١٣٩٧-١٤٦٨م) ولد يوحنا جنسفلایس الذي اتخذ لاحقاً لقب جوتنبرغ في مدينة مانيس (mains) ألمانيا، كان ينتمي لطبقة الأشراف وقد انشغل وفكر في تصحيح حروف الطباعة فاستدان مبلغ من المال من يوهان فوست أول مشروع بدأ بطباعته هو التوراة عام ٨٣٦هـ / ١٤٤٢م نفى عام ٨٥٠هـ / ١٤٦٢م إلى خارج مدينته بعد اندلاع حرب أهلية قضى سنواته الأخيرة في بؤس وفقر وتوفي عام ١٤٦٨م في مانيس. /مجد عبد العزيز سيد: موسوعة المشاهير (موسوعة شاملة لأعلام ومشاهير الرجال والنساء في الشرق والغرب قديماً وحديثاً)، القاهرة، مطابع سجل العرب، ط ١، ١٩٩٥م، ج ١، ص ٩٩-١٠١.

^٢ هذان الرجلان هما حنا فوست، وبطرس شوفر.

^٣ خليل صابات: تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٥٨م، ص ١٣-١٤.

^٤ يعود سبب الانتشار السريع للطباعة في الدول الأوروبية إلى الخلاف الذي حصل بين أميرين على كرسي الأسقفية في مدينة منتز الأمر الذي دفع عمال المطبعة إلى ترك مدينتهم والهجرة إلى البلاد الأوروبية ليعملوا بالطباعة لحسابهم الخاص. صابات: تاريخ الطباعة،، ص ١٥.

^٥ أبو الفتوح: تاريخ مطبعة بولاق،، ص ٤-٥.

^٦ أبو الفتوح: تاريخ مطبعة بولاق،، ص ٦.

^٧ جرجي زيدان: منشئ الهلال وصاحب الروايات التاريخية، ولد في بيروت، تعلم في مدرسة القرية البسيطة، مال فيما بعد إلى تعلم الطب في كلية بيروت الأمريكية فمكث بها سنة، ثم ذهب إلى مصر ليتم تعليمه، ساعد في تحرير مجلة المقتطف، له العديد من المؤلفات منها كتاب (تاريخ مصر الحديث)، (تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر). عبود: أدب العرب،، في ٣٢٤.

^٨ زيدان: تاريخ الطباعة في الشرق، مجلة الهلال، عدد ٦، ص ٢٥٢.

بلد عربي أدخل إليه الفن المطبعي^١، ننتقل بعدها إلى المطابع الموجودة في سورية كونهم أسبق المشاركة إلى الطبع بالأحرف العربية^٢.

أ- مطابع لبنان:

- مطبعة دير قزحيا الأولى ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م والثانية ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م: ذكر سابقاً أن لبنان أول بلد عربي أدخل الفن المطبعي إلى بلاده، وذلك تم سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م عندما جلب رهبان دير مار انطونيوس معهم بعد أن انتهت مدة بعثتهم في روما مطبعة إلى دير قزحيا، وقد واجهت تلك المطبعة العديد من الصعوبات ولم تتمكن من الاستمرار ولم يعرف المؤرخون من مطبوعاتهم سوى كتاب المزامير^٣، ولم يعد نشاط هذه المطبعة حتى أوائل القرن التاسع عشر بفضل الراهب (سيرافيم حوقا) الذي أحضرها معه من روما ليضعها في البداية بدير موسى حتى أفرد لها مكاناً في دير قزحيا سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م.^٤

واستمرت هذه المطبعة تعمل بآلاتها القديمة حتى عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م إلى أن جلب (دانيال الحدتي) مطبعة أخرى، وقد انتهى نشاطها في سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م بعد أن قدمت للطائفة المارونية عدداً لا بأس به من الكتب^٥.

- مطبعة ديرماريوحنا الصائغ بالشويز: المتعارف عليه أن منشئ هذه المطبعة هو الشماس (عبد الله زاخر)^٦ غير إن (لويس شيخو) يذهب إلى القول أن الرئيس العام للرسالة اليسوعية (بطرس فروماج)^٧

^١ يعود الفضل في إدخال الفن المطبعي إلى أصحاب البعثات الذين أرسلوا إلى روما، وما حملوه من علوم وفنون، صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٣٤.

^٢ زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٤٤.

^٣ سعيد الملاح: تاريخ الطباعة العربية في العالم حتى نهاية القرن التاسع عشر، دار ناشر الالكتروني، ٢٠٠٧، ص ٥١. وانظر أيضاً فؤاد هلال، نديم قفش: دليل حلب، دراسات تاريخية واجتماعية واقتصادية، الإصدار الخامس، ٢٠٠٠، ص ٣٠٥-٣٠٩.

^٤ سافر سيرافيم إلى روما في عهد (عمانوئيل الرشماوي) ليقوم الشبية المارونية بالحروف الكرتونية على تفقة رهبانيته وعند عودته أحضر معه هذه المطبعة. نعمة الله الكفري: تاريخ دير مار أنطونيوس، المشرق، السنة الرابعة، ١٩٠١م، ص ٧٣.

^٥ هناك خلاف حول العام الذي نقلت فيه تلك المطبعة إلى دير قزحيا فقد ذكر نعمة الله الكفري أن ذلك تم عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م، بينما أورد الأب لويس شيخو أن نقلها كان قبل هذا العام بعشر سنوات، ودليله في ذلك وجود نسخة مطبوعة بدير قزحيا تعود إلى عام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م. لمعرفة المزيد انظر الكفري: تاريخ دير مار أنطونيوس،، ص ٨٧٣/ شيخو: تاريخ فن الطباعة،، ص ٢٥٧.

^٦ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٥٦، وقد أفاض الأب لويس شيخو في مجلة المشرق، السنة الثالثة، ١٩٠٠، بذكر أهم مطبوعات تلك المطبعة

فروماج^٢ في سوريا هو الذي جلب المطبعة من فرنسا على حساب (عبدالله زاهر) الذي فرّ من حلب إلى لبنان على أثر اضطهاده بسبب اعتناقه المذهب الكاثوليكي، وساعده على إنشائها في لبنان، ودليله على ذلك هو وقوفه على بعض الرسائل للأب (فروماج)^٣. طبع فيها المزامير ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م وأكثر مطبوعاتها ديني^٤، وقد توقّفت عن العمل سنة ١١٨١هـ/ ١٧٩٧م حتى سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م ولم يدخل عليها أي تحسينات لذلك لم تستطع منافسة المطابع التي أنشئت في النصف الثاني في القرن التاسع عشر، فتوقّفت عن العمل سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م^٥.

- **مطبعة دير القديس جاورجيوس:** أنشأها (الشيخ يونس نيقولا الجبيلي)^٦ الملقّب بأبي عسكر سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م^٧، وضعها لخدمة طائفة الروم الأرثوذكس^٨، توقّفت بعد تأسيسها بفترة حوالي مئة سنة لتعود إلى نشاطها عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٨م وتطبع العديد من الكتب الدينية. وفي سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م وجد المسؤولون عن المطبعة أنها لم تعد قادرة على القيام بمهامها فعمدوا إلى شراء آلات وحروف جديدة، تمكّنت في عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م من طبع لائحة من نماذج حروفها

^١ عبد الله زاهر: ولد في حلب أواخر القرن السابع عشر، انتقل إلى لبنان سنة ١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م، له فضل على آداب اللغة العربية لأنه من مؤسسي المطابع الغربية في سورية، وهو من أنشأ مطبع الشوير، خلف العديد من المؤلفات. زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ١٠.

^٢ بطرس فروماج (١٠٨٩-١١٥٣هـ/ ١٦٧٨-١٧٤٠م): يسوعي جليل أشبه بسفير بابوي يمثل رومية في لبنان، حضر المجمع اللبناني كمستشار لاهوتي، ترجم العديد من الكتب الروحية أشهرها (الكمال المسيحي)، (السنكسار)، أي سير القديسين. عبود: أدب العرب،، ص ٢٩١.

^٣ شيخو: تاريخ الطباعة، السنة الثالثة، عدد ٨، ١٥ نيسان، ١٩٠٠م، ص ٣٦٠-٣٦١/ وأيضاً أبو الفتوح: تاريخ مطبعة بولاق،، ص ١٦.

^٤ BACEL(P):AbdallahZaher ،Echos ،d'orient ،n11. (1908) p. 219.

^٥ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٥٧.

^٦ يونس نيقولا الجبيلي: تولى جمرک بيروت سنة ١٧٨٢م، وصفه حنايا منير بقوله: كان محباً للجميع محبوباً منهم معتبراً عندهم، يمر من داره إلى الديوان في الأسواق، فيقوم إليه الناس من المسلمين والنصارى تحية ومنهم من يقبل يده. عبد اللطيف فاخوري: مسلمو بيروت وأعياد النصارى، مجلة بوابة الأوان، العدد التاسع عشر، ٢٠١٣م، ص ١.

^٧ هناك خلاف حول مؤسس هذه المطبعة ومديرها، ويعتقد أن سلفستروس القبر ص (١٦٩٦-١٧٦٦) هو الذي أسس المطبعة وكان هدفه إحياء المشروع الذي بدأه سلفه (أثناسيوس دباس) في حلب، فاستعان في تنفيذه بأحد أثرياء بيروت وهو يونس بن نيقولا الجبيلي الذي يعتقد أنّه مؤسس هذه المطبعة. أثناسيوس حاج: الرهبانية الباسيلية الشويرية في تاريخ الكنيسة والبلاد، جونية، مطبعة الكريم الحديثة، ١٩٣٧، ج ١، ص ٥٥٠.

^٨ كان رئيس هذه الطائفة في ذلك العهد المطران ايوانيكوس اليوناني

العربية والإفريقية، ليستمر نشاطها حوالي ثلاث عشرة سنة طُبعت خلالها العديد من الكتب والمجلات^١.

- **المطبعة الأمريكية في بيروت:** وهي ثاني مطبعة عرفت في بيروت والرابعة التي عرفها لبنان، كان مركزها في مالطا، أسسها المبشرون الأمريكيون سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م الذين اتخذوا من تلك الجزيرة قاعدة لنشاطهم في الشرق الأدنى^٢.

في سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م قرّر المرسلون الأمريكيون نقل مطبعتهم إلى بيروت ليتولّى نظارة مطبوعاتها بالعربية وإصلاحها (أحمد فارس الشدياق)^٣، وقد طبع فيها العديد من الكتب العلمية والطبيّة والربيّة والرياضيّة، بالإضافة إلى ما ألفه أو ترجمه أساتذة (المدرسة الكلية)، وإلى تلك المطبعة يعود الفضل في طبع الكتاب المقدّس طبعة أنيقة خالية من الأخطاء، وقد نشرت العديد من الصحف والمجلات (كمجلة مجموع فوائد) بالّلغة العربيّة، وقد بقيت تتقدّم بخطى سريعة حتى بداية الحرب العالمية الأولى، وتعد الفترة بين سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م حتى ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م العصر الذهبي لها^٤.

- **المطبعة الكاثوليكية ببيروت:** أنشأها آباء الرهبانية اليسوعية في أواسط القرن التاسع عشر للدفاع عن حقائق الإيمان الكاثوليكي وخدمة الكنائس الشرقية والعمل على نشر لواء الأديان والعلوم في هذه الأصقاع من جهة^٥ ومن أجل مقاومة حركة المبشرين الأمريكيين البروتستانت الذين هدفوا من وراء توزيع المنشورات وتأسيس المدارس إلى نشر مذهب جديد يعدّ من وجهة النظر الكاثوليكية نوعاً من الإلحاد فكان لا بدّ لهم من مقاومة الدعاية بمثلها وذلك من خلال إنشاء المطبعة التي يعود تاريخ وصولها إلى بيروت عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م^٦، في البداية كانت مطبوعاتها على الحجر وسرعان ما

^١ صابات: تاريخ الطباعة،، ٤٢-٥٧، زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ١، ص ٤٢، شيخو: تاريخ فن الطباعة في الشرق، المشرق، السنة الثالثة، عدد ١، حزيران، ١٩٠٠، ص ٥٠١.

^٢ يعود سبب اتخاذ الأمريكيين هذه الجزيرة مقراً لهم إلى هدف نشر الكتب والكراسات للتبشير بدين المسيح حسب المذهب البروتستانتية. صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٤٤.

^٣ أحمد فارس الشدياق: ولد بعشقوت سنة ١٨٠٤م، انتقل والده إلى الحدث في ساحل بيروت سنة ١٨٠٩م، تخرج من مدرسة عين ورقة، تولى كتابة جريدة الوقائع المصرية، سافر إلى مالطا سنة ١٨٣٤م وأقام بها زهاء عشرين سنة يدرس في مدرسة المرسلين الأمريكيين ويعرب ما يطبع في مطبعتهم له العديد من المؤلفات. الدبس: الجامع المفضل،، ج ٩، ٤٥٣.

^٤ صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٨٦٥م فقام بضبطه وترجمته وإخراجه (إيلي سميث) و(بطرس البستاني) و(كرنيليوس و(كرنيليوس فان ديك) و(ناصريف اليازجي). لمعرفة المزيد أنظر صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٤٧.

^٥ سيتم التعريف بهذه المجلة فيما بعد.

^٦ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٥٧-٥٨.

^٧ شيخو: تاريخ فن الطباعة في الشرق،، السنة الثالثة، عدد ١٥، ١١ آب، ص ٧٠٦.

^٨ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٤٨.

ظهر عدم فعاليتها فتوقفت عن العمل حتى عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م إلى أن أدخلت عليها الحروف العربية وكانت أول مطبوعاتها كتاب (لاقتداء بالمسيح) الذي ورّع مجاناً للناس^١، ثم وقد أدخل عليها سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤ أداة بخارية^٢، وقد كانت تلك المطبعة على علاقة طيبة مع الحكومة العثمانية، ودليل ذلك أنه عندما أصدرت الحكومة سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م أمراً بإغلاق جميع المطابع غير مرخصة لم يتخذ ضد هذه المطبعة أي إجراء^٣.

- **المطبعة السورية:** أنشئت عام ١٢٤٧هـ / ١٨٥٧م من قبل (خليل أفندي الخوري)^٤، تعد رابع مطابع بيروت، الغاية منها طبع جريدة لولاية سورية (حديقة الأخبار)^٥. أحضر الخوري أدواتها من فرنسا وانكلترا، أما حروفها فقد جلب بعضها من المطبعة الكاثوليكية، أهم منشوراتها كتب قانونية وأدبية وتاريخية^٦.

- **المطبعة الشرقية:** مؤسسها إبراهيم النجار^٧ عام ١٨٥٨م خُصّصت لطباعة الأوراق الرسمية والتجارية، جُلبت أدواتها من فرنسا^٨.

- **المطبعة العمومية:** يعود تاريخها إلى عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م مؤسسها هو يوسف الشلفون^٩ الذي استحصل على طلب من الدولة العليا لفتح مطبعة خاصة به. غير أنه اضطر في سنة ١٢٨٠هـ /

^١ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٤٩.

^٢ أدخل تلك الآلة فرنسيس كسفاريوس غوتزله. شيخو: مجلة المشرق،، عدد ١٥، السنة الثالثة، ١٩٠٠، ص ٧٠٩.

^٣ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٥٥٦.

^٤ خليل أفندي الخوري: ولد سنة ١٨٣٦م في الشويفات من أعمال لبنان، انتقلت عائلته إلى بيروت، تلقى بعض مبادئ العلم في المدارس الطائفية للروم الأرثوذكس، تآقت نفسه للاشتغال بالقلم فأنشأ جريدة حديقة الأخبار ١٨٥٧م، عهد إليه بإدارة جريدة مطبعة ولاية سورية وظل في هذا المنصب حتى أحيل إلى المعاش قبيل وفاته. زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ٢، ١٥١-١٥٦.

^٥ حديقة الأخبار هي أول صحيفة شعبية عربية في الشرق العربي سنتوسّع في الحديث عنها أثناء التطرّق للصحافة في بلاد الشام.

^٦ شيخو: تاريخ فن الطباعة في المشرق،، عدد ٢١، ١ تشرين الثاني ١٩٠٠، ص ٩٩٨/ وأيضاً زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٦، صابات، تاريخ الطباعة،، ص ٥١.

^٧ إبراهيم النجار: ولد في دير القمر سنة ١٨٢٢م، أرسل إلى مدرسة القصر العيني بمصر لدراسة الطب سنة ١٨٣٧م، أنقن اللغتين التركية والفرنسية، توفي سنة ١٨٦٠م، له العديد من التأليف منها (مصباح الساري ونزهة القاري). الدبس: الجامع المفضل،، ج ٩، ص ٤٥٨-٤٥٩.

^٨ شيخو: تاريخ فن الطباعة،، السنة الثالثة، عدد ٢١، ١٩٠٠، ص ٩٩٩/ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٥١.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

١٨٦٣ إلى تركها بطلب من داوود باشا لمساعدته في تأسيس مطبعته الرسمية، ولما انتهى من مهمته عاد إلى بيروت وأخذ بتوسيع مطبعته جالباً لها أدوات جديدة^٢.

في سنة ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م بيعت المطبعة وتحول اسمها إلى (المطبعة العمومية الكاثوليكية)^٣

تتالي بعدها ظهور عدد كبير من المطابع في بيروت بين عامي (١٢٨٢-١٣٠٩هـ/١٨٦٥-١٨٩١م)، ففي سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥ م ظهرت في هذا العام ثلاث مطابع هي (المطبعة المخلصية)^٤، أنشأها الرهبان المخلصيون لنشر الكتب الدينية والأدبية، كما أسست طائفة السريان الكاثوليك مطبعة تشبه حروفها العربية الحروف المصنوعة بالنمسا^٥، والمطبعة الوطنية جلبت آلاتها ومعداتا من أوروبا.

أما في سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م وجدت مطبعة المعارف، أتم نشأ بعدها المطبعة اللبنانية ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م تبعتها المطبعة السلمية عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م، ليعود يوسف الشلفون بتأسيس مطبعة جديدة هي المطبعة الكلية عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م، ثم أنشئت المطبعة الأدبية^٦.

أما آخر مطابع ١٣٠٨-١٣٠٩هـ/١٨٩٠-١٨٩١م، فهي (مطبعة الآداب) و(الفوائد)^٧.

هذه لمحة عن المطابع في بيروت غير أن ذلك لا يعني أن الطباعة اقتصر على تلك المدينة فقط بل هناك العديد منها خارجها منها (مطبعة شرفة، بيت الدين الأولى والثانية، ودير سيّدة طاميش، وإهدن)^٨.

^١ يوسف الشلفون: بن فارس الخوري الشلفون ولد سنة ١٨٣٩م، وتعد عائلته من أقدم العائلات المارونية في بيروت، درس أصول اللغة العربية وبعض اللغات الأجنبية في مدارس وطنه، ثم اتخذ خليل الخوري مرتباً للحروف في المطبعة السورية، فتعلم حينها فن الطباعة وأتقنه، ولما تأسست الجمعية العلمية السورية عام ١٨٦٨م كان من أقدم أعضائها، أنشأ العديد من الصحف، توفي سنة ١٨٩٦م. طرازي: تاريخ الصحافة العربية، جزآن، المطبعة الأدبية، بيروت، د.ط، ١٩١٣م، ج ١، ص ١٢٠-١٢١.

^٢ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٥٢. / شيخو: تاريخ فن الطباعة،، ١٩٠٠م، ص ١٠٠٠-١٠٠١.

^٣ اشتراها رزق الله خضر، و يوسف الدبس لمعرفة المزيد انظر مجلة المشرق: تاريخ فن الطباعة،، سنة ١٩٠٠م، ص ١٠٠١.

^٤ المطبعة المخلصية: كان موقعها في المقام (الأنطوش) الذي يسكنه الآن آباء هذه الرهبانية ورئيسها في ذلك الوقت الأب حنا كحيل. المشرق تاريخ فن الطباعة،، ص ١٠٣٢.

^٥ اقتصر منشوراتها على المطبوعات التجارية والنشرات. صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٥٢.

^٦ لمعرفة المزيد عن هذه المطابع أنظر، المشرق: السنة الرابعة،، ١٩٠١م، ص ٨٧. وأيضاً صابات: تاريخ فن الطباعة،، ص ٥٢ ومايليها.

^٧ مطبعة شرفة: أسسها البطريرك السرياني بطرس حردة السابع سنة ١٨١٦م

بيت الدين الثانية في عهد داوود باشا عام ١٨٦٧م

ب- الطباعة في سوريا:

السوريون هم أسبق المشارقة إلى الطبع بالأحرف العربية، وأسبق المدن في هذا الفصل حلب^١ فلمهم (أي الحلبيين) اليد الطولى في صناعة الطباعة، عن طريق رهبانهم في رومانيا الذين اشتغلوا بالطباعة ونقلوها إلى مدينتهم بعد عودتهم^٢، وعليه فسورية كلبان دخلت إليها الطباعة عن طريق رجال الدين^٣، أول مطابع سوريا هي:

- **مطبعة البطريرك دباس بحلب:** ارتحل ذلك البطريرك إلى القسطنطينية بهدف حل الخلاف الذي استفحل على الكرسي الأنطاكي، ومن هناك سافر عام (١١١١هـ / ١٦٩٨م) إلى بلاد الإقلاق^٤، واتصل بحاكمها، وسعى لديه لإنشاء مطبعة عربية تخدم الدين فحقق له الأمير رغبته، وساعده في إنشاء مطبعة في (بخارست)^٥، وعند عودته إلى حلب اصطحب معه مطبعته^٦. من المتفق عليه أن (الدباس) هو صاحب الفكرة والفضل في تأسيس أول مطبعة عربية في المشرق (على الرغم من بعض المعارضين لذلك)^٧، غير أن هناك اختلافاً بينهم لم يتم الاتفاق عليه حول تاريخ تأسيسها بعضهم أرخها بعام ١١١٤ هـ / ١٧٠٢م وآخرون عام ١١١٨ هـ / ١٧٠٦م^٨.

سيدة دير طاميش أنشأت ١٨٥٥م من قبل إبراهيم الديواني.

إهدن أسسها رومانوس يمين وشريكه يوسف الدبس. لمعرفة المزيد أنظر صابات: تاريخ فن الطباعة،، ص ٥٢، ٥٣، ٥٤.

^١ زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٤٤.

^٢ عيسى اسكندر معلوف: تم التعريف به ص ٦٢.

^٣ يعود السبب في دخولها لرجال الدين ولكن الحكومة العثمانية لم تنظر بعين الارتياح إلى هذا الاختراع فكانت تعمل جاهدة على مقاومته، غير أنه في حال إدخال تلك الأداة عن طريق رجال الدين المسيحي أو اليهودي كانت الحكومة مجبرة على التسليم خوفاً من تدخلات الدول الأوروبية. صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٩٧.

^٤ الأفلاق: انظر غريال: الموسوعة الميسرة،، مج ١، ص ٢٤٩.

^٥ اسم تلك المطبعة بكرش، ويذكر صابات أن الأمير قسطنطين أنشأها في مدينة سيناغوفو من أعمال مقاطعة الأفلاق، وعين الكاهن الكرجي أنتيموس، ليقوم بصنع الحروف العربية، نشر فيها عدداً كبيراً من الكتب الدينية. صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٩٣.

^٦ عثمان عثمان: حلب أول مدينة عرفت الطباعة بالأحرف العربية، مجلة السفير، ٢٠٠٤م، ص ١ / المشرق: السنة الثالثة،، ص ٦٩١.

^٧ فقد أكد كل من الصايغ لويس مدير مجلة المشرق وبياليم مطران أن عبد الله زاهر هو مؤسس هذه المطبعة وصانع أبهاتها وأمهاتها. انظر مجلة المسرة:، سنة ١٩٤٨م، ص ٣٨٧.

^٨ اتفق كل من لويس شيخو وجرجي زيدان على عام ١٧٠٢م، فقد ذكر شيخو أنها أنشئت في العشر الأول من القرن الثامن عشر، أنظر: شيخو: المشرق،، ١٩٠٠م، ٣٥٥. وجرجي زيدان ذكر أن أحد المحامين بحلب كانت بحوزته نسخة كتاب باليونانية والعربية، مطبوعة بعام ١٧٠٢م أنظر زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٤، ص ٤٤، في حين أكد صابات أنها أنشأت سنة ١٧٠٦م. انظر صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٩٣.

أما الحروف فبعضهم أكد أنها هي ذاتها جلبها (الدبّاس) من مطبعة بخارست، في حين زعم آخرون أنّ هناك اختلافاً بينهما، وقال بعضهم أنّ (عبد الله زاخر) هو من حفر الحروف العربيّة للمطبعة بعد أن أرسلها له أمير الأفلاق بدون حروف.^١

أول ما طبع فيها هو كتاب المزامير وبقيت تعمل حتى ١١٢٣هـ/١٧١١م.

- **مطبعة بلفنظي:** ظلت حلب مدة دون مطبعة إلى أن قيصت لها الظروف أجنياً من جزيرة سردينيا يدعى بلفنظي، فأنشأ المطبعة التي عُرفت باسمه عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، وقد طبعت تلك المطبعة الحجرية ديوان الفارض وهو أول كتاب غير ديني يُطبع في سورية، ومن ثمّ طبع كتاب المزامير. اضطر صاحبها إلى إغلاقها عندما تبين له أنها لا تكاد تفي بمصروفاتها، وذلك لأن معظم الناس أميين لا يقرؤون الصحف والكتب.^٢

- **مطبعة الدوماني بدمشق:** وهي أول مطابع عرفتها دمشق خلال حملة إبراهيم باشا على سوريا أحضرها (حنّا الدوماني) من أوروبا عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م، عمل بها لمدة سنتين ثمّ باعها^٣. في البداية كانت المطبعة حجرية مهمتها نشر الأوامر العسكرية والمنشورات، وطبعت فيما بعد ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م كتاب مزميز داوود، ثم نشرت (ديوان أحمد بك الكيواني الدمشقي)^٤

بقيت تلك المطبعة تعمل زهاء ثلاثين سنة غير أنّها اضطرت للتوقف سنة ١٨٥٥ م، وهكذا أنهيت حياة أول مطبعة حروف عرفتها دمشق.^٥

- **مطبعة حلب المارونية:** أسسها عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧ م المطران الماروني (يوسف مطر)^٦، أحد الأساقفة الحلبيين الذي خدموا الآداب في القرن التاسع عشر، كانت هذه المطبعة في البداية صغيرة

^١ قال شنور أن الدبّاس جلب حروف بخارست نفسها انظر

G.F.Desehnurror B ibliotketa A rabica 1842 ،p.270

بينما رأى دي ساسي وجود اختلاف بينهما. انظر

Silvostro ،Desay ،Biblothequede ،MileBaransilevstre Desay ،paris ،1842 ،p.289

^٢ أما صابات فقد ذكر أنه جاء في مقدمة المزامير المطبوعة في حلب قول للدبّاس "حيث أنه وفقنا إلى عمل طبع الحروف العربية) انظر صابات: تاريخ الطباعة، ، ص ٩٤ وانظر أيضاً وحيد قدورة: تاريخ الطباعة العربية في إنهاء القرن التاسع عشر، ، ص ١٢٠.

^٣ صابات: تاريخ الطباعة، ، ص ٩٦، شيخو: تاريخ آداب اللغة العربية ، ، ج ١، ص ٧١/ نهاده حمودي: حلب في أواخر العهد العثماني(رسالة ماجستير)، إشراف: عبد الكريم غرابية، دمشق، ١٩٥٨. ص ٧٣.

^٤ باعها أول الأمر إلى سليم المدور ليضمها إلى مطبعته في السلمية، ومن بعده إلى حنا حداد، ومن ثم إلى محمد الحنفي ومن ذلك الوقت تعرف بالمطبعة الحنفيه. صابات: تاريخ الطباعة، ص ٩٦ ومايلها.

^٥ صابات: تاريخ الطباعة، ، ص ٩٦-٩٩-١٠٠ ، شيخو: تاريخ فن الطباعة، مجلة المشرق، ، ١٩٠١م، ص ٨٨٠.

^٦ صابات: تاريخ الطباعة، ، ص ١٠٠

مستقيمة الحروف، المطبعة في البداية لنشر وطباعة الكتب الدينية لخدمة الطائفة المارونية لتخطو في عام ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨ خطواتها نحو الكمال بإنتاجها الكتب المدرسية والأدبية، ولجأت إلى تغيير حروفها مرات عدة وتكمن أهمية تلك المطبعة بأنها لا تزال موجودة حتى الآن، والمكتبة الحلبية مدينة لها بكثير من الكتب.^٢

- **مطبعة ولاية سوريا بدمشق:** هي أول مطبعة رسمية للحكومة العثمانية في سوريا عام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤ م، الغاية منها طبع جريدة (سورية) باللغتين العربية والتركية، وقد أوجزنا الحديث عن تلك المطبعة أثناء الحديث عن مطابع بيروت، وسنتابع تطورها حتى نهاية القرن التاسع عشر، تولى إدارتها (مصطفى أفندي واصف)^٣ وقد تقدّمت في عهده وزوّدت بطابعة تُدار بالبخار، وطبعت منذ سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٦ م جريدة الشام.^٤

- **المطبعة العسكرية:** أنشئت بعد مطبعة الولاية مباشرة، خُصّصت لطبع المنشورات الخاصة بالجيش فلم يُنشر سوى الروزنامات واللوائح العسكرية، ولم تعش طويلاً وحولت أعمالها إلى مطبعة الولاية.^٥

- **مطبعة جريدة فرات حلب:** يعود الفضل في تأسيسها إلى الوالي أحمد جودت باشا^٦، لا يعلم تاريخ تأسيسها غير أنها كانت قائمة عندما صدرت جريدة الفرات فقد كانت تطبع فيها^١، حروفها تركية وعربية وأرمنية. إلى جانب طبع الصحيفة المذكورة قامت بنشر مطبوعات الحكومة المختلفة.^٢

^١ يوسف مطر: هو أحد الأساقفة الحلبين الذين خدموا الآداب في القرن التاسع عشر. شيخو: المشرق،، السنة التاسعة، ١٩٠٦م، ص ٦٨٩.

^٢ سهيل الملاذي: الطباعة والصحافة في حلب، دار يعرب، دمشق، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٢١-٢٢/محمد خواتمي: المطبعة المارونية في حلب بدايات عهد جديد في حياة الطباعة عام ١٨٥٧م، الأرشيف الرقمي لجمعية العاديات، ١٠/١/٢٠١٦م، ص ٧٤ / صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٩٧، ٩٨/ شيخو: المشرق،، ١٩٠٠م، ص ٣٥٨.

^٣ مصطفى أفندي واصف: من الموظفين الذين خدموا الأتراك زمناً طويلاً في سورية، تسلم إدارة مطبعة الولاية لوقت قصير، وأسندت إليه إدارة الجريدة الرسمية، ثم جريدة دمشق حين تولى عنها أحمد عزت باشا. الكونت فيليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية، جزآن، المطبعة الأدبية، بيروت، د.ط، ١٩١٣م، ص ٧١.

^٤ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ١٠٠.

^٥ شيخو: المشرق،، ١٩٠١م، ص ٨٨٠/ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٩٧.

^٦ أحمد جودت باشا: (١٢٣٩-١٣١٣هـ / ١٨٢٣-١٨٩٥م) من أبرز العلماء والفقهاء في القرن التاسع عشر الميلادي، اشتغل منصب ناظر ديوان الأحكام العدلية، دعي من طرف الدولة العثمانية لوضع قانون جديد في المعاملات المدنية يقضي على الفوضى، ويستند إلى الشريعة الإسلامية، وتنظيم الأحكام الشرعية، استغرق العمل به سبع سنوات، واعتبر هذا العمل مرجعاً للقضاة. عوض: الإدارة العثمانية لولاية سورية،، ص ١٢٨-١٢٩.

- **المطبعة العزيزية:** لصاحبها (هاشم عطار) أنشأها في حلب عام ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧ م^٣ لطبع جريدة (الشهباء)^٤ الأسبوعية، حجز على تلك المطبعة والي حلب (كامل باشا)^٥ فعطلّ الجريدة، وضعت المطبعة تحت رقابة الحكومة ١٢٩٧ هـ / ١٨٧٩ م^٦.
- **مطبعة نهج الصواب:** تُعد من خيرة مطابع دمشق في الربع الأخير من القرن التاسع عشر أنشأها (حبيب أفندي أبو خالد) سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠ م عملت لمدة ثلاث سنوات^٧.
- **المطبعة الخيرية:** أنشأتها جمعية العلوم في عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠ م، أُديرَت من قبل (علاء الدين عابدين)^٨ كان مقرها مسجد الملك الظاهر، عُرفت في عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨١ بمطبعة (مجلس معارف سوريا)، كانت حروف تلك المطبعة رديئة ومتآكلة، أُدخل عليها تحسينات عديدة غير أن الأخطاء المطبعية فيها كانت لا تُحصى^٩.
- **مطبعة روضة الشام:** أنشأها (خالد أفندي عطار حسن) عام ١٣١١هـ / ١٨٩٣ م، مقرها حارة (خان سلطان) رقم ٦٢ عاشت حتى نهاية سنة ١٩١٣ م^{١٠}.

^١ الدباغ: الحياة الفكرية،، ص ٧٨ / مكاريوس: المقتطف،، ص ٤٧٤ / النصولي: أسباب النهضة،، ص ٧٩.

^٢ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٩٨.

^٣ هناك خلاف حول العام ذكر شاهين مكاريوس أنها أنشئت في عام ١٨٧٩ م وأن الجريدة أغلقت من قبل كامل باشا في العام نفسه، انظر مكاريوس: المعارف في سورية، المقتطف،، الجزء الثامن، سنة ١٨٨٣ م، ص ٤٧٤.

^٤ جريدة الشهباء أنشأها عبد الرحمن الكواكبي ١٨٧٧ م سيتم التعريف بها في فقرة الصحافة

^٥ كامل باشا: ولد في قبرص سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢ م، هاجر إلى مصر وهو لا يزال فتى، التحق بالمدرسة العسكرية في الإسكندرية، أتقن لغات عدة، في عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥ م عين متصرفاً على بيروت ثم والياً على حلب، ثم وزيراً للأوقاف، وأخيراً استطاع أن يتوصل بدهائه ومهارته إلى الصدارة العظمى غير أنه لم يلبث أن استقال، عندما وقعت مذابح الأرمن حاول أنصافهم فنفي إلى حلب، وبعد الانقلاب العثماني رجع إلى الأستانة، توفي سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣ م. طرازي: تاريخ الصحافة، ج ١، ص ٦٧.

^٦ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٩٩.

^٧ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ١٠١ / المشرق:، ١٩٠١ م، ص ٨٨٠.

^٨ علاء الدين عابدين هو أحد أعضاء مجلة الأحكام العدلية، وفي عهده طبعت المطبعة ديوان نشأة الصبا ونسمة الصبا لمحمد سليم أفندي المشهور بالقصاب. صابات: تاريخ الطباعة، ص ١٠١.

^٩ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ١٠١.

^{١٠} انتقلت هذه المطبعة في أوائل القرن العشرين إلى خالد قبرصلي تركي الأصل، المشرق:، ١٩٠١ م، ص ٨٨ / انظر أيضاً صابات: تاريخ الطباعة،، ص ١٠٢.

- **مطبعة الفوائد:** مؤسسها (عبد المسيح الأنطاكي)^١، أنشأها في حلب ١٣١٥هـ/١٨٩٧م، صدرت عنها مجلة الشذور الشهرية، وطُبعت منشوراتها باللغات العربية والتركية والفرنسية، وهي مطبعة حروف وحجر^٢.

هذه كانت أهم مطابع سورية حتى نهاية القرن التاسع عشر، وبالنظر إلى الحالة العامة للمطابع بالإمكان إجمالها بالقول: إنَّ لبنان فاقت سورية في المطابع عدداً وعدة خلال الفترة نفسها، وذلك يعود إلى كون مطابع سورية بمجملها قديمة اشترت من بيروت أو الأستانة، ولم يكتب لها النجاح، وذلك بسبب الجهل و الأمية التي كانت متفشية في سورية، كما أن المطبوعات التي أخرجت من تلك المطابع لم تكن من النوع الذي يغري متوسطي التعليم بالقراءة والإقبال على اقتناء الكتب^٣، يضاف إلى ذلك تأثر الفن المطبعي في سورية بالأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية بشكل واضح وكبير^٤.

٥. الصحافة والتأليف:

لعبت الصحافة العربية دوراً ملحوظاً في تطوّر الوعي القومي العربي، وعدّ نشاطها مكملاً لنشاط الجمعيات العلمية ولكن مفهومها العام كان أوسع وأشمل، وذلك يعود إلى الهامش الكبير في حرية التعبير الذي تمتعت به مضافاً إليه سرعة انتشارها بين عامة الناس، الأمر الذي كان له أبلغ الأثر في النهضة العامة للبلاد.

قبل الدخول في تحليل الواقع العام للصحافة في بلاد الشام وأثرها في النهضة العربية، لا بد من تمهيد موجز نتعرف من خلاله على المفهوم العام للصحافة، ومتى ظهرت أول صحيفة وعلى يد من؟ وما هو اسم أول صحف الشرق وفي أي بلد؟ ومن ثمّ نتبين أخبار أهم الصحف والمجلات التي ظهرت في بلاد الشام في القرن التاسع عشر.

الصحافة: لغة مشتقة من الصحف جمع صحيفة وهي قرطاس مكتوب^٥.

^١ عبد المسيح الأنطاكي: هو فتح الله الأنطاكي ولد بحلب سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، وتوفي بمصر عام ١٩٢٣م، أول من تعاطى المحاماة، كان جريئاً عارفاً بالقوانين التركية، درس مبادئ اللغة العربية في حلب، أنشأ مجلة سماها (الشذور)، لم يجد لها رواجاً في حلب فارتحل إلى مصر، له العديد من المؤلفات. لمعرفة المزيد قسطاكي الحمصي: أدباء حلب ذو الأثر في القرن التاسع عشر، المطبعة المارونية، حلب، د.ط، ١٩٢٥م، ص ١٠٠ وما يليها.

^٢ الدباغ: الحياة الفكرية،، ص ٧٩.

^٣ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ١٠٤.

^٤ صابات: تاريخ الطباعة،، ص ٩٨-١٠١، المشرق:، ١٩٠١م، ص ٨٨٠-٨٨١.

^٥ طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ج ١، ص ٥/انظر أيضاً أديب مروّة: الصحافة العربية نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، ١٩٦١، ص ١٣.

وقد عرّفها ابن منظور بالقول: "الصحافة هي التي يُكتب بها"^١، أمّا الصحافي فهو الذي اتخذ الصحافة مهنة له^٢.

أول لفظ أطلق على الصحافة هو الوقائع^٣، ثمّ عرفت باسم جرنال^٤، وأول من اختار لفظه صحيفة هو الكونت رشيد الدحداح^٥. أمّا الصحافة بمعناها العام المتعارف عليه اليوم (هو صناعة الصحف والكتابة فيها)^٦، فقد وصلنا على يد الشيخ (نجيب الحداد).

أمّا عن مولد الصحافة في البلاد العربية، فالمتمثّق عليه أن العرب لم يعرفوا هذا الفن إلّا في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر وذلك حين نزل نابليون بونابرت بحملته أرض مصر عام ١٨٩٧. وهناك صدرت أول صحيفة عربية، وهذا ما أكّده العديد من المؤرخين، غير أنّ هناك خلافاً نشأ بينهم حول اسمها فبعضهم أكّد أنّ الجرنال التي صدرت سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م، هي أول جريدة رسمية^٧، في حين اعترض آخرون بالقول أنّ (التتبيه) أو (الحوادث اليومية) كما سماها بعضهم هي أول صحف الحملة صدرت في الإسكندرية عام ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م^٨. ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف فالمؤكد أنّ أول صحف الشرق كانت على أرض مصر. تتألى بعدها صدور عدد كبير من الجرائد والصحف نذكر منها تلك التي أصدرها (محمد علي باشا) باللغتين العربية والعثمانية والتي عرفت باسم (الوقائع المصرية)^٩، وقد وصل أعداد من هذه الجريدة إلى البلاد الشامية عن طريق (الحملة المصرية)، وقد اطلع عليها عدد من الشبان السوريين، غير أنّ الصحافة السورية لم ينبثق فجرها على تلك الأرض إلّا في عام ١٢٦٨هـ / ١٨٥١م بظهور مجلة (مجموعة فوائد)^{١٠}. ولكثرة

^١ ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٢٤٠٤.

^٢ معلوف: المنجد في اللغة،، ص ٧٦٣.

^٣ مروءة: الصحافة العربية،، ص ١٣-١٤.

^٤ الجرنال: وهي كلمة فرنسية معناها (يومي) أي المنسوب إلى اليوم للدلالة على الصحف اليومية/انظر طرازي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٧، والذي أطلق لقب جرنال هو خليل الخوري.

^٥ رشيد الدحداح: ولد في عرمون كسروان لبنان، درس في عين ورقة، ثم صار كاتباً لأمرأ زمانه، ارتحل إلى باريس واشتغل بالتجارة، ثم انصرف إلى العلم، فأنشأ جريدته برجيس باريس، واتصل بباي تونس ومدحه فقره وجعله ترجمانه الخاص، له العديد من المؤلفات. عبود: أدب العرب،، ص ٣٢٢.

^٦ مروءة: الصحافة العربية،، ص ١٥.

^٧ إبراهيم عبده: تطوّر الصحافة المصرية،، ص ٢٦/ عبد اللطيف حمزة: قصّة الصحافة العربية في مصر،، ص ٤٣.

^٨ زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٦٢.

^٩ جريدة الوقائع المصرية لمعرفة المزيد عنها انظر إبراهيم عبده: تاريخ الوقائع المصرية، مطبعة الوكيل، القاهرة، ط ٢، د.ت، ص ١٢ ومايليها.

^{١٠} الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٤٨.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

الصحف التي ظهرت في بلاد الشام في القرن التاسع عشر سنتطرق لأهمّها من خلال ذكر اسم الصحيفة، عام تأسيسها، ومن أنشأها، أهم منشوراتها مع مراعاة الترتيب الزمني لظهورها من بداية القرن التاسع عشر حتى نهايته.

أ. مجموعة فوائد^١:

مجلة سنوية دينية أنشأها المرسلون الأمريكيون في بيروت عام ١٢٦٨هـ / ١٨٥١م ونشروها في مطبعتهم الشهيرة على يد زعيمهم القس إيلي سميث وهي باكورة المجلات التي ظهرت باللسان العربي، تدور مباحثها على الشؤون الدينية^٢ والعلمية والتاريخية والجغرافية، استمرت في الصدور إلى عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م، حيث ظهر فيها ثلاثة أجزاء ثم احتجبت، فبلغ مجموع صفحاتها ١٤٤، كانت تصدر في بداية الأمر مرة في العام، ثم كل أربعة أشهر^٣. كانت المجلة في كليتها أجنبية، إذ لم يدخل يدخل في تحريرها أي مفكر شامي، لأنها كانت تُدار بواسطة العلماء والقساوسة المبشرين الأمريكيان^٤.

ب. صحيفة أعمال الجمعية السورية:

أنشأت هذه الجمعية مجلة باسمها في السادس من كانون الثاني عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م، وتولّى تحريرها المعلم بطرس البستاني. شملت منشوراتها جميع المواد العلمية والفنية والتاريخية والجغرافية والتجارية والأدبية والفلكية والشرائع والاكتشافات والاختراعات العصرية وغير ذلك، مضافاً إليها منشورات الجمعية السورية التي يلقيها أعضاؤها^٥. دامت هذه المجلة خمس سنوات بدوام الجمعية، وكان أعضاؤها يساعدون البستاني في التحرير، ويدون كل منهم ما يكتبه بتوقيعه كالشيخ (ناصر اليازجي) أحد مؤسسي تلك الجمعية، وتعدّ هذه المجلة ثاني المجلات العلمية في البلاد السورية، تحرّر

^١ رفض الدكتور (جوزيف الياس) ما ذكره فيليب طرازي من أنّ مجلة مجموع الفوائد والجمعية السورية هم أول الصحف في بيروت مؤكداً أنّ حديقة الأخبار هي أول دورية غير رسمية على الأراضي العربية والصحيفة اللبنانية الأولى، لمعرفة المزيد انظر: جوزيف الياس: الصحافة اللبنانية (المعجم المصوّر ١٨٥٨-١٩٥٨)، دار النضال، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص ١١.

^٢ كانت الغاية من إصدارها نشر العلوم الدينية لما لها من اتصال وثيق بالسياسة التبشيرية الأمريكية الموجودة في لبنان، الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ص ٤٩.

^٣ طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ج ١ ص ٥٣-٥٤ / زيدان: آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ٢٥/ كرد علي: خطى الشام،، ج ٤، ص ٨٠/ جوزيف الياس: تطور الصحافة السورية في مائة عام، النضال للطباعة، بيروت، د.ط، ١٩٨٢م، ص ٣٢.

^٤ الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٤٩.

^٥ الياس: الصحافة اللبنانية،، ص ١١/ الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٢٤.

بأقلام بعض الشاميين إلى جانب المحررين الأجانب المبشرين في تلك البلاد، وهذا دليل على مدى تدرّج الشاميين في هذا الفن الجديد وبواسطة مدرّبين أجانب^١.

ج. مرآة الأحوال:

جريدة أسبوعية سياسية أصدرها رزق الله حسون^٢ سنة ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م في عاصمة الدولة العثمانية (الأستانة) اختصت بنشر وقائع أخبار حرب القرم^٣، شارحاً أسبابها وعواملها وقضاياها وما يكمن من أسرار وراءها. وقد عمد صاحب هذه الجريدة إلى نشر بعض المقالات المنددة للأتراك وحكومتهم، فصمّم الباب العالي على إصدار أمر بإلقاء القبض عليه ففرّ إلى روسيا ومنها إلى لندن، فحكموا عليه غيابياً بالإعدام^٤.

انقسم تحريرها إلى قسمين جرياً على طريقة إخراج الصحف في أول مطلعها في القسطنطينية وتقليداً لباقي الصحف التركية.

القسم الأول: حوى أهم الرسائل والاتصالات الرسمية المتعلقة بالشؤون الداخلية. والثاني: خصّص للأخبار غير الرسمية التربوية والعلمية والصناعية والمقالات التجارية. كما تضمن قائمة الحوادث الصادرة في صحيفة (ميرور أف يونيفرز)^٥.

د. السلطنة:

أصدرها اسكندر شلهوب في الأستانة عام ١٢٤٧هـ / ١٨٥٧م^٦، غير أنها لم تعمّر طويلاً، أغلقت أغلقت قبل بلوغها السنة ولم تعرف أسباب تعطيلها، ويرجع أغلب الظن إلى عجز صاحبها على

^١ الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٥٠/ طرازي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٥١-٥٢.

^٢ رزق الله حسون: ولد في حلب سنة ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م، كاتب تصرف في الشعر والإنشاء، شن حملة على الحكومة التركية بقلمه، وقضى بعيداً عن بلاده، تعلم في مدرسة دير بزمان ببلبنان، قصد القسطنطينية واتصل بفؤاد باشا، وعند مجيء هذا الأخير إلى سورية عقب حوادث الستين، أصطحبه معه وقلده ترجمة أوامره إلى العربية، أرتج إلى العديد من البلدان، استقر بلندن، له العديد من القصائد والمؤلفات، توفي سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م. الحمصي: أدباء حلب،، ص ٨.

^٣ نشبت تلك الحرب بين الروس والدولة العثمانية وكان رزق الله حسون موجوداً بالقسطنطينية فرأى أن الفرصة مواتية ليصدر جريدة عربية تتولّى نشر أخبار هذه الحرب الضروس/ انظر محمد عليّان المشوط: تاريخ الصحافة السورية والعربية، المطبعة الجديدة، دمشق، د.ط، ١٩٨٦م، ص ٣١-٣٢.

^٤ طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ج ١، ص ٥٥/ المشوط: تاريخ الصحافة السورية،، ص ٣٢ / إلياس: تطوّر الصحافة السورية في مائة عام،، ص ٣١-١٥٠-١٥١/ مروّة: الصحافة العربية،، ص ١٥٠-١٥١.

^٥ صحيفة ميرور أف يونيفرز: صحيفة محرّرة باللغة الإنكليزية اعتمدتها الحكومة العثمانية ونقلت عنها الأخبار الدولية والعالمية المتصلة بسيادة الدولة العثمانية، الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٥٣.

تحمل أعباء تكاليفها وحده دون تمويل من شركة أو جمعية تساهم في هذا العمل، بالإضافة إلى عدم وجود المحررين اللزمين لها، ومن جهة أخرى لم يتمكن صاحب هذه الصحيفة من التغلب على الدسائس السرية والمعارضة العلنية، التي كانت تستخدمها بعض الهيئات الدينية، وذوو الأغراض لتحطّم وتزِيل أي أثر لظهور الابتكارات السورية الحديثة في الأستانة عن طريق العرب^١.

هـ. حذقة الأخبار^٢:

صحيفة أسبوعية سياسية علمية تجارية تاريخية، صدرت في بيروت عام ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م لـ خليل الخوري اللبناني، وهي أول جريدة سياسية أنشئت في البلاد العثمانية خارج عاصمة السلطنة وبرخصة رسمية منها^٣، استخدمها فؤاد باشا في نشر البيانات والتقارير ومختلف الشؤون التي لها علاقة بحوادث ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م. جعلها مجلة شبه رسمية لخدمة الحكومة^٤، وعيّن لصاحبها راتباً قدره عشرون ليرة عثمانية إعانةً له على نشرها^٥، وعند توقّف جريدة لبنان عن الصدور جعلها فرانكو باشا^٦ الجريدة الرسمية للحكومة، واستمرت على هذا الحال حتى عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م لتتوقّف عن الصدور نهائياً ليبلغ مجموع أعدادها حتى احتجاجها (٩٧٣) عدداً^٧.

^١ هناك خلاف بين المؤرخين حول تاريخ صدورها ومكانها فقد أكد جوزيف إلياس وأديب مروّة أنها ظهرت في مصر، بينما عارضهما في هذا الرأي فيليب طرازي مؤكداً أنها أنشئت في الأستانة، وفي عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م، لمعرفة المزيد: انظر إلياس: تطور الصحافة السورية في مائة عام،، ص ٣١/ مروّة: الصحافة العربية،، ص ١٤٤/ وانظر طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ج ١، ص ٥٥.

^٢ الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٥٧/ المشوط: تاريخ الصحافة السورية،، ص ٢٨.

^٣ يذكر طرازي: أن مؤسسها خليل خوري كان عازماً على تسمية جريدته (الفجر المنير) وذلك من خلال الوثيقة التي وجدت في بيت (ميخائيل مدور)، ومذيلة بأسماء الذين بادروا إلى الاشتراك بالفجر المنير لكنه يجهل السبب الذي حمل الخوري على تبديل الاسم. طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ج ١، ص ٥٦-٥٧.

^٤ طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ص ٥٥/ المشوط: تاريخ الصحافة السورية،، ص ٢٧-٢٨/ إلياس: تطور الصحافة السورية في مائة عام،، ص ٣١، ٥٢.

^٥ حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور،، ص ٥٦٥.

^٦ إلياس: تطور الصحافة،، ص ١٥١.

^٧ فرانكو باشا: في الأستانة سنة ١٨١٤م، من أبوين حليبيين، تلقى علومه في أحد بمدارسها، فنبغ في ست لغات هي العربية، الفرنسية، التركية، الانكليزية، الإيطالية، اليونانية، بعد خروجه من المدرسة عين كاتباً في نظارة الخارجية ثم ناظراً للبوستة والتلغراف، حضر مع فؤاد باشا إلى سورية أثر حوادث الستين، عين متصرفاً للبنان وقام بالعديد من الأعمال منها إنشاء عدد من المدارس في لبنان ومد طريق للعربات يوازي طوله ٢٢ متراً وغيرها الكثير. انظر الأسود: تنوير الأذهان،، مج ١، ص ٥١ ومايليها.

^٨ حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور،، ص ٥٦٥.

^٩ طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ج ١، ص ٥٥.

و. بريد باريس:

للكونت (رشيد الدحداح) اللبناني جريدة نصف شهرية ظهرت في باريس عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م، وتعدّ باكورة الصحف العربية في حجمها وجودة حروفها وإتقان طبعها واتساع موضوعاتها^١. وقد علق في كتاب (الصحافة العربية تطورها ونشأتها) على اسمها بالقول: "لا ندري ما إذا كان يقصد بذلك بريد باريس لأن كلمة بريد بمعنى (Courier) لم تكن معروفة بعد في ذلك العصر"^٢. عاشت قرابة الأربع سنوات وقد قرظها وأثنى عليها العديد من العلماء والشعراء^٣.

ز. الجوائب:

ظهرت في الأستانة عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م من قبل (أحمد فارس الشدياق) اللبناني، وهي صحيفة سياسية نشرت أعدادها في المطبعة السلطانية إلى أن أنشأ عام ١٨٧٠م مطبعته الخاصة به. نالت شهرة عظيمة وانتشرت أعدادها في الشرق والغرب فكان يقرؤها سلاطين العرب وملوكهم وأمراؤهم وعلمائهم في تركيا ومصر ومراكش والجزائر وتونس وغيرها، وقد ساعد السلطان عبد العزيز على توسيع نطاق هذه الجريدة لبث فكرة الخلافة الإسلامية بين المسلمين المنتشرين خارج الدولة العثمانية، وكان الشدياق يقبض كل سنة خمسمئة ليرة عثمانية من السلطان المشار إليه لهذه الغاية، وكان كل من الخديوي إسماعيل باشا ومحمد الصادق باي تونس يدفعون المبلغ المذكور لأجل خدمة أفكارهما وترويج مصالح بلادهما^٤.

وقد مثلت الجوائب لسان حال السلطات العثمانية في البلاد السورية، وكان أهم غرض تفرضه هذه السلطات في مؤازرتها لهذه الجريدة هو تعريف الأجانب بالكثير من آرائهم وغيرها.

تعطّلت في سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م وذلك لامتناع مديرها عن نشر مقال (ترجمان حقيقة) التركي طعنًا بإسماعيل باشا الخديوي، ومقابلته تلك المقالة بمقالة أخرى عنوانها (سفاهة الحقيقة) دفاعاً عن

^١ طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ج ١، ص ٦٠.

^٢ مروءة: الصحافة العربية،، ص ١٤٤.

^٣ من هؤلاء الشعراء محمود قبادو التونسي فقال:

عليك برجيس الرشيد فإنه كفيل بما تعنى له عجائب

انظر طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ج ١، ص ٦٠.

^٤ الياس: تطور الصحافة في مائة عام،، ص ٣٢-٣٣-١٥٢-١٥٣/ طرازي: تاريخ الصحافة العربية،،

ج ١، ص ٦١-٦٣/ المشوط: تاريخ الصحافة السورية،، ص ٢٩/ مروءة: الصحافة العربية،، ص ١٤٤/

الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٦٨.

^٥ دائرة المعارف الإسلامية،، مجلد سادس، ص ٣٥٥-٣٨٠.

أمير مصر^١، ونتيجة للدور الذي لعبته الجوائب في سياسة الشرق نقلت إدارتها إلى مصر سنة ١٨٨٣م وقد جمع أنفس ما نشرته تلك الجريدة من منشور ومنظوم في سبعة مجلدات سميت (كنز الرغائب في منتجات الجوائب)^٢.

ح. نقيير سوريا:

أنشأها بطرس البستاني في عام الصحيفة السابقة نفسه بعد الحرب الأهلية في الشام. كان طابعها أدبياً صرفاً على شكل رسائل وطنية تتضمن نصائح لشد عرى الألفة بين السكان على اختلاف مذاهبهم (النصارى والمسلمين والدروز)، وأوقف نشرها بعد استتباب الراحة وخلود الناس للسكينة، وقد نشر منها ثلاثة عشر عدداً^٣.

ط. سورية:

عمدت حكومة السلطان عبد العزيز إلى إصدار صحيفة في ولاية دمشق تساند سياستها في ولاية سورية، وتنفيذ أوامر السلطان علانية^٤، عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م، وتختص بنشر أوامر الحكومة ونظامها والحوادث الرسمية في الولاية من عزل وتثبيت مع إعلانات دوائر الحكومة، ظهرت بأربع صفحات كبيرة، نصفها تركي ونصفها عربي، اشترك في تحريرها محمد كرد علي، وأول من رتبها ونظمها هو الخوري خليل منشي جريدة حديقة الأخبار^٥.

ي. النشرة الأسبوعية:

أنشأتها الإرسالية الأمريكية عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م^٦، وهي نشرة دينية اجتماعية، وقد تغيرت وقت صدورها فأصبحت شهرية، واستمرت بالصدور نحو قرن محتفظة بعدد لا بأس به من المشتركين^٧.

^١ طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ج ١، ص ٦٣.

^٢ مؤلف كنز الرغائب في منتخبات الجوائب هو سليم بن أحمد فارس لمعرفة المزيد انظر طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ج ١، ص ٦٣.

^٣ طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ج ١، ص ٦٤/ المشوط: تاريخ الصحافة السورية،، ص ٢٩/ الياس: الصحافة السورية في مائة عام،، ص ١٥٣/ الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٦٦.

^٤ صدرت بعناية راشد باشا والي سورية لمعرفة المزيد انظر، الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٨٠.

^٥ طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ج ١، ص ٦٧/ المشوط: تاريخ الصحافة السورية،، ص ٣٠/ الياس: الصحافة السورية في مائة عام،، ص ١٥٤/ الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٨٠-٨١.

^٦ في نفس العام ظهرت صحيفتان شعبيتان هما النشرة الشهرية التي أصدرها الدكتور فاندنيك في بيروت على أنقاض صحيفة أخبار عن انتشار الانجيل التي صدرت عام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م، وكانت غايتها دينية عاشت خمس سنوات والثانية هي (الشركة الشهرية) مديرتها يوسف الشلفون عاشت ثمانية أشهر ثم احتجبت لقلّة نتائجها وعدم إقبال الناس على مطالعتها/ الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٨٢.

^٧ حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور،، ص ٥٦٥-٥٦٦.

ك. الفرات:

صدرت عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م^١، وهي أول جريدة أسبوعية رسمية، صدرت في حلب باللغتين التركية والعربية، ثم أُضيفت إليها اللغة الأرمنية^٢. نشرت أخبار الولاية وأوامر الحكومة وإعلاناتها والحوادث الداخلية والخارجية^٣، بالإضافة إلى الإشادة بأعمال السلطنة العظيمة ومدح منشأتها^٤. مؤسسها هو المؤرخ جودت باشا. كانت أول عهدا ضئيلة الانتشار قليلة التداول عباراتها ركيكة وضعيفة^٥، بعد إعلان الدستور عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م تحسّنت عباراتها وأخذت تنشر المقالات المفيدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والزراعية^٦.

ل. لبنان:

الصحيفة الرسمية الأولى في جبل لبنان أصدرها متصرف لبنان ١٨٦١م في بيت الدين سنة ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م باللغتين الفرنسية والعربية^٧ لخدمة مصالح الحكومة، انتدب لتنظيمها يوسف الشلفون تضمّنت منشوراتها خلاصة سياسية وأنباء الحوادث الداخلية والخارجية، عاشت عامين كاملين ليتم تعطيلها من فرانكو باشا ولتعود بعد أربعين سنة إلى الظهور على يد المتصرف يوسف باشا^٨، ولتصبح جريدة الحكومة الرسمية حيث اقتصر على نشر الأوامر والإعلانات^٩.

وفي عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م ظهرت في بلاد الشام العشرات من الصحف من جريدة ومجلة، وكانت في معظمها تصوّر اتجاهات ذلك العصر من تمجيد العثمانيين أو النطق بلسان حال بعض الطوائف في لبنان ولكثرتها سنكتفي بكلام مقتضب عنها:

^١ جعل قطساكي الياس عطارة صدرها عام ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م، قسطاكي الياس عطارة: تكوين الصحف في العالم، جزءان، القاهرة، د.ط، ١٩٢٥م، ج ١، ص ١٠٢.

^٢ الدباغ: الحركة الفكرية في حلب،، ص ٨٠-٨١-٨٢/ طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ج ١، ص ٦٩-٧٠.

^٣ الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب،، ج ٣، ص ٣٩٣-٤٠٠.

^٤ مجلة الفرات: السنة السادسة والعشرين، عدد ١١٧٨، ١٩ أيلول، ١٨٩٢م.

^٥ الغزي: نهر الذهب،، ج ٣، ص ٣٩٣-٣٩٤.

^٦ إلياس: تاريخ الصحافة السورية،، ص ١٥٤.

^٧ إلياس: الصحافة اللبنانية (القاموس المصوّر)،، ص ١١.

^٨ يوسف باشا: ولد في الأستانة من ابوين حليبيين سنة ١٨٥٨م، والده هو فرانكو باشا، تلقى يوسف تعليمه في إحدى مدارس الأستانة، فنبغ باللغتين التركية والفرنسية، بعد خروجه من المدرسة عين كاتباً في نظارة الخارجية، ثم رقي إلى وظيفة رئيس كتبة للنظارة المشار إليها، عين متصرفاً للبنان سنة ١٩٠٤م، قام بالعديد من الأعمال منها جر مياه نبع الزويتيني إلى مدينة زحلة وتوزيعها على البيوت. انظر الأسود: تنوير الأذهان،، مج ١، ص ٦٥-٦٧.

^٩ مروءة: الصحافة السورية،، ص ١٥٥/ طرازي: تاريخ الصحافة العربية،، ج ١، ص ٧٣-٧٥.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

اسم الصحيفة	سنة إنشائها	مؤسسها	اتجاهها
البشير	١٨٧٠	امبروسيوس مانور	خدمة الطوائف الكاثوليكية
الجنان	١٨٧٠	بطرس البستاني	شعارها حب الوطن من الإيمان
الجنة	١٨٧٠	بطرس البستاني	اشتهرت بصدق المبدأ وانتقاء الأخبار الصحيحة
النحلة	١٨٧٠	لويس صابونجي	ابتعدت عن تناول المواضيع الدينية والسياسية
الزهرة	١٨٧٠	يوسف الشفلون	تضمنت قصور تاريخية وكتلاً أدبية وفوائد علمية وأخبار مستظرفة
كوكب الصبح المنير	١٨٧١	المرسلون الأمريكيون	وزعت مجاناً على تلاميذ مدارسها تضمنت أخبار وحكم وترانيم دينية وفوائد أدبية.
الجنية	١٨٧١	سليم البستاني	تحبيب الناس في الثقافة العامة وترغيب الناس بصفة خاصة في الحياة القومية
النجاح	١٨٧١	لويس صابونجي	سياسية علمية تجارية نصف إسبوعية
التقدم	١٨٧٤	يوسف الشفلون	أول صحيفة يومية عرفتها الديار الشامية
ثمرات الفنون	١٨٧٥	جمعية الفنون الإسلامية (عبد القادر القباني)	لمنافسة صحيفة البشير السياسية
المقتطف	١٨٧٦	يعقوب صروف، وفارس نمر	كانت واسطة لنشر المعارف ونقل علوم أهل الغرب إلى الشرق
الشهباء	١٨٧٧	هاشم العطار	عطلت بعد أيام قليلة من صدورها بسبب الوالي كامل باشا المعروف بكرهيته للصحف
دمشق	١٨٧٨	أحمد عزت باشا العابد	الصحيفة الرسمية الوحيدة في دمشق
الاعتدال	١٨٧٩	عبد الرحمن الكواكبي	التنديد بالحكومة، ونشر ما يقتضيه تهذيب الأخلاق

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

اسم الجريدة	سنة إنشائها	مؤسسها	اتجاهها
لسان الحال	١٨٧٧	خليل سركيس	صدورها كان تعبيراً عن الغليان الفكري العنيف وصورة واقعية للانبعاث الذي شهدته المنطقة
المصباح	١٨٨٠	نقولا نقاش	صبغتها مارونية تنتشر أخبار هذه الطائفة وتدافع عن مصالحها
الهدية	١٨٨٣	مطرانبة الروم الأرثوذكس	نطقت باسم تلك الطائفة توقفت عام ١٨٨٩
بيروت	١٨٨٦	محمد رشيد الدنا	جريدة سياسية علمية تجارية أدبية اشتهر صاحبها بالاعتدال فازدادت شهرتها.
ثمرة الأخلاق	١٨٨٦	حنا عنجوري	توقفت في العام نفسه الذي صدرت فيه
الصفاء	١٨٨٦	علي ناصر الدين	تعد باكورة الصحف التي ظهرت على يد أبناء الطائفة الدرزية في لبنان
الفوائد	١٨٨٩	طائفة الروم الكاثوليك	وجدت لخدمة تلك الطائفة
المقطم	١٨٨٩	يعقوب حرف وفارس نمر	تعد أكبر الجرائد والأكثر انتشاراً في العالم العربي
لبنان	١٨٩١	إبراهيم الأسود	أول جريدة سياسية نشرت أخبار لبنان وكانت لسان حال المتصرفية في العهد العثماني
طرابلس	١٨٩٣	محمد كامل البحريري	من جرائد الملحقات الأولى في لبنان لاقت مصاعب جمّة في عهد الحكومة التركية، حاول أبو الهدى الصيادي جعلها لسان حاله
الشام	١٨٩٦	مصطفى واصف	كانت موالية للحكومة العثمانية امتلأت صفحاتها بالأخبار التي تملئها عليها الحكومة ومدح السلطان
الشذور	١٨٩٧	عبد المسيح الأنطاكي	تضمّنت الكثير من المواعظ الحكيمة والمنثور المنظم، وبعض الأبحاث التهذيبية

المشرق	١٨٩٨	لويس شيخو	هي المجلة العربية الوحيدة التي ظهرت على منهاج المجلات الأوروبية وعرفت بمجاداتها مع عدد كبير من صحف القرن التاسع عشر ^١
--------	------	-----------	--

- بعد هذا العرض لأخبار الصحف والمجلات بالإمكان إجمال أهم سمات الصحافة في بلاد الشام في القرن التاسع عشر بما يلي:

١. عرفت بلاد الشام الصحافة في منتصف القرن التاسع عشر، وكانت ولاية بيروت هي الأسبق لها من دمشق، في حين لم تشهد فلسطين صحافة حقيقية إلا بعد عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، والجريدة الوحيدة قبل هذا عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م كانت تابعة للسلطة الإقليمية^٢.

٢. نشأت الصحافة في بداياتها الأولى بعناية الولاة فكانت صحفاً رسمية بكل معنى الكلمة^٣، وربما يعود ذلك إلى الحالة المادية والمعنوية التي يعانيها الأفراد تجاه الدولة، ثم تبعتها بعد وقت غير قصير الصحافة الشعبية باستثناء صحافة بيروت التي سارت جنباً إلى جنب مع الرسمية^٤.

٣. يُعدُّ عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م عام ازدهار في تاريخ الثقافة، وذلك يعود إلى انتشار التعليم وشيوع العمران، وميل الناس إلى اكتساب العلوم والمعارف^٥.

٤. أول عربي أصدر صحيفة عربية هو (رزق الله حسون الذي أنشأ مرآة الأحوال سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م في عاصمة الدولة العثمانية (الأستانة)، وأول صحيفة على أرض البلاد العربية هي (حديقة الأخبار) في بيروت، في حين بقيت دمشق وحلب بلا صحافة ولا صحفيين حتى حكم عبد

^١ للمزيد من التفاصيل عن تلك المجلات، انظر الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٨٠ وما يليها/ المشوط: تاريخ الصحافة السورية،، ص ٤٤-٥٨/ مروة: الصحافة العربية،، ص ١٧٥-١٨٢/ إلياس جوزيف: تاريخ الصحافة،، ص ١٥١-١٨٢/ الدباغ: الحركة الفكرية،، ص ٨٠-٨٤/ شيخو: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ١، ص ٦٧ وما يليها/ يوسف أسعد داغر: قاموس الصحافة اللبنانية (١٨٥٨-١٩٧٤)، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٧٨، ص ٣١/ عبد الرحيم غالب: مئة عام من تاريخ الصحافة (لسان الحال)، جروس بروسو، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٥-٦/ جريدة سورية العدد ١٠٣٠ تاريخ ١/٣/ ١٨٨٥م/ جريدة المعرفة السورية ودمشق، كانون الثاني، ٢٠٠٨، ص ٣٣٣.

حتى: لبنان منذ أقدم العصور،، ص ٥٦٥-٥٦٦/ النصولي: أسباب النهضة،، ص ١٣٩ وما يليها.

^٢ النابلسي: عصر التكايا والرعايا،، ص ٤٤١.

^٣ هاشم عثمان: الصحافة السورية ماضيها وحاضرها (١٨٧٧-١٩٧٠)، د.م، د.ط، ص ٢/ إلياس جوزيف: الصحافة السورية في مئة عام،، ص ٣٥/ المشوط: الصحافة السورية،، ص ٤٤.

^٤ إلياس: تاريخ الصحافة السورية في مئة عام،، ص ٣٥.

^٥ استندت على مساعدات المرسلين اليسوعيين والأمريكان.

^٦ مروة: الصحافة العربية،، ص ١٤٥.

العزیز، وبعد وعهده عند ولادة الصحافة السورية جاء صدور (صحيفة سورية الرسمية) بعد ظهور قانون المطبوعات بثلاثة أشهر^١.

٥. تمتعت الصحافة بنوع من الحرية في عهد عبد العزيز وخاصة بعد زيارته إلى باريس عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م ومشاهدة معرضها الدولي فرأى بعينه حضارة الغربيين.

تميز القرن التاسع عشر بظهور مجموعة من القوانين لتنظيم الصحف، أولها كان في عهد عبد المجيد في كانون الثاني عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م الذي أصدر لائحة تضمنت أن تخضع طلبات افتتاح مؤسسات الطباعة لفحص مجلس الثقافة العامة، وإجراء فحص لكل كتاب يطبع على أنلا يمس بالدولة ويجلب إليها الضرر، ومصادرة كل مطبوع يتضمن أخباراً ضارة بالبلاد والدولة^٢.

تبعه قانون المطبوعات في عهد عبد العزيز ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٥م، تأسس بموجبه مكتب لمراقبة الصحافة وطلب التصريح من الإمبراطورية العثمانية بأمر أخرى كثيرة^٣.

أما عبد الحميد والذي بدأ حكمه بإعلانه الدستور الذي أعدّه مدحت باشا ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، ليكسب لنفسه تأييداً أمر بموجبه (أي الدستور) أن يهتموا بوضع القوانين وخاصة قانون تنظيم الصحافة لتعيش الصحافة في عهده بحرية شبه مطلقة، ولكن ذلك لم يدم سوى سنة واحدة، ليصدر عام ١٨٧٨م مجموعة قرارات للحدّ من حرية الصحافة ومراقبة الصحف والمنشورات، وفيما يلي نصّه: "ربّما أن الدولة العليا الآن في حالة الحرب كان لها أن تعطل أحكام نظام المطبوعات المرعي بالإجراء في هذا اليوم إلى حين صدور أمر جديد، ولذلك قرر الباب العالي على اتخاذ قاعدة الأصول الجزرية التي هي عبارة عن تعطيل أوراق الحوادث التي تطبع وتنتشر في الممالك المحروسة السلطانية، أو عن إلغائها أيضاً بالكلية لدى الإيجاب بدون محاكمة، فبادرنا بموجب الأمر العالي لإعلان الكيفية"^٤.

غير أن جميع الإجراءات التعسفية التي اتخذها عبد الحميد لم تحدّ من حرية الصحافة، وإنما استمرت لتدفع عبد الحميد إلى إصدار قانون آخر عام ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م متمم لقانون المطبوعات

^١ قانون المطبوعات ظهر عام ١٨٦٥م في آب، في حين ظهرت صحيفة سورية الرسمية ١٩ تشرين الثاني عام ١٨٦٥م.

^٢ الرفاعي: تاريخ الصحافة،، ج ١، ص ٣٧ وما بعدها.

^٣ لمعرفة جميع بنود قانون المطبوعات انظر الشدياق (سليم فارس): كنز الرغائب في منتجات الجوائب، مطبعة الجوائب بالأستانة، سبعة أجزاء، ط ١، ١٢٩٤هـ/ج ٥، ص ٥٦-٦٠/ وأيضاً إعلان سلطاني خاص بالصحافة ١٢ آيار سنة ١٢٦٧م مجموعة القوانين الصحفية العثمانية، صحيفة الجوائب، مجموعة ١٠٥٦، سنة ١٢٦٥-١٢٧١م. نوفل: الدستور مج ٢، ص ١٨٨-١٩٦ / يوسف خوري: مختارات من القوانين العثمانية، دار الحمراء، بيروت، د.ط، ١٩٩٠م، ص ١٨١.

^٤ الشدياق: كنز الرغائب،، ج ٦، ص ٨١.

الصادر سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م، واتبعه عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م بقانون آخر ليزيد القيود على الصحافة والمطبوعات^١.

- مادامت الصحافة قد وصلت إلى هذا المستوى من الرقي والنشاط لا بدّ أن يكون التأليف قد واكب هذا الانتشار والاتساع، فالأثنان سارا في ذات الطريق، فالصحافة بدون كتّاب ومؤلفين لا معنى لها^٢.

فبعد أن كانت الكتابات الأولى لأدباء بلاد الشام ضعيفة التركيب في المبنى والمعنى، تعيش في مناخ انحطت فيه روح الكتابة وفقدت أصالتها، وانساق كتابها إلى استخدام الألفاظ والموضوعات المزخرفة، متبعين أسلوباً أدبياً مصطنعاً بعيداً عن روح العصر، مما جعل العمل التأليفي والصحفي حرفة يجتر المرء من خلالها أسلوب البيان التقليدي، وبقي النهج المتكلف، إلا أن ظهور الصحافة ومعها نخبة من الكتّاب اللغويين قلب واقع الحال، وتمكّن هؤلاء في فترة قليلة من العمل أن يسمو بالأسلوب الإنشائي والكتابة الأدبية من ناحية، كما لجؤوا إلى طرح موضوعات قضايا تهم الناس وتحل مشاكلهم من جهة ثانية، وخاصة بعد أن وضعوا انتقادات سياسية، ومنطلقات بدائية لتطوير لغة التعبير ومعناه، وكفي للتدليل على هذا التطور المناظرات اللغوية التي أغنت اللغة والأدب، والتي دارت بين أحمد فارس الشدياق والكونت رشيد الدحداح و رزق الله حسون من جهة، وبين إبراهيم اليازجي والأب لويس شيخو من جهة أخرى، والمعركة الكلامية بين الشدياق واليازجي و التي عدّت من أهم منازعات المرحلة وأشهر ما حدث في عالم الصحافة العربية^٣.

يضاف إلى ما تقدّم ما بذله خريجو المعاهد والجامعات الغربية من العرب الذين ترجموا العديد من المؤلفات العلمية الغربية إلى لغتهم، والتأليف بها فأصدروا المجالات التي تعنى بالعلوم بشكل عام، والتطبيقية والتجريبية بشكل خاص.

ولعلّ أقدمها المقتطف، والتي أفردت أبواباً للزراعة والصناعة والهندسة والطب والمسائل الرياضية، كما اعتادت المجلة أن تستعرض مختلف الصناعات المتطورة في أوروبا وتلك المنتشرة في البلاد العربية^٤.

^١ الياس: تاريخ الصحافة السورية،، ص ٤٤.

^٢ النابلسي: عصر النكاي والرعايا،، ص ٢٤٦.

^٣ كمال اليازجي: رواد النهضة الأدبية في لبنان الحديث، بيروت، ١٩٦٢، ص ١٤٣.

^٤ معاليقي: معالم الفكر العربي في عصر النهضة،، ص ١٥١.

^٥ عماد الصلح: أحمد فارس الشدياق، آثاره وعصره، دار النهار، بيروت، د.ط، ١٩٨٠م، ص ١٢٣.

^٦ محافظة: الاتجاهات الفكرية الحديثة،، ص ٢١٢.

ومع زيادة حركة التأليف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ونشاط النشر على مستوى الصحافة والكتب، وتقديراً من الباب العالي لخطورة الكتاب على امتيازات الباب العالي ومؤسسته الدينية والسياسية والمالية وضعت قوانين الرقابة المقيدة للتأليف على كلمة الكتاب، كما سبق ووضعت القوانين المقيدة للصحافة^١.

ولا بدّ من أن نختم بذكر أبرز أجناس الأدب التي ظهرت حديثاً في هذا القرن، إلا وهو الفن المسرحي كتابية وتمثيلاً، إذ لم يقتصر النشاط الثقافي على كتابة الكتب وتأسيس الصحف، بل ظهر فن جديد في بلاد الشام هو المسرح والذي برز في بيروت ودمشق، وكان الرّواد الأوائل لهذا الفن هم مارون النقاش وأبو خليل القباني.

- مارون النقاش: زار إيطاليا عام ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م وأعجب بمسارحها، وعاد إلى بيروت وأسس فيها مسرحاً، وقدم أول تمثيلية له في بيته وهي (البخيل) لمولير عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م، تبعها ١٢٦٤هـ ١٨٥٠م، بـ (هارون الرشيد) (والحسود لا يسود) ثم (الحسود السليط) لكنّ العمر القصير لم يعطه فرصة لمزيد من العطاء المسرحي^٢.

في عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م زارت فرقة مسرحية لبنانية دمشق، وعرضت مسرحيتها في (باب توما)^٣، وكان من المفارقات العجيبة أن يعجب بهذا الفن شاب مسلم أصبح فيما بعد مؤسس المسرح الدمشقي، وهو (أبو خليل القباني)^٤ الذي بدأ تمثيل بعض الروايات وكانت (ناكر الجميل) أولى تجاربه المسرحية وقدمها في بيت جدّه، ثم ما لبث أن سمع به الوالي العثماني وكان ممن يقدرّون الفن والمواهب، فحضر بنفسه تمثيل رواية من الروايات في حفلة أقيمت على شرفه، ودهش مما سمع ورأى وجعله موضع عنايته^٥. تعاقب على ولاية سورية عدد من الولاة بعد صبحي باشا، وكان تشجيع هؤلاء لنشاط القباني موضع مدّ وجزر إلى أن جاء الوالي المصلح (مدحت باشا)، فأسبغ عليه الكثير من

^١ لمعرفة المزيد عن هذه القوانين انظر خوري: مختارات من القوانين العثمانية،، ص ١٨٤.

^٢ محمد يوسف نجم الدين: المسرحية في الأدب العربي، دار بيروت للطباعة والنشر في بيروت، ١٩٥٦، ص ٦٧/ النابلسي: عصر التكايا والرعايا،، ص ٤٤٨.

^٣ يعود سبب ذلك لكون سكان باب توما من المسيحيين وذلك لكي تتجنب المؤسسات الدينية وانتقاداتها التي عارضت الفرقة. النابلسي: عصر التكايا والرعايا،، ص ٤٤٨.

^٤ أبو خليل القباني: ولد في دمشق فيما بين ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م، مؤسس المسرح في سورية، درس اللغة، والعلوم الدينية، والموسيقى، والموشحات، صادف عنفاً من بعض القوى المتزمتة، فرحل إلى مصر سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، فأسس المسرح الغنائي وألف خمس عشرة مسرحية توفي ما بين ١٣٢٠-١٣٢٢هـ/١٩٠٢-١٩٠٤م. موسى: أدياب دمشق،، ص ٢٧٨-٢٧٩.

^٥ حسني كنعان: أبو خليل القباني باعث نهضته الحديثة، في كتاب نظرية المسرح، تحرير: محمد كامل الخطيب، وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، د.ت، ج ٢، ص ١٥١.

عطفه ورعايته،^١ غير أن احتجاجات المؤسسات الدينية كان قوياً، الأمر الذي دفع مفتي دمشق الشيخ (سعيد الغيرة) بتقديم شكوى للسلطان عبد الحميد شرح فيه حال التمثيل في سورية، فأمر بإغلاق مسرح القباني الذي هاجر إلى مصر ليستمر بعدها النشاط المسرحي، لكنه تركّز في لبنان المسيحية في المدرسة الوطنية وجمعية (زهرة الآداب)، وقد حاولت بعد ذلك بعض المسارح عرض بعض الأوبرات في بيروت إلا أن الذوق العربي كان نافراً منها.^٢

لا تقل الترجمة عن التأليف من حيث الأهمية فهي تمثل أداة الاتصال الثقافي والفكري بالحضارة الغربية الحديثة، وهي أحد أهم عوامل النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر الذي شهد حركة كبيرة من التلاقي بين اللغة العربية واللغات الأخرى، وذلك عن طريق تعلّم اللغات الأجنبية في المدارس الرسمية والخاصة، وعبر إرسال البعثات للدراسة في الجامعات الكبرى بالدول الغربية، وكذلك عن طريق ترجمة الكتب الفرنسية والإنكليزية إلى العربية، وتعليمها في الدول العربية باللغة الأم، وكان لذلك دور كبير في حثّ الفكر العربي على متابعة التطوّر الهائل والسريع الذي عرفه العالم المعاصر، وقد كان لبنان من أهم المحطّات العربية التي أسهمت في إرساء قواعد النقل إلى العربية وفي وضع المعاجم اللغوية العربية.^٣ ولكي نعي قيمة هذا الدور يكفي أن نذكر إسهامات بعض الرجال المعروفين أمثال: (سليمان البستاني) الذي نقل الياذة هوميروس إلى اللغة العربية شعراً لأول مرة، وترجم (نجيب حداد) عدداً من المسرحيات الغربية كمسرحية روميو وجولييت لشكسبير والبخيل لموليير وغيرها.

في حين أن معظم الكتب المترجمة في فلسطين كانت دينية من اللغات اليونانية والفرنسية والإنكليزية والإيطالية. ولكن بعد أن تكونت تلك الكوادر الثقافية التي تخرّجت من المدارس الأجنبية في فلسطين وذهبهم إلى أوروبا ليكملوا تعليمهم، ثم عودتهم إلى بلادهم، بدأت حركة ترجمة الآداب والفلسفة والعلوم الغربية تنشط نشاطاً ملحوظاً.

ظهر خليل بيدس^٤ أفضل من ترجم عن الروسية نصوصاً: كان أبرزها: (ابنة القبطان) و(القوزاقي الولهان)، وكان أول من لفت نظر قراء فلسطين إلى الأدب الفرنسي هو روجي الخالدي^٥ الذي ترجم إلى العربية أعمالاً فرنسية عدّة.^٦

^١ نجم الدين: المسرحية في الأدب العربي،، ص ٦٧.

^٢ النابلسي: عصر التكايا والرعايا،، ص ٤٤٩.

^٣ بسام بركة: الترجمة إلى العربية ودورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، قطر، ٢٠١٢م، ص ١٥-١٦.

^٤ خليل بيدس: أديب لغوي ومربي فلسطيني كبير، ترك أثراً طيباً في الفكر والأدب وأحد الرواد الكبار المؤسسين للقصة القصيرة العربية الحديثة، ولد في الناصرة وتلقى دروسه الابتدائية في مدارس الجمعية الأرثوذكسية الفلسطينية، هو من أسرة (الصباغ) (وبيدس) لقب أطلق عليه، أصدر مجلة النفائس العصرية ١٩٩٠م، انخرط في الحقل السياسي

من الممكن أن نلخص السمات الأساسية لحركة الترجمة في هذه الحقبة بما يلي:

١. جعلت الترجمة العالم العربي يتعرف على ما يحرك العالم الغربي من تيارات فكرية معاصرة، وكذلك على الفنون الأدبية الجديدة مثل الرواية والمسرح.
٢. أسهمت في تطوير مفردات اللغة العربية وتحديثها، وذلك عبر وضع المصطلحات الجديدة للمفاهيم الطارئة حديثاً على الفكر العربي.
٣. دفعت العديد من العلماء والأدباء اللغويين للانكباب على دراسة اللغة العربية، وتحليل تراكيبها انطلاقاً مما عرفوه عن اللغات الأجنبية، وكذلك من أجل تطويع لغتهم الأم في التعبير عن رؤيتهم الجديدة للعالم المعاصر.
٤. أدت الترجمة بالمفكرين واللغويين العرب إلى وضع الموسوعات والمعاجم والقواميس^٢ باللغة العربية سواء على صعيد شرح المفاهيم والمعارف الحديثة (الموسوعات) أو عن طريق تصعيد اللغة وتطوير معاجمها التراثية (معاجم اللغة العربية)، وقد دفعتهم كذلك إلى وضع المعاجم ثنائية اللغة التي تساعد على نقل النصوص من اللغات الأجنبية إلى العربية وبالعكس^٣.
٥. أسهمت الترجمة في نقل أفكار التورث الأمريكية والفرنسية كما نقلت أفكار عصر العقل والتنوير^٤. كانت تلك هي بعض تباشير النهضة العربية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الحافل بالمدارس والفكر والفنون الجديدة، الذي عدّ بمثابة تاريخاً نقرأه ومرآة ننظر فيها لنرى ونعرف كيف كنّا، وأين موقعنا على خارطة العلم والفن والصناعة في هذا القرن.

وشارك في الحركات القومية فحكم عليه بالإعدام فلجأ إلى البطريرك (دميانوس الأول) الذي حماه من حبل المشنقة، سعيد مضية: رواد التنوير في فلسطين، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص ٢٠٥-٢٢٣.

^١ محمد روجي بن ياسين بن محمد بن علي بن خليل بن صنع الله الديري الحنفي الخالدي، عالم باحث سياسي، من رواد النهضة الحديثة، شغل بعض الوظائف البسيطة في أول حياته منصب العدلية، التحق بكلية الإدارة والعلوم في إسطنبول، اتصل بالمصلح (جمال الدين الأفغاني)، انضم روجي إلى حزباً لاتحاد والترقي، التحق في باريس بمدرسة العلوم السياسية وأتم دروسه في ثلاث سنوات، سمح له السوريون في الغوص في أعمال التاريخ والأدب الفرنسي أهم مؤلفاته (الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة) و (الكيمياء عند العرب). مضية: رواد التنوير في فلسطين،، ص ٨٥-١٠٧.

^٢ خيرية قاسمية: روجي الخالدي رمز الحركة العثمانية في فلسطين نهاية الحكم العثماني ضمن كتاب سوريا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، د.م، د.ط، ١٩٩٢م، ص ٢٧.

^٣ مثال ذلك قاموس محيط المحيط للبستاني.

^٤ بركة: الترجمة إلى العربية،، ص ١٥-١٦.

^٥ النابلسي: عصر التكايا والرعايا،، ص ٤٤٦.

الفصل الرابع: نماذج من رواد الحركة التاريخية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر

أولاً: نماذج عن تأريخ الأحداث:

١. أحمد حيدر الشهابي (١١٧٤-١٢٥١هـ/١٧٦١-١٨٣٥م).
٢. ميخائل الدمشقي (....-١٢٥٧هـ/....-١٨٤١م).
٣. ميخائيل مشاققة (١٢١٥-١٣٠٦هـ/١٨٠٠-١٨٨٨م).

ثانياً: نماذج عن المصنفات التاريخية المحلية:

٢. يوسف الدبس (١٢٤٩-١٣٢٥هـ/١٨٣٣-١٩٠٧م).
٢. نعمان القساطلي (١٢٧٢-١٣٣٩هـ/١٨٥٥-١٩٢٠م).

ثالثاً: نماذج عن تاريخ السير والتراجم:

١. طنوس الشدياق (....-١٢٧٦هـ/....-١٨٥٩م).
٢. عبد الرزاق البيطار (١٢٥٣-١٣٣٥هـ/١٨٣٤-١٩١٦م).

نماذج من رواد الحركة التأريخية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر:

تمت معظم الكتابة التأريخية التي وجدت في بلاد الشام في القرن التاسع عشر على يد مجموعة كبيرة من رجال الدين المسلمين في سورية، والمسيحيين في جبل لبنان، بالإضافة إلى بعض الكتبة الذين عملوا في خدمة الأمراء والباشوات، ومعظم من دونها وسجلها كان شاهداً عليها ومشاركاً فيها، ومن هنا كانت كتاباتهم ذات صلة كبيرة بحاضرهم المعاش، فبعضهم أوجز التاريخ السياسي، وآخرون أرخوا للمدن والأقاليم والعائلات، ومنهم من حلل أسباب الانفجار الطائفي وحوادث الستين في جبل لبنان، وكتب آخرون تاريخ سورية بمفهومها العام، ومنهم عمل في تراجم العلماء و الأعيان في القرن التاسع عشر.

وبما أن الحديث عن الحركة التأريخية في بلاد الشام لا يستقيم بدون التنويه إلى جهود النابهين من هؤلاء الذين انتفع بهم خلق كثير وكانت لهم مكانتهم الاجتماعية والعلمية بين الناس، وبناءً عليه لن نتمكن من رسم صورة واضحة عن المزايا العامة للحركة التأريخية في بلاد الشام إلا من خلال التعرف على مؤرخي تلك الفترة وأهم مؤلفاتهم.

أولاً: نماذج عن تأريخ الأحداث:

١- أحمد حيدر الشهابي (١١٧٤-١٢٥١هـ / ١٧٦١-١٨٣٥م):

هو حيدر بن أحمد الشهابي أحد أفراد الأسرة الشهابية الحاكمة ولد في (دير القمر) في سنة ١١٧٤هـ / ١٧٦١م، وتوفي في (القرقة) بلبنان عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م^١، استقر بقرية (شملان) ولا تزال آثار داره باقية حتى الآن، وقد عرف بالشهابي الشملاني^٢. تخلّى عن الإسلام وأصبح علناً مارونياً خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر^٣. نشأ كالأمرء، وانغمس في الصراع على السلطة التي جرت فيما بينهم من جهة وخصومهم الباشوات العثمانيين وممثلي الدولة الاستعمارية من جهة أخرى^٤. وهو من أهم دعائم أركان حكم ابن عمه الأمير بشير الثاني الذي كلفه بالعديد من المهام السياسية التي تتطلب الثقة لأهميتها^٥.

^١ كحالة: معجم المؤلفين،، ج ١، ص ٦٦٣

^٢ الزركلي: الأعلام،، ج ٢، ص ٢٩٠.

^٣ لويس، هولت: مؤرخ العرب والإسلام،، ص ٣٤٦.

^٤ يوسف البان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، د.ت، ج ١، ص ٨٠٦.

^٥ طريبن: التأريخ والمؤرخون العرب،، ص ٩٦.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

كان مولعاً بالتاريخ اطلع على العديد من الكتب التي كانت في خزائن الأمراء التتوخيين والمعنيين، ووقف على المناشير والبراءات والسجلات، وقد كتب بمساعدة بعض الأساتذة والمعلمين الذين اجتمعوا حوله^١ تاريخ جبل لبنان وأسرته في كتاب الغرر الحسان في أخبار الزمان مقسماً إياه إلى ثلاثة أجزاء أعطى كلاً منها عنواناً مستقلاً، الأول: العزr الحسان، والثاني: نزهة الزمان في تاريخ جبل لبنان^٢، والثالث: الروض النضير في ولاية الأمير بشير، وقد جمعت كلها في كتاب واحد بعنوان (لبنان في عهد الأمراء الشهابيين)^٣.

وله أيضاً كتاب عن تاريخ (أحمد باشا الجزائر)^٤ مفصلاً فيه أعماله وحروبه، ومقدمة هذا الكتاب تعطينا فكرة عامة عن المضمون والمنهج والأسلوب المستخدم في الكتابة.

فيقول الشهابي: "تبتدئ بعون الله تعالى في شرح قصة أحمد باشا الجزائر، وما حصل له مدة حياته من العز والافتقار والرفعة والافتخار، ونعرض ما أبداه من المظالم وما سفك من دماء العوالم، وما صدر منه من الخيانات، وما تجد في إيالته من المكوسات... حتى نهاية حياته. وقد رمت (قصدت) بهذا المختصر الذي أنتجته من تواريخنا المجتمعة من عدة تواريخ صادقة، محتوية على جميع الحوادث الماضية من ابتداء ظهور الإسلام إلى تاريخ الآن، والمرقوم بها جميع أخبار الدول المتقلبة دولة بعد دولة، وما قضى بينهم من الحروب المهولة ومن تملك في عصره وزمانه، وما حدث في وقته وأوانه ثم عن تملك القسطنطينية من آل عثمان إلى هذا الوقت والأوان"^٥.

^١ من هؤلاء المعلمين أسعد شدياق وأخواه طنوس وفارس وأحمد الشدياق، والشيخ ناصيف اليازجي

^٢ نسب الأب لويس شيخو في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية هذا الكتاب للمؤرخ نقولا الترك. انظر شيخو: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ١، ص ١٨.

^٣ نشر نعم مغنغب الأجزاء الثلاثة من الغرر في طبعة غير جيدة في القاهرة سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، ونشر أسعد رستم وفؤاد أفرام البستاني الجزئين الثاني والثالث من الغرر تحت عنوان لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، في ثلاثة أجزاء، وقد اعتمد على مخطوطة المؤلف الخاصة التي تنتمي في عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م، وأضاف الأخبار المتصلة بأحداث الستين ما بين ١٢٤٤-١٢٤٨هـ / ١٨٢٨-١٨٣٢م والتي أوردها بولس قرألي حين نشر تاريخاً لمجهول يتعلق ببشير الثاني وربما يتطابق مع مؤلف حيدر المختصر عنه. انظر طربين: التأريخ والمؤرخون،، هامش (١) ص ٩٧.

^٤ أحمد باشا الجزائر: ولد في البوسنة من أسرة مسيحية سنة ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م، لما بلغ السادسة عشر من عمره هرب إلى القسطنطينية، عمل في خدمة علي باشا حكيم أوغلي الذي اصطحبه معه إلى مصر، خدم بعدها في بيت أحد أمراء المماليك، ثم انضم إلى عبد الله بيك الذي قتله عرب الحيرة فانقم منهم بجرهم إلى كمين وذبحهم، وذلك سبب تسميته بالجزار، اتسع نفوذه فيما بعد وتسلم العديد من المناصب منها ولاية عكا أحمد الشهابي: أحمد باشا الجزائر مع نابليون بونابرت، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ١١-١٨.

^٥ أحمد الشهابي: أحمد باشا الجزائر مع نابليون بونابرت،، ص ٢٧.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

ونسب لحيدر كتيب في الجغرافية والسياسة والإجراءات الإدارية في لبنان في عهد بشير.^١
أما أهم مؤلفاته فهو كتاب لبنان في عهد الأمراء الشهابيين والذي ذكر سابقاً لأهميته سنوجز محتواه بمايلي:

الهيكل العام للكتاب مقسم إلى ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول بدأ فيه بسنة ٦٢٢م بحياة النبي عليه السلام نسبه وقائع حياته قبل النبوة، نزول الوحي عليه وهجرته إلى المدينة، ومن ثم غزواته، وأهم فرق الإسلام، وينتهي بقدم الشهابيين إلى لبنان بأحداث عام ١٢٠٦هـ/١٧٩١م.^٢

الجزء الثاني يبدأ بحوادث ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م، وينتهي بحوادث ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م.^٣

الثالث يلخص أحداث الأعوام من ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م حتى سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م.

اتبع الشهابي الأسلوب الحولي وذلك بتسجيل أحداث كل سنة ذاكراً اليوم والشهر، متبّعاً أسلوب الإيجاز، ذاكراً مصادره في بعض الوقائع التاريخية كعادة مؤرخي تلك الأيام، ويلاحظ مما أورده أن الجزء الأول منقول عن تاريخ الطبري والمسعودي، وابن سباط، وغيرهم^٤، أما أخبار الجزأين الآخرين اعتمد فيهما على كتب المؤرخين المعاصرين له^٥، بالإضافة إلى مذكراته الشخصية، والفرمانات الرسمية، والمخاطبات التي كانت تدور بين الولاة في الجبل ورجال الدولة^٦، والذي كان واحداً منهم

^١ لويس، هولت: مؤرخو العرب والإسلام،، ص ٣٤٧.

^٢ لم نتمكن من الاطلاع على مضمون الجزء الأول بسبب عدم نشره من قبل محققي الكتاب وحجتهم في ذلك ما ذكر في البداية "لما كانت مأخذ الجزء الأول من (كتاب الغرر الحسان)، وهو الجزء الذي يبتدئ بالهجرة وينتهي بقدم الشهابيين إلى لبنان - معروفة لدينا ومنشوراً أكثرها على حدة، وكان هذا القسم نفسه قد نشره بتمامه كما هو في نسخة إيلي سميث التي احللناها محل الأصل ذاته، ولما كان كلام الأمير في الجزأين الآخرين أهم بدرجات مما دونه في الجزء الأول وذلك لقرب عهده من الحوادث المدونة فيهما ومشاهدته لبعضها، ولما كان كلامه في هذين الجزأين أيضاً يختلف من حيث النص والإيجاز والإسهاب عما ظهر في الطبعة القديمة، رأينا أن ننشر الآن الجزئين الآخرين فقط" الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين،، مقدمة الناشرين ص ٦/ لويس، هولت: مؤرخو العرب والإسلام،، ص ٣٤٧.

^٣ الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين،، ج ٢، ص ٣.

^٤ ذكر محققي الكتاب أن الشهابي قد صرح بمصادره في مقدمة الجزء الأول من كتابه. الشهابي، لبنان في عهد الأمراء الشهابيين،، مقدمة الناشرين ص ١٢.

^٥ من هؤلاء المؤرخين نذكر القس حنانيا منير، والقس روفائيل كرامة، والمعلم نقولا الترك، والشماس انطونيوس العنيطوريني، والجبرتي، والمعلم إبراهيم العورة، وغيرهم الكثير.

^٦ الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين،، ج ٢، ص ٤٠١.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وشاهد عيان لتلك الأحداث ومشاركاً فيه^١، وبناء عليه لم يكتب تاريخه كرجل عادي بل كرجل يصنع السياسة ويتخذ قرارات، وهو في سرده لا يهتم كثيراً بشرح ما وراء الأحداث من الدوافع، ولا يعرضها للنقد والتمحيص للتأكد من صحتها، مثال ذلك مقتل أحمد التاجر حيث وضعها بين أخبار سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م، بدلاً من عام سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م^٢.

لم يقتصر كتابه على الحدث التاريخي، بل أورد فيه معلومات قيّمة عن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وشيئاً من الحوادث الطبيعية كالأوبئة والمجاعات وأسعار الحاجيات والعملات^٣ مستشهداً ببعض الأشعار والخطب^٤، كما لم يحصر تاريخه بأخبار جبل لبنان بل تطرق للحوادث في فلسطين وسورية^٥، وأورد أخبار دولة الروم البيزنطيين^٦ وأحداث التاريخ الأوروبي؛ ففي الجزء الثاني تقرير طويل عن الحملة الفرنسية وأحداثها و خلع لويس السادس عشر وإعدامه وارتقاء نابليون^٧، وقد شغلت تلك الأحداث ربع الجزء الثاني، ويعود ذلك لكثرة المادة المتوفرة، كما أنه اعتمد بشكل أساسي في كتابه عن الاحتلال الفرنسي بشكل مفصل على كتاب نقولا الترك^٨.

يلاحظ وجود تباين في الأسلوب والطريقة في بعض أجزاء الكتاب، ويعود ذلك إلى كون الشهابي ثبت الموضوعات التي كتبها معاونوه بدون تغيير، مع أنه كتب الصيغة النهائية للقسم الأكبر من الكتاب وهو الذي أعطاه شكله النهائي^٩.

ويلاحظ أيضاً تباين في تواريخ بعض المخطوطات منها ينتهي بالترتيب الزمني قبل الآخر^{١٠}

^١ الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين ج ٢، ص ١٢، ١٥،

^٢ الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين،، ج ٢، ص ٣٧١.

انظر طربين: التأريخ والمؤرخون،، ٩٧.

^٣ الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين،، ج ٢، ص ٢٦٥، ٣٥٥، ٣٦٩، ٤٠٠، ٥٢٨، ٥٤٠.

^٤ الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين،، ج ٢، ص ٩-٢، ١٨-٢٢، ٣٦٧.

^٥ الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين،، ج ٢، ٢٥٨.

^٦ الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين،، ج ٢، ص ٢٣٨، ٢٣٩، ٣٤٥، ٣٤٦.

^٧ الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين،، ج ٢، ص ٤٣٠، ٤٣٧-٤٩٩.

^٨ الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين،، ج ٢، ص ٢١٣، ٢٧٠/ لويس، هولت: مؤرخو العرب والإسلام،، ص ٣٤٨/ أما نقولا الترك: ولد في دير القمر من أسرة قديمة فيها، يدل اسمه كما قيل أنه من عائلة تركية، توطنت في دير القمر، أحب العلم من صغره وأكبّ عليه وأكثر من المطالعة، وله مقامات قلّد بها الحريري وغيره. عبود، أدب العرب،، ص ٣١٨.

^٩ الشهابي: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين،، ج ٢، ص ٢٦٥ ومايليها/ طربين: التأريخ والمؤرخون،، ص ٩٨.

^{١٠} لويس، هولت: مؤرخو العرب والإسلام،، ص ٣٤٨.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

هذا هو ملخص موجز عن محتوى كتاب الشهابي ومن خلاله تم التعرف على منهجه في الكتابة التاريخية.

٢-ميخائيل الدمشقي (....-١٢٥٧هـ/....-١٨٤١م):

أ. حياته:

على الرغم من أهمية كتابه (تاريخ حوادث الشام ولبنان) غير أن المعلومات المتوفرة عن حياته قليلة جداً، وكل ما عرف عنه استنبط من كتابه المذكور أعلاه، ويعود ذلك إلى أنه اتخذ اسماً مستعاراً-ميخائيل الدمشقي-خوفاً على حياته من السلطة أو ممن لا يعجب بكتابه، لم يرد ذكره في كتب الأعلام أو الموسوعات، ومعاصروه لم يذكروه في مصادرهم التاريخية^١.

بالنسبة لسنة مولده ووفاته فيستدل من الكتاب أن حياته كانت قبل عام ١١٨٦هـ / ١٧٨٢م، وذلك يعود أن أول شخصية ترجم لها كانت في العام نفسه، وآخرها في عام ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م، وعليه فإن وفاته كانت بعد ذلك^٢.

كما أن الأب لويس معلوف اليسوعي^٣، والذي نشر هذا الكتاب عن نسخته الموجودة في المتحف البريطاني يذكر أن المؤلف هو (أحد موظفي الحكومة في دمشق، كما ورد في حاشية آخر الكتاب كتبها باللغة الانكليزية المرحوم (ج كاتاغاغو)، ويستدل من كلامه أنه كان من الروم الكاثوليك الملكيين)^٤.

في الوقت الذي رجح فيه البعض أن يكون (ميخائيل الدمشقي) هو نفسه ميخائيل مشاققة، كون الاثنين يحملان الاسم نفسه ميخائيل، بالإضافة إلى أوجه التقارب والشبه في الأسلوب بين كتاب (الجواب على اقتراح الأحباب) ، وكتاب (تاريخ حوادث الشام ولبنان)؛ لكن للأسف لم يجد أحد دليلاً قاطعاً على نسب الكتابين لمشاققة^٥.

^١ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ٦، ٩.

^٢ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١١-٨٥.

^٣ لويس معلوف اليسوعي (١٨٦٧-١٩٤٧) ولد في رحلة تعلم في بيروت، حرر جريدة البشير مدة ٣٠ سنة من مؤلفاته (قاموس المنجد في اللغة والأعلام). لويس معلوف لويس: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط ٢٧، ١٩٨٤، ص ٦٥٧.

^٤ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ٧/ وانظر طربين: التاريخ والمؤرخون،، ص ١.

^٥ الباحثون السوريون: ميخائيل مشاققة هل هو ميخائيل الدمشقي، تحقيقات تاريخية

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وعليه بالإمكان تكرار ما ذكره بعض المؤرخين، الذين ترجموا له بالقول: (مؤرخ لم أعثر له على ترجمة)^١.

ب. وصف الكتاب:

كتاب سردي حولي، يؤرخ لفترة أواخر القرن الثامن عشر وأواسط القرن التاسع عشر، يحوي معلومات على جانب كبير من الأهمية للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ج. الخطة العامة للكتاب:

الكتاب عبارة عن جزء من مجلد محفوظ في مكتبة المتحف البريطاني، ضم المجلد: (كتاب الدر المنتخب في تاريخ حلب)^٢، وكتاب (تاريخ حوادث الشام ولبنان)، وقد احتل من ص ١٤١ إلى ص ٢٠٦، وقد قام الباحث الأب لويس معلوف اليسوعي بنشره نقلاً عن نسخة منقولة عن نسخة مكتبة المتحف البريطاني موجودة في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت^٣، ونشره في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م، وقد قرظ الأب لويس شيخو هذا الكتاب عند صدوره^٤.

ويعتقد أن الكتاب قد أرسله مؤلفه إلى وزارة خارجية انكلترا كتقرير للاطلاع، وهي بدورها أحالته إلى المتحف البريطاني مثله مثل غيره من التقارير والكتب المخطوطة بعد أن عُدَّ وثيقة تاريخية^٥.

والكتاب الذي بين أيدينا أبقى فيه المحقق^٦ على نص الكتاب الرئيسي مع شرح ما غمض فيه من عبارات واحتفظ بما شرحه ودوّنهُ الأب لويس معلوف^٧، بدأ الدمشقي كتابه بمقدمة عرف فيها بالاسم الكامل للكتاب موضحاً السبب والغاية والمنهج، فيقول: (كتاب تاريخ حوادث جرت بالشام وسواحل بر الشام والجبل من تأليف الحقير ميخائيل الدمشقي، وكل ما حررناه فهو صحيح ليس به نظم ولا تجميل. والقصد بذلك لأجل المطالعة لأصحاب الدراية حيث غاب عن أغلب الناس بما صار

^١ أمثال هؤلاء المؤرخين صلاح الدين المنجد في كتابه معجم المؤرخين الدمشقيين، ص ٣٨٣. ولويس: مجلة المشرق، السنة الثالثة، ١٩٠٠، عدد ٦، ص ١٥٥.

^٢ كتاب الدر المنتخب في تاريخ حلب هو من تأليف القاضي أبي الفضل محمد بن الشحنة، وقد قدم هذا الكتاب عبد الله محمد الدرويش.

^٣ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ٦.

^٤ شيخو: مجلة المشرق، عدد ٦، ١٩١٣، ص ١٥٥، المنجد: معجم المؤرخين الدمشقيين،، ص ٣٨٣.

^٥ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ٧.

^٦ محقق الكتاب هو أحمد غسان سبانو.

^٧ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ٩.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

لعدم وجود مؤرخين إن كان بالشام أو بالجل. وجعلنا ذلك ثلاثة أبواب لكل باب معنى ما يخصه، وهو من ابتداء سنة ألف ومئة وسبع وتسعين ونهايته في سنة ألف ومئتين وسبع وخمسين هجرية^١.

يتبع هذه المقدمة عبارة وضعها محقق الكتاب يوضح فيها التعديلات التي وضعت على هذا الكتاب، فيقول: "وقد قبلت هذه النسخة على نسخة صحيحة بعناية الضبط والتدقيق عدا بعض عبارات مختصرة شرحها طويل في النسخة المنقول عنها هذه، والمقصود معرفة أصول الحوادث بحكم السنين والأيام ويسهل للمطالع ويستغني عن الفحص والسؤال"^٢.

الباب الأول أفرد له لأهم الوزراء الذين تولوا بالشام واضعاً له عنواناً يتوسط الصفحة (علم بيان الوزراء الذين تولوا بالشام من بعد محمد باشا العظم، وعن الوقائع والحوادث بزمان توليهم باختصار)^٣.

وأول تراجمه كانت للوالي محمد باشا^٤، يستمر بعدها الدمشقي بتسلسل السنين والولاء عارضاً اسم الوالي والعام الذي استلم فيه وسنة وفاته أو عزله واصفاً صفاته وأهم الأحداث التي جرت في عهده، وآخر تراجمه للوالي محمد نجيب باشا، وبه ينتهي الباب الأول^٥.

الباب الثاني روى فيه أهم الوقائع والحوادث التي جرت بالجل والساحل من خلال رصده لأخبار عكا في عهد أحمد باشا الجزائر، الذي استولى على بيروت ورفع يد بيت شهاب عنها واصفاً ما فيه من أحداث لينهي الحديث عن الجبل بالقول: "وهكذا جلست الأحوال على هذا المنوال"^٦.

تطرق في الباب الثالث إلى بعض النواذر التي حصلت بالجل وبيروت^٧.

ويختتم المؤلف كتابه بعبارة يعبر فيها عن رأيه بالأحداث مقدماً النصيحة لمن يأتي بعده، فيقول: "إذ كنا قد أنهينا حوادث الجبل وأحكامه كل أوان بأوانه مع أحكام الشام على قدر الإمكان بما هو نقلاً صحيحاً ومما شاهدناه عياناً، والقصد بذلك كي يعلم أصحاب الدراية ومن يريد أن يطلع على ما حدث في كل زمان، وعن تعلق ابن آدم بالدنيا ولا يعتبر زوالها وما حدث لغيره قبله ومن وباله، وباله

^١ كان بدء سنة ١١٩٧ للهجرة في يوم السبت ٧ ك ١ سنة ١٧٨٢ للمسيح وبدء سنة ١٢٧٥ الهجرية في يوم الثلاثاء ٢٣ شباط سنة ١٨٤١م. الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ٩ وهامش (١)، ص ٩.

^٢ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ٩.

^٣ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١١.

^٤ محمد باشا حسر إلى لشام في عام ١١٩٧ هـ / ١٧٨٢ م كان ظالماً وقاسياً حكم تسعة وعشرين يوماً ومات، وقيل إنه كان مبتلى بداء السل وتولى بعد وفاته أخوه درويش بن عثمان باشا. الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١١.

^٥ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١١-٨٥.

^٦ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١٥٥.

^٧ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١٥٦-١٦٣.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

من غرور بشع وأمل رديء شنيع؛ ولكن لا فائدة بالنصيحة ولو آل الأمر للفضيحة، فالصبر بالله تعالى على سماحة الطبيعة البشرية واستمرارها على العناء والأمل الفارغ".^١

وبعد خاتمة المؤلف يورد المحقق خاتمة يقول فيها: "وكانت نساخة هذا كتابنا عن خط مؤلفه في شهر تشرين أول ١٨٤٣ مسيحية موافق شهر شوال سنة ١٢٥٩ هجرية ونسأله تعالى حسن الختام ويعفى عنا بالتمام. تم".^٢

وزع الدمشقي أحداثه في ثلاثة أبواب واضحة العناوين، متبعاً الأسلوب الحولي؛ وذلك بذكر أحداث كل سنة على حدة محدداً اليوم والسنة، وصرح عن ذلك بالقول: "والمقصود معرفة أصول الحوادث بحكم السنين والأيام ويسهل للمطالع ويستغني عن الفحص والسؤال".^٣

شارحاً لأهم الأحوال والأحداث السياسية في البلاد وما تعرضت له المنطقة من حوادث خطيرة، موضحاً وضع الأقليات الدينية كونه ينتمي إليها، واصفاً أساليب العنف التي مارسها الحكم العثماني من خلال فرضه الفرمانات التعسفية^٤، عارضاً لسوء الأوضاع المعيشية الناجم عن الغلاء وارتفاع الأسعار^٥، ملاحظاً تأثير الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية^٦، كما ساعدته وظيفته الحكومية على الاطلاع على أسرار ومجريات الحوادث في عهده^٧.

بعد أن عولج مضمون الكتاب لابد من معرفة أسلوبه في العرض:

- أسلوبه حولي سردي قائم على التعريف بشخصيات كتابه بذكر الاسم الكامل، وبعض صفاته، وما جرى في عهدهم من حوادث خطيرة، معبراً بالقول: "من الحوادث في أيامه، وفي زمانه".^٨
- موضوعيته في طريقة ذكره للحدث مبيناً رأيهِ بكل صراحة بدون تزييف أو تجميل، غايته الأولى المنفعة العامة، مؤكداً ذلك بقوله: "وكل ماحررناه فهو صحيح ليس به نظم ولا تجميل والقصد

^١ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١٦٤.

^٢ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١٦٤.

^٣ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ٩.

^٤ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١٤، ٢١، ٥٧، ٧١-٨١، ١٣٧، وهناك العديد من الأمثلة.

^٥ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١٢، ٢٣، ٢٩، ٣٩، ٤١.

^٦ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ٣٠، ٦٩، ١٠٦.

^٧ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ٢٧، ٤٧.

^٨ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ٥٧، ٧٤.

^٩ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١.

^{١٠} الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١١، ١٦، ١٨، ٢٤. وهناك العديد من الأمثلة في النص.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

بذلك لأجل المطالعة لأصحاب الدراية، حيث غاب عن أغلب الناس بما صار لعدم وجود مؤرخين إن كان بالشام أو الجبل"^١.

- تقديمه النصح للأجيال القادمة ودعوتهم للاعتبار بما حدث لمن سبقهم، فيقول: "ومن يريد أن يطلع على ما حدث في كل زمان وعن تعلق ابن آدم بالدنيا ولا يعتبر زوالها وما حدث لغيره قبله ومن وبالها، ويا له من غرور بشع وأمل رديء شنيع؛ ولكن لا فائدة بالنصيحة ولو آل الأمر للفضيحة، فالصبر بالله تعالى على سماحة الطبيعة البشرية واستمرارها على العناء والأمل الفارغ"^٢

- عمد إلى الإيجاز والاختصار في عرض الأحداث مصرحاً بذلك في أول أبوابه عندما قال في العنوان: "علم بيان الوزراء الذين تولوا بالشام ... وعن الوقائع والحوادث بزمان توليهم باختصار"^٣. وفي أثناء الحديث عن مظالم أحمد باشا الجزار يورد: "إذا أردنا شرح أعماله كلها يقتضي ذلك مجلدات"^٤.

- مال في مؤلفه إلى استخدام لغة أهل دمشق الجارية على السنة عامتهم وفي أوساطها وهي العامية، تلك اللغة بالرغم من بساطتها لا تخلو من سلامة ورشاقة، وفي الكتاب العديد منها نذكر: (يقارشون هذه المادة؛ أي يتكلمون بها)، و(يرغش؛ بالحكي أي يغلط)^٥.

- زخر الكتاب بالعديد من المصطلحات التركيبية منها الشنك، الخندار الكتخدا^٦.

- ذكر الكثير من الأمثال الشعبية التي لا تزال متداولة في يومنا هذا منها حب الرياسة الطبع مايل إليه^١، وطبخ الطبخة وما أكل منها^٢.

^١ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١١.

^٢ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١٦٤.

^٣ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١١.

^٤ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١٠٣.

^٥ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١٢، ٢٦.

^٦ الشنك: كلمة تركية بمعنى بهيج، وشنك البهجة أو الطرب، وتطلق على الاحتفال الذي يطلق فيه المواقع والنيران.

دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٩٩.

كتخدا: صاحب البيت أو رب البيت، وهي لفظ فارسي يطلقه الفرس على السيد الموقر وعلى الملك، ويطلقها الترك على الموظف المسؤول والوكيل المعتمد، ويقال خزينة كتخدا أي أمين الخزينة. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية،، ص ١٢٩.

الخندار: مسؤول الخزين ومهمته إعداد تقرير عن أموال الخزينة الخاصة بالسلطان وإعلامه عن النقص، إضافة إلى مهمته الخزينة العامة في الدولة، يساعده عدد من الموظفين المختصين بأمر المحاسبة. عامر: تاريخ الدولة العثمانية،، ص ٩٣.

أما مصادره فقد تراوحت بين:

- مشاهداته الخاصة كونه شاهد عيان فيكرر عبارة (أعلم، أخبرنا، بلغنا، وقفنا عليه)^٣
- نقل عن سبقه من المؤرخين دون ذكر اسم المؤلف أو الكتاب، بل يكتفي بالقول: "قيل، فمنهم من قال، يقولون"^٤
- هذا ملخص موجز عن محتوى كتاب الدمشقي، ومنهجه المتبع في التأليف التاريخي، ويعد كتابه من الوثائق الهامة التي تحتوي تفاصيل أخبار الشام ولبنان مدة ستين سنة.
- ٣-مikhail مشاقة^٥ (١٢١٥-١٣٠٦هـ/١٨٠٠-١٨٨٨م):
- أ-حياته:

ليس بالإمكان عند التعريف بـ ميخائيل مشاقة سوى العودة إلى ما قدمه من معلومات وردت في كتبه معروفاً بنفسه وعائلته، فيقول:

" أنا العبد الفقير ميخائيل بن جرجس بن إبراهيم مشاقة اللبناني مولداً^٦، الدمشقي موطناً الروم الكاثوليكي طائفة، أنني قد ولدت ضمن الديانة المسيحية في أوائل سنة ألف وثمان مائة، من أهل بيت معتبر بين أبناء جنسي، وكان أبي متوظفاً ومنظوراً عند حاكم جبل لبنان^٧، مشهوراً بحسن العبادة والتقوى حسب الملة المولود فيها، وقد اجتهد بتربيتي وتعليمي كل ما يلزمني لمعرفة الديانة، واستحصال المعيشة، وكنت مولعاً بمطالعة الكتب المفيدة، ولما بلغت الرابعة عشرة انعكفت على علم الحساب والجبر والهيئة والكرة الأرضية والنجوم والطبيعات، وتيسر لي حينئذ معلم من أقربائي^٨ كان

^١ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ٩١.

^٢ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ٩٣.

^٣ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ٣٦، ٧٧، ٧٩، ١٢٠.

^٤ الدمشقي: تاريخ حوادث الشام ولبنان،، ص ١٤، ١٩، ٢٠، ٣١، ٢٣.

^٥ مشاقة: هو ما سقط من الشعر أو الكتان أو الحرير عند المشط، أو ما طار أو ما خلص، وقيل هي ما تبقى من الكتان وهو أن يجذب في قمشه وهي كشيء كالمشط حتى يخلص خالصة وتبقى فتاته وقشوره. بطرس البستاني: قاموس محيط المحيط، جود للطباعة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٨٥٢.

^٦ ولد في قرية راشيا في أعالي جبل لبنان. زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ٢، ص ١٩٧.

^٧ كان والده جرجس مشاقة على علاقة وطيدة بالأمر بشير الكبير وقد جعله كاتبه الخاص وظل في خدمة الأمير إلى أن توفي سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢ م وقد أفاض مشاقة في مؤلفه مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان بالحديث عن أسرته انظر مشاقة: مشهد العيان،، ص ٥-١٢.

^٨ درس علم الفلك على يد خاله بطرس عنجوري، عند قدومه إلى دير القمر سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٤ م مشاقة: مشهد العيان،، ص ٩.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

قد أُنقن هذه الفنون عن الفرنسيين حين قدومهم إلى مصر سنة ألف وسبعمائة وتسع وتسعين، وفي مدة وجيزة حصلت منها طرفاً يكتفي به مثلي^١. تلك العبارة قدمت معلومات كافية عن هذا المؤلف (مولده ونشأته).

ب-أما مناصبه:

تسلّم مشاققة العديد من المناصب كان أولها سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨ م عندما عيّن كاتباً بدلاً من عمّه في دمياط، وفي تلك المدينة اشتغل بالتجارة فصار له ثروة صغيرة، وأثناء إقامته تلك اطلع على كتاب المعلم (فولنه) المترجم إلى العربية، فتبلبلت أفكاره من جهة الدين غير أنه ظل محافظاً على ما استمده من أهله^٢، غير أن ظهور وباء الطاعون سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠ م اضطرّه إلى ترك دمياط والعودة إلى دير القمر، غير أنه أصيب بحمى فأجبر على العودة إلى الدير ليمارس مهنة تجارة الأقمشة الحريرية، ويطالع الجبر والمقابلة بنفسه^٣.

المنصب الثاني له كان في سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨ م عندما انتدبه الأمير (بشير الشهابي)^٤ ليكون مديراً لحكومة أمراء راشيا وحاصبيا، فأكرموا مثواه وأنزلوه بمنزلة عظيمة، وأعطوه أراض واسعة وقرية في الحولة، وقرية في قضاء القنيطرة غير أنه أصيب بحمى فأجبر على العودة إلى دير القمر طلباً للراحة والعلاج، فخطر بباله دراسة الطب^٥، فبدأ يدرس ويطالع بنفسه لعدم وجود معهد طبي، فكان يلاحق كل طبيب يقدم إلى الديار لشدة ولعه بهذا الفن^٦.

في سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١ م جاء إبراهيم باشا بحملته إلى عكا وكان بينه وبين بشير الشهابي تحالف، فجاء الأمير لمساندته في ذلك الحصار، وقدم مشاققة برفقته وانضم إلى الجنود المصريين وكان يطيب المصابين بالهواء الأصفر، وقد لحقه من هذه الحملة العديد من الأضرار المالية^٧.

^١ مشاققة: الرسالة الموسومة بالدليل على طاعة الانجيل، د.ط، د.ت، ص ٣، وأيضاً

مشاققة: مشهد العيان،، ص ٩.

^٢ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٥٠

^٣ زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ٢، ص ١٩٧-١٩٨

^٤ بشير الشهابي: تم التعريف به ص ٢٢.

^٥ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٥١

^٦ من الأطباء الذين وجدوا في تلك الفترة رجل إيطالي يدعى جوزيف كارلياني. القساطلي: الروضة الغناء،،

ص ١٥١

^٧ دفعته تلك الأضرار إلى التطبيب بالأجرة وكان قبل ذلك يطيب بالمجان. زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ٢،

ص ١٩٩.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وفي سنة ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م قدم إلى دمشق كلوت بك^١ بإيعاز من الدولة المصرية، فنشأت بينه وبين مشاققة صداقة حميمة، دفعت كلوت إلى اصطحابه معه بمهامه الطبية^٢.

وبعد خروج الحملة المصرية من سورية تسلم منصب ترجمان لقنصل دولة الإنكليز^٣. وفي سنة ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م قدم مشاققة إلى مصر وواظب على ممارسة العمليات الجراحية في (مدرسة قصر العين)^٤، لينال شهادة الدبلوم الطبية في لقب دكتور، وبعد عودته إلى دمشق طالع العديد من كتب الفلاسفة^٥، فوقع في حالة من التردد في أمر الدين، وقادته أفكاره إلى البحث في العقائد الدينية، فطالع العديد من الكتب الجدالية بين طائفة الكاثوليك والبروتستانت، وبعد جدال طويل^٦ انتهى الأمر بانحياز طائفة البروتستانت، وصار من أكبر المدافعين عن تعاليمها تكلماً وكتابة^٧.

وقد حصل في سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م في دمشق مذبحة كبيرة أصيب خلالها بجروح وأضرار كثيرة^٨، ولولا مساعدة الأمير (عبد القادر الجزائري)^٩ ما نجا من القتل؛ ليبقى ذلك الرجل عاملاً بالطب

^١ كلوت بك: فرنساوي الجنسية، قدم إلى مصر لتطبيب الجيش الفرنسي، ولد في غرينوبل سنة ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م، من أبوين فقيرين، تعاطى مهنة الحلاقة، في سنة ١٢٣٣/١٨١٧م عين طبيباً، وأتقن اللغة اللاتينية على يد أحد القساوسة، وفي سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م، نال شهادة الدكتوراه وقدم إلى مصر. لمعرفة المزيد انظر زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ٢، ص ١١ ومايليها.

^٢ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١١ .

^٣ كان قنصل انكلترا هو وود

^٤ مدرسة قصر العين: لمعرفة المزيد انظر زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ٤، ص ١٩ ومايليها.

^٥ من تلك الكتب فولتير وآرؤه، وقرأ نوتر ونيوتن وما ألفه الأستاذ كيدن الإنكليزي، وكتاب الصحيح المبين في الرد على لوثاروس وكلوين ورسالة بطرس كرم أسقف موارنة بيروت وغيرها.

مشاققة: مشهد العيان،، ص /ومشاققة : الرسالة المرسومة الدليل على طاعة الإنجيل،، ص ١/القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٥٢.

^٦ حصل جدال بينه وبين البطريرك مكسيموس مظلوم الذي بذل جهده في رده إلى طائفته وقد وضع مشاققة كتاباً بعنوان تبرئة المتهم مما قذف به البطريرك مكسيموس مظلوم روى فيه ما حصل بينهما من مشادات وأخذ ورد

^٧ زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ٢، ص ١٩٩ / مشاققة : مشهد العيان،، ص ١١-١٢

^٨ أورده مشاققة وذكر تلك الأضرار بكتابه مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان،، ص ١٨١ وما يليها

^٩ عبد القادر الجزائري (١٢٢٢-١٣٠٠هـ / ١٨٠٧-١٨٨٣م) بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري أمير مجاهد ولد في القيتنة وتعلم في وهران، زار دمشق وبغداد، ولما دخل الفرنسيين بلاد الجزائر سنة ١٨٣٠م، بايعه الجزائريون للقيام بأمر الجهاد، من آثاره (كتاب ذكرى العاقل). الزركلي: الأعلام،، ج ٤، ص ٤٥-٤٦.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

والسياسة والفقه وسائر العلوم، حتى كانت سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م أصيب بفالج بجانبه الأيمن إلى أن توفي في تموز سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م ودفن بمقبرة أسرته (باب شرقي)^١.

ج- مؤلفاته: تنوعت ما بين الديني الجدلي والفني والتأريخي.

- مؤلفاته الدينية الجدلية:

دافع فيها بشدة عن البروتستانتية التي اعتنقها، ورد فيها على الكثيرين من الروم الأرثوذكس والكاثوليك، وتمثلت بـ:

الرسالة الموسومة الدليل على طاعة الإنجيل سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م. وهدفه الأساسي من هذا الكتاب يعود إلى: ".... بيان الغلط الذي استجد في عقائد كنيسة رومية. أولاً: لأجل أن كل عاقلٍ منصف خائف من الله يمعن النظر جيداً في براهينه التي قدمها؛ ليرى أنها كافية للإقناع.... ثانياً: لأن سيادته (يقصد مكسيموس مظلوم) لم يترك مجالاً لتقديم بقية القضايا، وطلب الجواب عليها اقتضى أن أحرر المهم فيها، وأوضح كيف يلزم أن يكون المعتقد فيها بموجب دليل الكتب المقدسة نفسها.... ثالثاً: لأجل كل من يعرفني أو يسمع عني من أبناء جنسي بأنني قد غيرت مذهبي.... يعرف السبب ليس هو غاية بل اتباع المذهب المسيحي الحقيقي طلباً لخلاص النفس الأبدي الذي يتقدم على كل حيز زمني، وقد سميت هذه الرسالة بالدليل على طاعة الإنجيل"^٢.

* جواب صديق من طائفة الروم في حمص وإقناعه سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م بصحة المذهب الإنجيلي.

* أجوبة الإنجيليين ضد أباطيل التقليديين سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥٢م

* كشف النقاب عن وجه المسيح الكذاب سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م^٣

* البراهين الأنجيلية ضد الأباطيل البابوية سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٦٣م، رداً على كتاب تعليم المجادلات الدينية ضد الأرثوذكسات البروتستانتية^٤، وقد ترجم إلى العربية سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م^٥.

* تبرئة المتهم مما قذفه البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م.

وضعه مشاققة للرد على ما كتبه مكسيموس مظلوم بحق البروتستانتية، وقد لخص محتواه بالتالي:

"... وبما أن كثيرين من الناس يرغبون الوقوف على حقيقة ما جرى في هذه السنة بيني وبين السيد

البطريرك مكسيموس مظلوم، رأيت أن أنشر ما جلبه عليّ من القذف والأذى حيث لم يترك جهداً

^١ زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ٢، ص ٢٠٠.

^٢ مشاققة: رسالة الدليل على طاعة الإنجيل،، ص ٥٦-٥٧.

^٣ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٢.

^٤ الكتاب من تأليف الراهب يوحنا شيمفاسر الجرمانى المتوفي سنة ١١٣٥هـ / ١٧٢٢م

^٥ مشاققة : البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية، بيروت، د.ط، ١٨٦٤م، ص ١

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

في كل ما يمكنه من إيصال الضرر إليّ إن كان من قطعه أسباب المعاش أو إلقائه الفتنة بيني وبين أقاربي وإخواني، وذلك ليس في تحريضاته الشفاهية فقط، بل بمناشيره الدعائية أيضاً، وكتابات الرسمية، وأوامره؛ ولذلك شرعت في تحرير هذه النشرة وسميتها بتبرئة المظلوم مما قذفه به البطريرك مكسيموس مظلوم، والله المستعان"^١

* الرسالة الموسومة بالبرهان على ضعف الإنسان رداً على تعاليم الفيلسوف (فولتير) وضع فيها البراهين على صحة الأديان، وضعف الإنسان، وعدم كمال قدرة الإنسان العقلية، والتي تؤدي في نهاية المطاف إلى الخطيئة، ويؤكد أن التمييز بين صحة الديانة وفسادها هو مما في طاقة الإنسان، والعديد من الموضوعات الأخرى التي تدور في فلك الدين والإنسان^٢

* رداً على منشور البابا (بيوس التاسع) الذي يدعو فيه البروتستانت إلى الاشتراك في (المجمع الفاتيكاني) وترك الضلال^٣.

- مؤلفاته في الفن تكمن في الرسالة الشهابية في قواعد ألحان الموسيقى العربية

يذكر أنه حضر عرساً في مدينة دمياط كانت تصدح فيه الموسيقى، فسأله أحد الحاضرين عن لحن هل يعرفه، فأجاب أنه يجهل فن الموسيقى، فقال رجل عكاري: (هذا جبلي لساه بعبله لا يفهمش)، تأثر مشاققة من هذا الكلام، وعزم أن يدرس فن الموسيقى، وفي مدة شهرين عرف أصوله وألف فيه الرسالة الشهابية^٤ نسبة إلى الأمير بشير الشهابي، وأتقن الضرب على سائر آلاته، شرح في هذه الرسالة بإسهاب تقسيم الديوان الموسيقي العربي على أربعة وعشرين رباعاً ثابتاً مدعماً شروحه بالبراهين الهندسية والحسابية^٥.

- كتبه التاريخية تمثلت بـ:

كتاب الجواب على اقتراح الأحباب دون فيه سيرة عائلة آل مشاققة، أو حوادث سوريا ولبنان، وسنستعرض بشكل مفصل هذا الكتاب من حيث المحتوى والمنهج والأسلوب.

^١ مشاققة: تبرئة المتهم مما قذفه به البطريرك مكسيموس مظلوم، بيروت، د.ط، ١٨٥٤م، ص ٤-٥.

^٢ مشاققة: رسالة البراهين على ضعف الإنسان، بيروت، د. ط، ١٨٥٣، ص ٩-٥٨.

^٣ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١٢.

^٤ مشاققة: الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية، تحقيق: إيزيس فتح الله جبراي، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٩٦م،

مقدمة المحقق ص ٤-٥، وانظر أيضاً زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ٢، ص ١٩٨.

^٥ مشاققة: الرسالة الشهابية،، ص ١٣.

- لمشاقة بعض المؤلفات التي لم تطبع منها:

- * رسالة في ترجمة حياة البطريك مكسيموس، يبين فيها كيف تصل إلى درجة الجبرية العظمى.
 - * رسالة رد على ابن الحموية واعتراضاته على مذهب الإنجيليين.
 - * التحفة المشاقية مطول في علم الحساب.^١
 - * كتاب المعين على حساب الأيام والأشهر والسنين.
- وهو مذيّل بجداول لمدة مئة سنة تحتوي على مطابقة أيام الشهور العربية والرومية والقبطية والعبرانية والهجرية، ومواقع كسوف الشمس والقمر لطول دمشق وعرضها، وغيرها^٢
- * الجواب على اقتراح الأحباب أو مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان:

الكتاب عبارة عن رواية معاصرة للفتن الطائفية في القرن التاسع عشر وخلفياتها وتداعياتها، أصدره سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م بعنوان (الجواب على اقتراح الأحباب) تلبية لطلب إخوانه بوضع تاريخ يدون فيه أخبار عائلته وما عرفه من حوادث لبنان وبقية بر الشام ومن هنا جاء العنوان^٣.

أعيدت صياغة هذا الكتاب والزيادة عليه تحت عنوان (مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان)^٤، كما تم إغناء الكتاب أيضاً بدراسة أخرى وتعليق ملحق حمل اسم (صدام الأديان والمذاهب في لبنان شهادة من الماضي ... عبرة للآتي)^٥، يغطي الكتاب حوادث قرابة قرن من الزمن قبل تولي أحمد باشا الجزار ولاية عكا ودمشق ١٧٧٥م وينتهي في سبعينيات القرن التاسع عشر.

بدأ الكتاب بمقدمة لمحقّقه^٦ الذي وضّح السبب والغاية منها

فيقول: "لما كانت العادة المتعارفة بين الفئة المنشئة وأصحاب التأليف أن يصدر المؤلف كتابه بكلمة إجمالية كمقدمة يظهر فيها الغاية التي من أجلها تحمل عناء الإنشاء ومشقة التعبير، ويبين للفئة

^١ مشاقّة: مشهد العيان،، ص ١٣.

^٢ زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ٢، ص ٢٠٠.

^٣ مشاقّة: مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان (صدام الأديان والمذاهب في لبنان)، تحقيق: لويس صليبا، دار بيبليون، د.ط، ٢٠١٢، ص ١١.

^٤ يقول أسد رستم والذي حقق هذا الكتاب أيضاً " أما كتاب مشهد العيان في تاريخ سوريا ولبنان الذي ظهر في القاهرة سنة ١٩٠٨م لمنشئيه ملحم عبده خليل وأندراوس شخاشيري فإنه بعيد عن ميخائيل مشاقّة بمفرداته وأسلوبه وترتيبه وإضافاته وحبذا لو أن اليدين المذكورين لم يثبتا في ديباجة هذا الكتاب العبارة لجامع حوادثه الدكتور ميخائيل مشاقّة" انظر مشاقّة: مشهد العيان، تحقيق: أسد، أبو شقرا،، المقدمة، ص ١١.

^٥ واضع تلك الدراسة هو لويس صليبا مشاقّة: مشهد العيان (صدام الأديان و المذاهب في لبنان) ،، ص ١١

^٦ منشئ الكتاب هما ملحم خليل عبده وحنا شخاشيري

المطالعة ما يتوخاه بكتابه من الفائدة لها والمنفعة المحضة، وأن لا مطمع له غير الإفادة وخدمة بني نوعه على الإطلاق وإظهار الحقيقة بثوبها الناصع التي لا تمسها شائبة، وإن طال على إبرازها الأمد، رأينا من الواجب الأدبي أن نراعي العادة في هذا المقام، ونحترم جانبها، وعذرنا في إنزالنا أنفسنا منزلة المؤلف هو كتابتنا الكتاب من بدايته إلى نهايته؛ لأن عبارة المؤلف غير صحيحة وجملة الكتاب غير وافية للنشر"^١

أما الغاية التي دعتنا إلى إبراز هذا التأليف فهي "..... الأولى صدق حوادثه الهائلة التي يجهلها السواد الأعظم، والتي من الواجب إذاعتها ونشرها، والثانية نكون قد نفذنا غاية واضع تلك الحوادث، واعتبرنا جرأته الأدبية التي نشعر بحاجة إلى تلبسها والاقتداء بها، فأظهرنا فضله وأحيينا ذكره"^٢

بعد تلك المقدمة تحدّث عن السيرة الذاتية لعائلة مشاققة مبتدئاً بـ (يوسف تركي يوناني)^٣ وتجارته، ومن ثم انتقله إلى طرابلس الشام، ليصل إلى جرجس مشاققة واستقراره في صيدا وتعاطي تجارة التبغ، شارحاً بالتفصيل ما تعرّض له على يد أحمد باشا الجزار من سجن ونهب للأموال، ونزوحه جراء ذلك إلى مصر عند أولاد عمّه شقائق عقيلته^٤، ومن ثم عودته إلى دير القمر والعلاقة الوثيقة بالأمير بشير الشهابي، لينتهي الحديث عن تاريخ هذه العائلة بترجمة لمؤلف الكتاب (ميخائيل مشاققة)^٥.

بعد الحديث عن أسرة مشاققة يأتي بعده الفصل الأول، حاملاً عنوان ملاحظة وتمهيد ليلخص محتوى الفصول المئة والسبعين ضمنه، فيقول "لما كان المرحوم الدكتور مشاققة مؤلف الكتاب ضمنه تاريخ عائلة مشاققة الكريمة من الجد الأول؛ أي من أواخر القرن الثامن عشر إلى سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م، ولما كانت حوادث الكتاب تشغل قرناً من بدايتها إلى نهايتها، ولم يصدر كتابه بفذلكة تاريخية تربط حوادثه بحوادث الأعصر الغابرة، وجدنا أن الحاجة ماسة إلى لمحة عن تاريخ جبل لبنان مع الإسهاب في جغرافية لبنان القديم، والحديث في أصل القبائل والأمم التي توطنته قديماً

^١ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٣.

^٢ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٤.

^٣ يوسف تركي يوناني الذي قطن بمدينة كرفو بالأرخبيل اليوناني وكانت تابعة لجمهورية البندقية، اتخذ من المشاق تجارة له لذلك لقب بيوسف مشاققة. مشاققة: مشهد العيان،، ص ٥.

^٤ هؤلاء هم ميخائيل ورفائيل وبطرس عنجوري من كبار تجار دمياط.

^٥ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٥-١٣.

وحديثاً، وما طرأ عليها من التغيرات السياسية والاجتماعية من أدبية ودينية ومدنية منذ ابتداء التاريخ إلى عصر الجد الأول لعائلة مشاقة^١.

وتتناول الفصول من الثاني إلى الثاني عشر ملخصاً عن جغرافية لبنان القديمة وسكانها الأوليين قبل الطوفان وبعده، والقبائل التي توطنته قديماً وحديثاً (آشوريون، بابليون، فرس، رومان، فالعرب المسلمون، والأتراك السلاجقة والأكراد، الأيوبيون فالصليبيون، فالمماليك الأولون والآخرون، فالأتراك الحاليون)^٢.

ويفرد الفصول من الثالث عشر حتى السابع عشر عن نوع حكومة الأتراك بسورية راوياً وضع الأقليات الدينية وما تعرضت له من ظلم وسخرية واصفاً الوضع العام للأهالي، ومظاهر الظلم والاستبداد التي مارسها الولاة بحقهم^٣، ممثلة بشخصية أحمد باشا الجزار الذي أفرد للحديث عنه من الفصل العشرين حتى الخامس والخمسين معدداً مطامحه وشروره بحق العامة، ومظالمه بحق عائلة مشاقة عارضاً حملة نابليون، دخول غزة ويافا، وحصاره عكا، وما كان من اتهام الجزار للأمير بشير بالخيانة^٤، وأمور عديدة أخرى لينتهي بوفاة الجزار^٥. ويختم القول عنه بـ "لا نريد الثناء على أعمال الجزار والأطناب بمآثره الوخيمة إنما موجز قولنا في أن الجزار عمل ما يطابق زمانه ورجال عصره"^٦.

ليفصل بعدها الوضع العام لجبل لبنان بعد وفاة الجزار، وما جرى فيما بعد من قدوم الحملة الوهابية إلى الشام ومن ثم القضاء عليها من قبل محمد علي باشا، ليتابع سرد أهم الأحداث في الجبل، وما كان من اضطهاد الأمير بشير وتركه الجبل وثورات الأهالي وانتفاضهم في وجه الظلم^٧ راوياً أعمال إبراهيم باشا^٨، وعند وصوله إلى سنة ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م يتطرق إلى الفتنة التي حصلت بين النصاري والدروز من خلال ذكر الأسباب والأحداث والنتائج^٩، ليجمع النكبات التي تتالت على لبنان، بالقول: "هكذا كانت نكبات لبنان على يد دولتهم الفخيمة التي أرادت أن تमित فيهم عزة النفس والإقدام

^١ مشاقة: مشهد العيان،، ص ١٤.

^٢ مشاقة: مشهد العيان،، ص ١٥-٢٢.

^٣ مشاقة: مشهد العيان،، ص ٢٣-٣١.

^٤ اتهمه الجزار بمساعدة نابليون وإمداده بالموءن والذخيرة في أثناء حصاره عكا مما دفع الأمير بشير إلى ترك دير القمر.

مشاقة: مشهد العيان،، ص ٦١.

^٥ مشاقة: مشهد العيان،، ص ٣٢-٦٤.

^٦ مشاقة: مشهد العيان،، ص ٦٤.

^٧ تمثلت تلك الثورات بثورة بانلوس والدمشقيين النصيرية. مشاقة: مشهد العيان،، ص ١١٣ ومايليها.

^٨ مشاقة: مشهد العيان،، ص ١٠٠-١١٦.

^٩ مشاقة: مشهد العيان،، ص ١١٧.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

المشهورين بهما، وأرادت إخضاعهم وإذلالهم وإضعافهم عن مقاومة رجالها الذين كانت ترسلهم لابتزاز مالهم، وكأنه ساءها ما شاهده من عزة النفس وحب المدافع عن حقوقهم ولم يكن التركي رحوماً فيشفق، ولا شهماً فيرد المعروف بمثله"^١

أما بالنسبة إلى مذابح ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م فيوجز مشاققة مجموعة التدابير^٢ التي اتخذت بشأن مذبح الشام مبنياً دور (الأمير عبد القادر الجزائري)^٣ ودفاعه عن النصارى وحمايتهم، وحجم الأضرار التي لحقت بعائلة المشاققة^٤، لينتهي الوضع بمنح لبنان للاستقلال بشرط أن تنصب الدولة وزيراً مسيحياً من خارج سورية بموافقة الدول عليه، وعينت مدة حكمه بخمس سنوات قابلة للتجديد وتقسيم الجبل إلى قائمقاميات ومديريات، وعينت الدولة داود باشا متصرفاً، وهو أول حاكم جاء لبنان^٥. لينهي الكتاب بوضع ترجمة لاستقلال اللبناني الحالي، متطرقاً إلى الثماني عشرة مادة التي تعد من النظم الأساسية لجبل لبنان، فيقول: "لما كنا نعتقد أن هذا الكتاب كبير الأهمية وجدنا من الضروري تعليق نظام الجبل به ليتم الفائدة التي يرمي إليها"^٦ محدداً عام انتهاء أحداث الكتاب بسنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م^٧.

بعد إيجاز لما تضمنه مشاققة في كتابه، لا بد من وجود باحث حقيقي له دفعه إلى هذا التأليف، ومؤلفنا لم يضع قارئ كتابه في موضع الحيرة بل صرح بذلك بالقول: "كان الباعث بنا إلى إنشاء ونشر هذا الكتاب تقدير رجال الفضل قدرهم، وبث الحقيقة ونشر لوائها على مرتفع الفضيلة"^٨ بالإضافة إلى رغبته في تلبية طلب إخوانه في وضع تاريخ يدوين فيه أخبار عائلته وما عرف عن حوادث لبنان وبقية أخبار بر الشام^٩.

^١ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١٦٨.

^٢ التدابير والإجراءات كتصويب المدافع على باب الجامع الأموي بحجة حماية المسلمين من هجمات النصارى والهدف الأساسي لذلك زيادة كره المسلمين لهم، وهناك أمور أخرى قام بها أحمد باشا لمعرفة المزيد انظر مشاققة: مشهد العيان،، ص ١٦٩-١٧٦.

^٣ عبد القادر الجزائري: تم التعريف به ص ١٦٦.

^٤ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١٨١-١٨٦.

^٥ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١٦٩-١٩٣.

^٦ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١٩٤.

^٧ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٢٠٠.

^٨ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٢٠٠.

^٩ مشاققة: مشهد العيان،، تحقيق رستم، أبو شقرا: المقدمة، ص ٩.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وطالما وجد سبب لا بد من أن يكون هناك هدف وغاية لهذا التأليف، فيصرح " .. أن ما دونه على صفحات كتابه من حوادث سوريا عموماً ولبنان خصوصاً لا يقصد به الحط من مقام الدولة العثمانية، ولا لإشهار ملامتها بما أوقعته على رعاياها من مسلمين ودروز ونصارى من المحن والمصائب؛ لأن كل ما فعلته كانت تعتقد به واجباً لبقاء سلطتها، وحفظ البلاد لها بدون منازع، بل لإشهار سوء تصرفها معه على تلك الطريقة -الخداع والنفاق- ولملامة ذلك الشعب الذي ساعدها على تنفيذ غايتها^١.

لم يقسم مشاققة أحداث كتابه إلى أبواب بل حوى مئة وسبعين فصلاً مع الخاتمة، كل فصل لا يتجاوز صفحة أو اثنتين لكل منها عنوان يتوسط الصفحة يلخص محتواه، كتب أحداثه بأسلوب سردي، وألفاظه سهلة وواضحة، وعباراته قصيرة؛ لكنها لا تخلو في بعض الأحيان من الركاكة، ذلك الأمر الذي دفع الكاتب إلى التوجه بالعدر إلى القارئ، فيقول: " أرجو من القارئ المعذرة عن الهفوات اللغوية والغض عن سقم العبارة"^٢ مشيراً إلى المصدر الذي استقى منه معلوماته فيلجأ إلى كتب من سبقه من ثقات القوم، بالإضافة إلى كونه شاهد عيان لمعظم أحداث كتابه، معتمداً على المجادلة والمحاورة في عرض أحداثه التاريخية، حيث يقوم بذكر السبب وتعليقه، ومن بعدها يقترح الحلول^٣.

لكن السؤال المطروح: ما هو السبب الذي جعل هذا المؤلف يفرض نفسه بين مصادر التاريخ اللبناني كمرجع لا غنى عنه للباحث والمتعمق في تاريخ لبنان في القرن التاسع عشر؟
يعود ذلك إلى:

١- كون راوي هذه الأحداث شاهد عيان لها، وليس هذا فحسب بل كان مشاركاً وفاعلاً فيها، أو في القسم الأكبر منها، وقد لحقه من الأضرار والمتاعب ما لحق عامة الشعب من جراء الحروب التي حصلت في تلك الفترة^٤.

٢- شخصية المؤلف ومكانته، فقد سمحت له وظائفه الحكومية في مقاطعتي حاصبيا وراشيا وتعيينه فيما بعد ترجماناً لقنصل الإنكليز في دمشق، وأيضاً قنصلاً لدمشق، الاطلاع على العديد من الوثائق والأسرار^٥.

٣- موضوعيته في عرض الحدث، ويتجلى ذلك بإبرازها تبعاً لأهميتها في التغييرات الحاصلة وليس وفقاً لتسلسلها الزمني، ودليل ذلك نقله لأحداث عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠ م في دمشق والجبل، فقد

^١ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٢٠٠.

^٢ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٢٠٠.

^٣ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٣٥-٣٦-٦٩ والأمثلة عديدة بالنص

^٤ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١٢٨، ١٤٦، ١٥٧، ١٨١.

^٥ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١٣٧.

تعامل مع الأطراف المتنازعة بالتساوي في النقد والذم، مشيراً إلى دور الإدارة العثمانية في إشعال فتيل الفتنة الحاصلة^١.

٤- محاولة المؤلف قدر الإمكان وضع القارئ في قلب الحدث، فيطلب منه التأمل بوضع الأهالي الذين أرهقتهم الضرائب، ويعبر عن ذلك بقوله: " تأمل كيف يدفع الشعب المسكين نفقات الحروب حتى بين الأتراك أنفسهم، وما نفع الشعب من تنصيب الوالي، وعزل ذاك من الأتراك"^٢، وقوله: "فتأمل رعاك الله، كم كانت الأهالي تتكبد من المشقات والخسائر"^٣.

٥- كون مشاققة من أوائل من ذكر مفهوم سوريا ككيان خاص، على عكس ما كان متعارف عليه حينها كبلاد الشام، فقد ذكرها مرات عدة في كتابه، كقوله: (أهل المدن في سورية، رجال سورية، السوريون)^٤.

٦- أمانته، والتي لخصها بقوله: " لقد كتبت ما أنا متأكد من صحته فقط بلا مبالغة، أما ما لست متأكداً منه فلقد ذكرته؛ ولكن صحته على ذمة المخبر"^٥.

٧- تقديم الكتاب أوضح الصور عن الحالة الاجتماعية للأهالي، وما تعرضوا له من الظلم والاستبداد من قبل الحكام، ليس هذا فحسب بل سعيهم إلى نشر الجهل ومحاربة العلم، فيقول: "كان همهم (يقصد الحكام الأتراك) ابتزاز مال الرعية وتعزيز الهمجية ومحاربة العلم واستئصال شأفته حتى كنت لا ترى في سورية واحداً من مئة يحسن مبادئ القراءة، فما قولك بالعلوم الأخرى، وكأن كلاً منهم دأبه جمع المال، والتنعم بالملذات وإتيان المحرمات ... فكانت الدولة لا يهملها من أمور الرعية شيء شقيت أم سعدت إذا كنت تدفع المال المطلوب لها، فاستبد الحكام وعظم شرهم وكبر أمرهم"^٦.....

٨- ليس ذلك فحسب بل قدم صورة تفصيلية عن تركيبة المجتمع وطوائفه في جبل لبنان، مصوراً المظالم التي عانتها الأقليات الطائفية، وهي عديدة في هذا الكتاب، ويتمكن القارئ من خلال الاطلاع على منشور درويش بك بحق هذه الطائفة من تكوين فكرة عن الوضع العام لتلك الطوائف^٧.

^١ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١٥٧ وما يليها.

^٢ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٩٠.

^٣ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٣٤-٣٥.

^٤ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٢٣، ١٣٧، ١٣٨.

^٥ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١٢.

^٦ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٢٣.

^٧ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٢٨ و انظر أيضاً ص ٣١، ٥٩.

٩- أمدنا بفكرة عن أهم التقسيمات الإدارية للحكومة السورية في عصر حوادث الكتاب، التي قسمت إلى أليات^١ لكل منها وال مستقل ومجلس شورى، يتجلى ذلك بقوله: "ومما يجدر بنا ذكره هو إيداع كتابنا لمحة إجمالية عن نوع حكومة الأتراك بسورية بعصر حوادث هذا الكتاب؛ ليحيط القارئ علماً، ويعلم ما كانت حالة الحكومة القانونية والمالية، وكيف كانت تضبط أمور الدولة بذلك العصر"^٢.

١٠- احتوى الكتاب العديد من العرض حالات (الوثائق) التي أرسلت إلى الأستانة، والتي تعد من المصادر المهمة لمعرفة أسباب المذابح والفتن التي حصلت في جبل لبنان ودمشق^٣.
يتلخص أسلوبه في عرض الشخصيات بما يلي:

- * لم يعر اهتماماً زائداً بذكر تاريخ ميلاد تراجمه ووفاتهم، بل اهتم بالتعريف باسم الشخصية، وتعداد بعض صفاتها، وأهم ما جرى في عهدها من أحداث.
- * مال إلى الاختصار والإيجاز أثناء العرض، يوضح ذلك قوله عن إبراهيم باشا: "لا نسترسل في تفاصيل ما حدث لإبراهيم باشا بل نأتي بالإلماع الموجز لما اعترضه"^٤.
- * ولم يقف موقف الراوي فحسب للحدث وللشخصية، بل يبدي إعجابه في بعض الأحيان، وأحياناً يلجأ إلى نقد الأفعال والأحداث، وبعدها يقدم الحلول، وقد ينتزق للأمرين معاً في وقت واحد.
- مثال ذلك وصفه للأمير بشير الشهابي بقوله: "..... كان شجاعاً مقداماً وقائداً محنكاً وسياسياً داهية خدم الجزار بكل أمانة ونشاط وخدم خلفه وحفيده مثله"، يتحول بعدها إلى نقده فيقول: "لم يخدم وطنه خدمة تذكر" ويقدم اقتراحاً فيقول: ".... لو صرف قواه في منفعة وطنه وتعزيز مقامه لحفظ الاستقلال وتغلب بما فيه من القوة الفطرية على أخصامه لو فعل كل ذلك لكنا شاهدنا له من سلالته حاكماً على ربوع سوريا ولبنان"^٥.
- * يغلب على أسلوبه طابع العامية، وهي اللغة الجارية في ذلك العصر، مستشهداً بالأمثال الشعبية المتداولة، منها: "مما زاد الطين بلة والطنبور نعمة"^٦.

تمثلت مصادره في الكتابة ب:

^١ أليات: مفردا ألية اصطلاح إداري في العصر العثماني قبل إلغاء الإنكشارية يقصد به الولاية. مصطفى عبد الكريم:

معجم المصطلحات،، ص ٥٧-٥٨.

^٢ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٢٢.

^٣ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١٣٨، وما يليها، ١٦٥، ١٦٦ وهناك العديد منها

^٤ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١٠٩.

^٥ مشاققة: مشهد العيان،، ص ١٣٣ مثال آخر ص ٣٥، ٣٦، ٦٤، ٦٨، ٩٩، ١٤٢، ١٤٥

^٦ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٧٧.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

١- مشاهدته الخاصة للحدث كونه شاهد عيان، ومشارك لها فتكثر عبارة: ((ما قلناه، عرفنا منه، سمعته مراراً)).

٢- مؤلفات من سبقه من المؤرخين الثقات، فيقول: "إن ما كتبه تحقق منه بنفسه والبعض من الحوادث أخذتها من ثقات القوم"،^٢ ويتلخص أسلوبه بذكر اسم الكتاب دون التطرق إلى ذكر اسم المؤلف فيقول: "حسر اللثام عن نكبات الشام".^٣

ومن خلال هذا الكتاب تم التعرف على منهج وأسلوب أحد أعلام التاريخ والطب والرياضيات والفلك والموسيقى، الذي قضى أيامه بين تحرير وتحريير ومجادلة ومباحثة وتأليف.

ثانياً: نماذج عن المصنفات التاريخية المحلية:

١- يوسف الدبس (١٢٤٩-١٣٢٥ هـ / ١٨٣٣-١٩٠٧ م):

أ. حياته:

هو يوسف بن إلياس بن يوحنا الدبس اللبناني الماروني^٤، أصل عائلته من غزير بلبنان، انتقل جده في القرن الثامن عشر إلى كيفا ثم استقر أبوه في كفر زيتا في زاوية طرابلس، وفي تلك القرية ولد الدبس، وتلقى مبادئ العلم الأولى في مدارسها، وعند بلوغه الرابعة عشرة من العمر اكتشفه رئيس أساقفة طرابلس^٥، فأرسله في سنة ١٢٥٤ هـ / ١٨٤٧ م إلى مدرسة عين ورقة^٦ فتلقى فيها اللغات العربية والسريانية واللاتينية والإيطالية والمنطق واللاهوت في مدة أقصر مما تقدره له المدرسة، غير أنه لم يمكث فيها سوى ثلاث سنوات، فاضطر هو ورفاقه إلى تركها لأسباب داخلية في سنة ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠ م، ليكمل الدبس ما ينقصه من العلم بالاعتماد على نفسه. افتتح في سنة ١٨٥١ م مدرسة لتعليم اللغة العربية، وفي أوقات الفراغ عكف على المطالعة والدراسة^٧.

ب. مناصبه:

تسلم الدبس العديد من المناصب أولها، عام ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م عين من قبل البطريرك بولس مسعد معلماً في مدرسة مار يوحنا مارون، ومن ثم عين شماساً ليرتقي بعدها في رتب الكهنوت ليصل

^١ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٢٢، ٦٤، ١٣٠.

^٢ مشاققة: مشهد العيان،، ص ٢٠٠.

^٣ كتاب حسر اللثام عن نكبات الشام لمؤرخ مجهول الهوية لكن بعضهم نسبته إلى القساطلي عدّ إلى ص ١٩٦.

^٤ كحالة: معجم المؤلفين،، ج ٤، ص ١٤٦.

^٥ اكتشفه رئيس أساقفة طرابلس إلياس كساب.

^٦ عين ورقة: لمعرفة المزيد عنها انظر الدبس: الجامع المفضل،، ج ٩، ص ٤٨٧.

^٧ زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ٢، ص ٢٨٧.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

في سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠ م إلى أمانة سر البطريك (بولس مسعد) فيقول الدبس عن نفسه: "كنت فيها كاتبه، وأمين أسرار، وملازماً له في أشغاله فعرفته حق المعرفة وسبرت فضائله العميقة"^١. واستمر في هذا المنصب حتى سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢ م ليترقى إلى درجة الأسقفية

ويستلم رئيس أساقفة الطائفة المارونية لترتقي هذه الطائفة في عهده، وتجتمع كلمتها، ومما زاد في رفعتها أنه لم يكن يطعن طاعن في المارونية إلا وانبرى للدفاع عنها^٢.

ج. رحلاته:

رحل إلى أوروبا خمس مرات زار بها روما، أولها سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦ م وكانت إطاعة لأمر قداسة البابا لاون الثالث عشر. كما رحل إلى الأستانة، وقد كانت زيارته تلك في سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧ م، وقد ذكرت جريدة ثمرات الفنون في عددها المؤرخ للتاريخ المذكور نفسه، سبب تلك الزيارة فتقول: "وردت رسالة برقية من رومية تعلن أن حضرة المطران يوسف أفندي الدبس رئيس أساقفة الطائفة المارونية في بيروت توجه من رومية قاصداً دار السعادة العلية ... وعلمنا أن مقصد حضرته لأجل التشرف بالمثل لدى الحضرة العلية الشاهانية وأداء فروض العبودية للدولة العلية قياماً بواجبات التابعة العثمانية ... إلخ"^٣.

د. مؤلفاته:

تنوعت مؤلفات الدبس ما بين مدرسية ومهنية وطقسية دينية وتاريخية وجدلية بالإضافة إلى تعريبه العديد من الكتب.

- الكتب الجدلية تمثلت بـ

كتاب (روح الردود) طبع في سنة ١٢٨٨هـ / ١٨٧١ م في تفنيد زعم الخوري يوسف داود^٤، دافع فيه الدبس عن صحة عقيدة الموارنة الكاثوليكية، وقد رد الخوري يوسف داود على الردود للدبس بمؤلف

^١ الدبس: الجامع المفضل،، ج ٩، ص ٤٧١.

^٢ زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ٢، ص ٢٨٧-٢٨٨.

^٣ البستاني: ربحانة الأنس،، ص ٢٩٣.

^٤ الخوري يوسف داود: ولد في ٢ تشرين سنة ١٨٢٩ م في بلدة العمادية في كردستان عند بلوغه الخامسة من العمر أدخله والده مدرسة السريان الكاثوليك ليتلقى فيها اللغتين العربية والسريانية، في سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠ م تردد على المدرسة التي أنشأها الفرنسي (بوري) فقرأ شيئاً من النحو والصرف، ليتلقى فيما بعد مبادئ اللغة الإيطالية على يد الآباء المرسلين الدومنيكين ليسافر عام ١٢٦١هـ / ١٨٤٥ م إلى روما ومنها توجه إلى مدينة غزير اللبنانية ودرس مبادئ اللغة اللاتينية ليعود عام ١٢٦٢هـ / ١٨٤٦ م إلى روما ليكمل علمه. له العديد من المؤلفات بالإضافة إلى كتابه السابق الحجج الراهنة نذكر (اللمعة الشهابية في نحو اللغة السريانية مع الشرح العربي)، (التمرنة في الأصول النحوية) وغيرها.

ضخم عنوانه: (جامع الحجج الراهنة في إبطال دعوى الموارنة)، تدخلت روما في هذا الجدل الجديد، فدون داود صك اعتذار واستغفار تجاه الدبس وبطريك الطائفة وأساقفتها. وفي سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م انعقد مؤتمر في رومة، فوزع المطران يوسف، بالفرنسية-الحجة القاطعة الجلية على من ينكر ثبوت الموارنة في العقيدة الكاثوليكية-ثم طبع الكتاب إلى العربية، فجاء في ٩٣ صفحة تختصر روح الردود^١.

- الكتب الطقسية أهمها:

* مجموعة الخطب والمواعظ، والتي اختصر الدبس مضمونها بقوله: "ومثلت فيه وأطرفت من ود الهدى بمواعظ غدا في قلوب الناس منزلها رحباً" يقسم هذا الكتاب إلى قسمين:
الأول: فيه مجموعة خطب ومواعظ أُلقيت يوم عيد القديس يوحنا^٢، والثاني: بدأ بموعظة في علامات الكنيسة والحبر الأعظم، تبعها خطب عدة أُلقيت بمناسبة الأعياد لعيد القديس مار يوسف، وعيد بشارة وغيرها^٣.

* وكتاب الخطب البيعية شرح فيها أصل فروض البيعة عند الموارنة ومؤلفيه رجوعاً إلى الآباء الأولين، طبع عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م في ٨٧ صفحة.

* ورتب توزيع الأسرار. يتألف من ٢٦٥ صفحة طبع في روما ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م^٤

* كتاب القربان حسب طقس الكنيسة الأنطاكية المارونية وعنوان الكتاب في السريانية (كتوبو دقور بونو) أي كتاب القداس، طبع سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م. جاءت المقدمة تبحث في طبعات كتاب القداس، وفصول الإنجيل الملحق بالكتاب، ثم إرشاد الكاهن فيما يلزم معرفته حين التقديس، ثم جاء بعدها المنارة؛ أي شرح رتبة القداس كما ضبطها الآباء المرسلون اللبنانيون، وزاد عليه في آخر الكتاب صلوات جميلة للاستعداد والشكر قبل القداس وبعده، ثم تبريكات مختلفة، وفهرست الأعياد السنوية وتقويمها يمتد من سنة ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م إلى سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م. طبع هذا الكتاب في المطبعة العمومية المارونية في بيروت سنة ١٨٠٧هـ / ١٨٨٩م. كما أعاد النظر في

أقليس يوسف داود: القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة، جمعه: فيليب طرازي، مجلس معارف ولاية بيروت، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩١م، ص ٥-٦-٧-٣٤-٤٤.

^١ الدبس: الجامع المفضل،، تحقيق: حايك (ميشال)، دار لحد خاطر، د.م، ط ٤، ١٩٨٧م، ج ٩، المقدمة، ص ٢٠-٢١.

^٢ الدبس: مواعظ سيادة المطران يوسف الدبس، المطبعة العمومية، بيروت، ١٨٤٧م، ج ١، ص ٢-٢٥/البستاني: ريحانة الأنس،، ص ٢٩٣.

^٣ الدبس: مواعظ سيادة المطران،، ج ٢، ص ١-١٨٢.

^٤ الدبس: الجامع المفضل، تحقيق: حايك،، المقدمة، ص ٢٤-٢٥.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

نص القراءات الإنجيلية فأصلح أغلاطه رجوعاً إلى الأصل السرياني، أما كتاب النافور اليومي طبع سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨ م في ٧٥ صفحة من كتاب القديس الإلهي.

* كتاب الصلاة الفرضية الأسبوعية سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠ م بدأه بمقدمة طويلة، وهي عبارة عن نبذة تاريخية في الفروض البيعية، شرح فيها أصل الفرض البيعي حتى القرن الثامن عشر.

* تراجم القديسين هي إعادة النظر في السنكار (أو أعمال القديسين) الذي رتبته وأصلحه المطران جرمانوس فرحات، فاستقدم مؤلفات الآباء البولنديين الشهيرين المختصين بتتقية أخبار القديسين مما علق بها من القصص والأساطير^١.

هـ-تراجمه تمثلت في:

- أول تراجمه سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣ م كتاب عن الإيطالية عنوانه تاريخ الهرطقة مع دحضها^٢، طبع في مطبعة طاميش، وقيل عن ترجمته لهذا الكتاب:

وترجمت دحض الهرطقات وجاء أن تمزق في الدنيا عن البدع الحجاب^٣

- نقل الرسوم الفلسفية عن اللاتينية خدمة لطلابه، فاحتوى هذا الكتاب علم المنطق والإنسان، واللاهوت الطبيعي وعلم النفس وعلم العالم وعلم الآداب. انتهى من ترجمته سنة ١٨٥٧ م، عن طبعته الرابعة وهي الرومانية الثانية المهدبة من المؤلف والموضحة فيه بزيادات جديدة^٤.

- مختصر المقالات اللاهوتية، ترجم عن اللاتينية وجاء الكتاب في أربعة أجزاء، ترجم منها الدبس ثلاثة أجزاء، طبعت سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧ م، أما القسم الرابع فلم يترجم وهو يحتوي على مقالات عدة، وكل واحدة منها تتضمن مجموعة اعتراضات وردود^٥ وأيضاً كتاب اللاهوت النظري والرسوم القانونية لم يطبع وقد قيل فيه:

أنك في علم الكلام مترجم ثلاثة أسفار بها تحسن الفقه^٦

- كتاب تحفة الجيل في تفسير الأناجيل: جمعه من تفاسير عدد من العلماء الأفاضل^٧ مترجماً من اللاتينية إلى العربية، شرح الدبس كل أنجيل على حدة دون أن يمزج بينهم كما اعتاد الكثير من

^١ الدبس: الجامع المفضل،، المقدمة، ص ٢٤-٢٥-٢٦/زيدان: تراجم مشاهير الشرق،، ج ٢، ص ٢٩٨-٢٩٠.

^٢ الكتاب تأليف القديس ألفونس ليغوري.

^٣ البستاني: ربحانة الأنس،، ص ٢٩٣.

^٤ لويس دموفسكي: الرسوم الفلسفية، ترجمة: الدبس، المطبعة العمومية، بيروت، ص ٢-١٤٤.

^٥ يوحنا الماروني: مختصر المقالات اللاهوتية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٧٧ م، ص ١-٥١٢.

^٦ البستاني: ربحانة الأنس،، ص ٢٩٣.

^٧ من هؤلاء كرنيليوس الحجري، ويوحنا ملدوناتوس، يعقوب تيريني اليسوعيين

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

الشرح، كان النجاز من تبييضه في الثامن والعشرين من نيسان عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م^١، يقول شيخو: "إن الدبس طبع قسم من هذا الكتاب في مطبعة أهدن لكنه لم ينجز طبعه، ولم يذكر سنة الطبع"^٢، إنما ذكرها البستاني فيقول: "طبع هذا الكتاب في المطبعة العمومية سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م مشتملاً على ألف وخمس وعشرين صفحة"^٣

و. الكتب المدرسية:

١. كتاب مغني المعلم عن معلم في مبادئ النحو والتصريف مع ثلاثة ملاحق: الأول يحتوي على أسئلة وأجوبة في القواعد، والثاني والثالث تمارين تدريجية مصلحة لممارسة اللغة. طبع سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م ثم سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م وسنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م، وقد استعمله كثير من المدارس "لسهولة مأخذه وحسن نظامه"^(٤).

- معجم في العلوم الفقهية جمع فيه الآراء المعول عليها والتي بها يفتي ولم يزل غير مطبوع، وقد قيل فيه:

وألقت قاموساً عن الفقه إنما غدا كل ذي علم لإظهاره صبا^٥

- مربي الكبار ومرقي الصغار: وهي دروس تربوية ألفها مدة أقامته في البطيركية، وفيها منتخبات من أقوال وأمثال الفلاسفة قصد بها تعليم الأحداث القراءة وتربيتهم وتذكير الكبار بواجبات الإنسان نحو ربه ونفسه وقريبه^٦.

ز. الكتب التاريخية:

- سفر الأخبار في سفر الأحبار:

وهي عبارة عن وصف لرحلته مع حاشية البطيريك إلى روما وباريس والأستانة. يتألف من اثني عشر فصلاً، تضمن الفصل السابع ثلاثة أقسام، أما العاشر فحوى جزعين، الأول تحدث عن زيارة غبطته للقسطنطينية، والثاني يشتمل على نبذة تاريخية في القسطنطينية وملوكها^٧ مع مقدمة وخاتمة.

^١ الدبس: تحفة الجيل في تفسير الأنجيل، نشره: بولس الفعالي، سلسلة تراث الأجداد، منشورات المكتبة البوليسية، جونية، أربعة أجزاء، ط١، ٢٠٠٩م، ج١، ص٧ ومايليها.

^٢ شيخو: تاريخ فن الطباعة، المشرق،، ١٩٠١م، ص٤٧٤.

^٣ البستاني: دائرة المعارف الإسلامية،، المجلد السابع، ص٦٢٥.

^٤ الدبس: الجامع المفضل،، ج٩، المقدمة، ص١٩.

^٥ البستاني: ربحانة الأنس،، ص٢٩٣.

^٦ الدبس: الجامع المفضل،، ج٩، المقدمة، ص١٩.

^٧ الدبس: سفر الأخبار في سفر الأحبار، المطبعة العمومية، بيروت، ١٨٦٨م، ص٣٣٢-٣٥٣.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

صرح في المقدمة بالسبب الدافع لكتابه هذا، فقال "الحمد لله الذي جعل بالأسفار إسفاراً لأنوار الإيمان، وأسفاراً للفوائد والتبيان، أما بعد فيقول العبد الفقير إلى عفو ربه الخوري يوسف الدبس الماروني اللبناني أني لما كنت من المشرفين بخدمة غبطة الجهبد العلامة والحبر الفهامة، بولس بطرس مسعد بطريرك أنطاكية وسائر المشرق على الطائفة المارونية وشاء السفر إلى المدينة العظمى، ومركز الدين القويم الأسمى، قد دعاني إلى خدماته بهذا السفر المسعود فلّبيت دعوته بطوعي الامتثال ومزيد المسرة لاغتنامي بذلك زيارة ضريحي الرسولين المعظمين والأعتاب الرسولية وتقديمي بما أنا فيه راغبٌ وله طالب من المعارف والعلوم... قد رغبت في أن أدون أخبار هذا السفر تخليداً لذكرها وإفادة لأبناء الوطن بأمور روحية وأدبية وعلمية"^١. وقد صرح في خاتمة كتابه هذا بنيته في تأليف كتابه الذي اشتهر في ما بعد باسم تاريخ سورية، فيقول: "إني أعلم أنّ كثيراً من بني وطني يبتغون مني نبذة تاريخية في سوريا ولبنان، كنبذ تواريخ رومة وفرنسة والقسطنطينية، فاعترف بأن ذلك كان واجباً ولكن تأخري عنه لرغبتني في تأليف كتاب ينطوي على ذكر أصل سكانها ونحلهم والولايات التي خضعوا لها وقاموس تاريخي لمدنها وولاتها ومشاهيرها وعلمائها ومعتبريها حتى هذا العصر، وهذا يقتضي زماناً مديداً وأني عازم أن أشتغل بهذا التأليف بمقدار ما يسر الله لقدرتي القاصرة لأنني أراه مهماً جداً في إفادة بني وطني"^٢.

- تاريخ سوريا الديني والدنيوي:

صفة الكتاب:

كتاب جامع لتاريخ سورية الدنيوي والديني منذ بدء الخليقة حتى زمن المؤرخ، مبتدأ بشعوبها القديمة من بابليين وحثيين وفينيقيين وعبرانيين، رابطاً إياه بتاريخ الخلاص البشري وولادة السيد المسيح وبداية العهد الجديد، واصفاً أخبار سورية في عهد الإسكندر وخلفائه حتى زمن الرومان وصولاً إلى أيام الخلفاء الراشدين والأمويين، لينتهي كتابه بأهم سلاطين آل عثمان ذاكراً أهم أعيانها وفضائلها وأخبارها وما ورد على لسان شعرائها من أشعار.

الخطة العامة للكتاب:

صنف الدبس كتابه في عشرة مجلدات موجودة كلها ومدققة طبعت في المطبعة العمومية في بيروت سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣ م^٣. يقدم المؤرخ أوصافاً ومعلومات طبوغرافية عن سورية (سبب تسميتها، تخومها، جبالها وأشهر مدنها القديمة)، بالإضافة إلى العديد من الأخبار عن الحياة الدنيوية،

^١ الدبس: سفر الأخبار،، ص ٢.

^٢ الدبس: سفر الأخبار،، ص ٤٠٤.

^٣ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ١٥.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وذلك بذكر (تراجم رجالها من خلفاء وملوك وفقهاء وشعراء)، وأخرى دينية عن طريق تبيان أسماء أهم البطارقة والأساقفة .

أهم ما احتوته الأجزاء العشرة من الكتاب يتلخص بـ:

الجزء الأول وفيه ثلاث مقالات الأولى: افتتاحية، وأخرى عن الحثيين والفينيقيين، أفرد مقالته الافتتاحية للتعريف بما يلي: "تتضمن هذه المقالة أولاً على لمحة جغرافية في سورية، ثانياً: على الكلام في الخطوط المصرية المعروفة بالهيروغليفية (أي الكتابة المقدسة)، ثم في الخطوط الآشورية المعروفة بالمسمارية،^١ وفي من اهتدى إلى مغزى هذه الرموز، وفتح هذه الكنوز للاعتماد عليها في تاريخ سورية القديمة^٢ كلما تيسر لنا، ونستعين بها على إثبات الحقائق التاريخية، ثالثاً: في خلق العالم وآدم وحواء وموقع الفردوس، رابعاً: في الآباء الأولين إلى نوح^٣، خامساً: في الطوفان، سادساً: في أبناء نوح أصول سكان العالم، سابعاً: في تفرقهم في المعمورة، وثامناً: في تشييد الصرح العظيم في بابل وبلبله أسنتهم، واللغة الأولى^٤ وأصول اللغات المعروفة الآن، تاسعاً: لمحة في الكتابة ومن أوجد الكتابة بالحروف^٥، ثم نتخطى الكلام في شعوب سورية الأوليين. ثم نتبع هذه المقالة بثلاث مقالات أخرى نتكلم فيها على أشهر قبائل سورية القديمة، ونذكر سائرهم ضمناً موصلين تاريخنا في هذا المجلد إلى أيام إسكندر الكبير"^٦.

بعد هذا الموجز الذي لخص فيه الدبس أهم ما أورده في مقالته الافتتاحية، يعود إلى تباين نهجه المتبع في هذه المقالة وما يليها، فيقول: "... وقد جزأنا هذه المقالة وما يليها إلى فصول، والفصول إلى أعداد رغبة في زيادة التفصيل، تيسيراً لوجدان المعاني المطلوبة"^٧.

^١ المسمارية: سميت بالمسمارية لأن هيئة حروفها أشبه بمسمار أو زاوية ومن تلك المسمامير ما هو عرضي وما هو عمودي (مفرداً أو مكرراً). الدبس: تاريخ سورية ،، ج١، ص٣٦.

^٢ كان أسبقية الكشف لشاب فرنسي يسمى يوحنا فرنسيس شامبوليون ولد في فيجال سنة ١٧٩٠ م وتوفي سنة ١٨٣٢ وهو الذي فك رموز الحجر الرشيدي الذي وجده العلماء الذين صحبوا نابليون أثناء حملته على مصر. الدبس: تاريخ سورية،، ج١، ص٣٤.

^٣ وضع الدبس جدولاً ذكر فيه أسماء الآباء الأولين قبل الطوفان. الدبس: تاريخ سورية،، ج١، ص٨١.

^٤ ذكر الدبس اختلاف المؤرخين بشأن اللغة الأولى مشيراً إلى مصدرين لمعرفة المزيد عن هذه اللغة والخلافات قولها وهذان المصدران هما ما كتبه أوريجانوس في مقالة ١١ في سفر العدد وكتاب مدينة الله للقديس أوغوستينوس الفصل ١٦ .

^٥ أجمع القدماء على أن الفينيقيين أول من أوجد الكتابة بالحروف. الدبس: تاريخ سورية،، ج١، ص١٥٠.

^٦ الدبس: تاريخ سورية،، ج١، ص٢٣.

^٧ الدبس: تاريخ سورية،، ج١، ص٢٣.

المقالة الثانية في سكان شمال سورية الحثيين أصلهم، وموطنهم، وما ظهر عن تاريخهم في الكتاب المقدس ذاكراً جميع الآيات المقدسة التي ورد فيها ذكر الحثيين مبيناً ما تتور بالاكتشاف عن هذه الآيات الغامضة^١، فقد أكد الدبس أن "... ما جاء في الكتاب المقدس عن تاريخ الحثيين قليل غير واف، لأن غرض كتبة الأسفار المقدسة ديني وروحي لم يتخطّ تاريخ شعب الله إلا في ما كان له علاقة بهذا التاريخ المقدس، وقد قلت علائق (علاقات) اليهود في الحثيين ولم يذكر المؤرخون القدماء من تاريخهم إلا نزريراً يسيراً، ولم تكن الآثار المصرية إلا طلاس خفيت رموزها؛ لذلك كان تاريخ الحثيين مبيناً مدفوناً قد انبعث من أمد قريب، فهو حديث النشأة وقد أخذ يشب وينمو ويتقدم سنة فسنة بل شهراً فشهرًا، وما برح الأمل معقوداً ببلوغه الكمال"^٢.

لم يكتف بذلك بل عرض ما عرف عن تاريخهم في الآثار المصرية والآشورية، وآثارهم هم أنفسهم بالرغم من وصفها بأنها بكماء، لم توضح إلى اليوم ما كتب فوقها،^٣ ليقوم بذكر جالياتهم وارتحالهم من سورية الشمالية إلى آسيا الصغرى وبلاد اليونان وغيرها، ليختم مقالته بملوك مصر الرعاة الذي يرجح أن أصلهم منهم فيقول: (من هم، ومن أين أتوا إلى مصر، ومن أية قبيلة هم وأقوال العلماء في أصلهم، أهم أعمالهم وحروبهم وما اكتشف من آثارهم معاوناً على فهم آيات الكتاب استتيزار يوسف في مصر، وحصول المجاعة وتعيين مدة سني عبودية بني إسرائيل فيها^٤).

المقالة الثالثة في سكان وسط سورية الفينيقيين مخصصاً أول فصل للكنعانيين، أصلهم وارتحالهم سورية، وذلك يعود حسب ما أورده الدبس إلى "لما كان الفينيقيون فصيلة من قبيلة الكنعانيين استلزم مساق هذا التاريخ وبيانه أن نأتي أولاً على كلام موجز في الكنعانيين نجعله تمهيداً لكلامنا المخصوص بالفينيقيين"^٥.

ومن ثم يتطرق للفينيقيين (اسم فينيقية، تخومها، وأشهر مدنها)^٦ أصلهم ورجالاتهم وعلاقاتهم مع جيرانهم^٧، وتجارتهم التي انبسطت في الآفاق^٨، وحروف كتابتهم، وأهم مصنوعاتهم ومعبوداتهم وهياكلهم ومدافنهم، وما جاء في نبوءات الأنبياء عنهم^٩.

^١ انظر الآية التي وردت في سفر يشوع بن نون (فصل ١ عد ٣) والتي عدت الكتاب على مفسريه وما عرضه الدبس من آراء المفسرين حولها. الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ١٥٦.

^٢ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ١٦١.

^٣ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ١٦٥.

^٤ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ٢١٩ وما يليها.

^٥ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ٢٤٢. لمعرفة المزيد عن الكنعانيين انظر ص ٢٤٢-٢٤٩.

^٦ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ٢٤٩-٢٥٤.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

أما المقالة الرابعة لسكان جنوب سورية أي فلسطين (العبرانيين)، والحديث عنهم كان محتوى الجزء الثاني لتاريخ سورية الديني والدنيوي.

وضع الدبس تمهيداً بسيطاً عرف فيه بمحتوى هذا الجزء مبيناً أهم مصادره، فيقول: "قد تكلمنا في مقالتنا الافتتاحية على خلق العالم والإنسان الأول، وعلى الآباء الأولين حتى نوح، متبعين في ذلك مساق كلام الكتاب في الفصول العشرة الأولى، والفصل الحادي عشر من سفر التكوين، حتى مولد إبراهيم الخليل^٤. ثم أعقبنا ذلك بمقالتين في الحثيين والفينيقيين أشهر القبائل التي توطنت في شمالي سورية ووسطها. وبقي علينا أن نتكلم في أشهر القبائل التي توطنت في جنوبها، وهي قبيلة العبرانيين؛ أي: بني إسرائيل، مستضيئين بنبراس أصح تاريخ وأقدسه وأقدمه وأكمله وهو أسفار العهد القديم المقدسة"^٥.

ليصرح فيما بعد بغرضه الأساسي فيقول: "فإن جل الغرض من كلامها في الفصل الحادي عشر من سفر التكوين فصاعداً بيان تاريخ بني إسرائيل وما افترضه الله عليهم وأرشدهم إليه بمناجاته ولسان أنبيائه، ونستعين لإدراك شأونا بما اكتشف من الآثار القديمة، وما استوى في حطام قدماء المؤرخين، وما جاء في كتب ثقافت من العلماء المفسرين"^٦.

ابتدأ المؤلف بإبراهيم الخليل، فيقول: "ولما كان إبراهيم الخليل أصل هذه القبيلة، وقد ظعن بأسرته من بلاد الكلدان إلى سورية تعين علينا أن نستهل كلامنا بذكره"^٧.

فتحدث عن نسبه، وعصره، وأهم الأحداث التي جرت في عهده وأولاده من بعده^٨، شارحاً التفاصيل التي وردت في أسفار التوراة من تواريخ ونبوءات^٩، مشيراً إلى علاقات العبرانيين بجيرانهم من كنعانيين^{١٠}، ومصريين^{١١}، عارضاً فترة الأنبياء الكبار والصغار، معرباً بالأنبياء والنبوة شارحاً أنواعها مفصلاً في أعمالهم ودرهم في التاريخ العبري^{١٢}.

^١ أوجز الدبس علاقتهم مع المصريين والكلدان والآشوريين والفرس، ومع ملوك يهوذا وإسرائيل. الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ٢٧١-٣٠٧.

^٢ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ٣٠٨.

^٣ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ٣١٩-٣٤٤.

^٤ إبراهيم الخليل: لمعرفة المزيد عنه أنظر الدبس: تاريخ سورية،، ج ٢، ص ١٧.

^٥ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٢، ص ١٧.

^٦ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٢، ص ١٧.

^٧ الدبس: تاريخ سورية،، ص ١٧ وما يليها.

^٨ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٢، ص ١٨-٨٣.

^٩ وهي كثيرة نذكر منها ما ورد حول منشأ إبراهيم الخليل ج ٢، ص ٢٢ وما يليها. مثال آخر ص ٩٨، ص ١٦٥.

^{١٠} الدبس: تاريخ سورية،، ج ٢، ص ١٩٨ وما يليها.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

يتابع المؤرخ تسلسله للأحداث فيتطرق في الجزء الثالث من كتابه تاريخ سورية لأيام الإسكندر وخلفائه والقيصرة الرومانيين حتى أواخر القرن الثاني للميلاد، فيقول: "... كانت خاتمة كلامنا في الجزء الأول خبر انقراض دولة الفرس، وتقلص ظل سطوتها على سورية. وألحقنا بذلك تراجم الأنبياء، فتحتم علينا أن نستتبع كلامنا بأخبار سورية على عهد إسكندر الكبير وخلفائه إلى أن تملصت من أيدي دولتهم، وخلفهم فيها الرومانيون إلى أن استحوذ عليها الخلفاء المسلمون قبل منتصف القرن السابع للميلاد".^٣ ومقسماً إياه إلى مقاليتين الأولى في تاريخ سورية في عهد الإسكندر وخلفائه، (مولده، ونشأته وأهم أعماله، وحروبه، ووفاته)^٤، والثانية في القياصرة الرومانيين، وهذه المقالة تألفت من بابين كل باب تضمن قسمين الأول أوجز فيه تاريخ سورية الدنيوي في القرن الأول والثاني، وفيه فصول عدة والثاني في تاريخها الديني للقرون ذاتها وبه فصول عدة أيضاً.

تم التعريف بالتاريخ الدنيوي للملوك الرومانيين^٦ في القرن الأول والثاني من خلال ذكر أهم الأحداث التي جرت في سورية في عهد كل ملك^٧.

أما التاريخ الديني فانطلق الدبس فيه من ولادة المسيح^٨، وأعماله مع التركيز على دور العذراء (مريم) في تاريخ الخلاص البشري مع شرح أعمال الرسل متبعاً خطي (بطرس وبولس الرسول)^٩، معدداً لأسماء أهم البطارقة والأساقفة في كل قرن من هذه القرون^{١٠}، ليختتم هذا الجزء بمبحث عن أهم الكنائس في سورية^{١١}.

^١ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٢، ص ٨٦.

^٢ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٢، ص ٥٢٢-٥٥٢.

^٣ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٣، ص ١٥.

^٤ أهم خلفاء الاسكندر هم انطوكيوس الأول والثاني وسلوقوس الثاني والثالث وانطوكيوس الثالث الملقب بالكبير وسلوقس الرابع وانطوكيوس ابفيان وغيرهم.

^٥ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٣، ص ١٦-١٩٩.

^٦ نذكر من الملوك الرومانيين في ذلك القرن تريان ويسمى أوليوس نرفا وتريان، وتريان وسمي اليوسداريانوس، وانطونيوس المسمى طيطس أورليوس فولفوس وأيضاً أنطونيوس أغوستوس. لمعرفة المزيد انظر الدبس: تاريخ سورية،، ج ٣، ص ٣٤٥ وما يليها.

^٧ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٣، ص ٢٠١-٢٨١، ٤٣٥-٤٦٩.

^٨ ذكر الدبس الخلاف بين الآباء والمؤرخين على سنة مولد المخلص من سني خلق الإنسان ومن سني تاريخ رما، لمعرفة المزيد انظر الدبس: تاريخ سورية،، ج ٣، ص ٢٩٢-٢٩٦.

^٩ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٣، ص ٢٨٧-٤٣١ وقد عرف الدبس بشكل مفصل بطرس وبولس الرسل انظر ج ٣، ص ٣٣٦-٣٥٢.

^{١٠} الدبس: تاريخ سورية،، ج ٣، ص ٢٧٣-٤٧٨.

^{١١} الدبس: تاريخ سورية،، ج ٣، ص ٤٩٦.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وقد أشار الدبس في كتابة هذا الجزء إلى أنه: "سيدخل في طي هذا الجزء كل ما كان تاريخياً في سفري المكابين، وأسفار العهد القديم كلها على الأسلوب الذي اتبعناه في هذا الجزء؛ فيكون تاريخياً علمياً"^١.

الجزء الرابع أوجز فيه الدبس تاريخ سورية الديني والديني في القرن الثاني وما يليه حتى القرن السابع، ذاكراً الملوك الرومانيين وعلاقتهم بالفرس^٢، مع التعريف بمشاهير العلم الدينيين في سورية وخارجها^٣، هذا على المستوى الديني، أما الديني فأفرده للحديث عن أهم البطارقة والأساقفة ومن عاصر هؤلاء خارج سورية، مع عرض للبدع^٤ التي وجدت في تلك الفترة، وما عقد من مجامع علمية للرد عليها^٥، لينهي هذا الجزء بملحق عن تاريخ الموارنة، وأهم أعيانهم وبطاركتهم ومشاهير العلم فيهم، فيقول: "قد عزمنا أن نلحق بتاريخ هذا القرن الخامس وما يليه تاريخ طائفتنا المارونية، فنفرده في آخر تاريخ كل قرن ملحقاً نتكلم فيه في تاريخها الديني والديني بقدر ما تمكنا الحال من التوصل إلى معرفته، على بعدنا من كنوز المعارف التي أحرزتها المكاتب والمتاحف الأوروبية، حتى إذا أتاح الله لنا إنجاز هذا التاريخ تيسر أن يؤخذ عنه تاريخ واف لهذه الطائفة يعلم منه ما كانت عليه من حيث نشأتها منفصلة عن غيرها من الطوائف إلى اليوم، وما تقلب عليها من الأحوال، وما كان من بطاركتها وأساقفتها وعلمائها وحكامها إلى غير ذلك من أخبارها"^٦.

أما الجزء الخامس فخصص لتاريخ سورية الديني والديني مع مشاهير رجالها تحت الحكم الإسلامي من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر الميلادي، فتحدث عن الخلفاء الراشدين والأمويين^٧، ومن جاء بعدهم، مع التعريف بمشاهير العلم الدينيين من القرن السابع حتى القرن

^١ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ١٩.

^٢ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ١٧، ٤٤، ٤٦٣-٤٧٧.

^٣ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ٤٩-٥١، ٢٦٥ - ٣٩٢ - ٣٩٤.

^٤ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ٥٤-٥٩، ١٤٤-١٥٥، ١٨٨-٢٠٣، ٢٧١-٣١٦، ٣١٩-٣٢٨، ٤٠١-٤١١، ٤١٦-٤٣٧.

^٥ نذكر من تلك البدع ما كان من القول حول تعميم الهرطقة هل هو صحيح أم باطل. وبناء عليه عرض الدبس آراء الكنيسة حول هذا الأمر شارحاً ما عقد من مجامع (اجتماعات) لحل هذه المشكلة. الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ٨٥ وما يليها.

^٦ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ٨٥-٩١، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٣٦-٢٣٤، ٣٣٠-٣٥٧، ٤٣٩-٤٥١.

^٧ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ٣٦١.

^٨ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٥، ص ٢١-٤٢، ١٩٤-٢٠٤.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

الحادي عشر^١، أما التاريخ الديني أورد ماكان من أحداث في عهد الأساقفة والبطاركة ومن عاصرهم^٢، وهنا في ملحق هذا الجزء عن الموارنة يأتي الكلام عن تبرئتهم من جميع التهم الموجهة إليهم^٣.

الجزء السادس فخصص لتاريخها منذ القرن الثاني عشر حتى السادس عشر حين قدوم الإفرنج واستحوذهم على سورية مع ذكر الحروب الصليبية^٤، وصولاً إلى معركة حطين، حتى الفتح العثماني لسورية في القرن السادس عشر مع التطرق لأهم مشاهير العلم الدنيويين^٥ في داخل سورية وخارجها، مع عرضه تاريخها الديني بإيراد بطاركة أنطاكية وأورشليم وأهم الأساقفة^٦، واصفاً ما كان من بدع، ذاكراً ما عقد من مجامع علمية للرد عليها^٧، مع ملحق عن تاريخ الموارنة في كل قرن من تلك القرون^٨، وقد تضمن الجزءان السابع والثامن تاريخها في أيام سلاطين آل عثمان من القرن السابع عشر حتى التاسع عشر الميلادي، مع مشاهير رجالها وأهم أعمالهم^٩، ومن ثم تبيان أهم مشاهير البطاركة والأساقفة^{١٠}، والكنائس والمدارس والأديرة المنشأة فيها^{١١}.

الجزء التاسع اختار فيه من تاريخ سورية الفقرات المتعلقة بالموارنة تحت عنوان (الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل)^{١٢}، مقسماً إياه إلى اثنتي عشرة مقالة كل واحدة تحتوي على فصول عدة^١.

^١ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٥، ص ٤٨-٥٧، ٢١٧-٢٢٦، ٢٨٦-٢٩٧، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣٦١-٣٧٨، ٣٧٩-٣٩٤، ٤١٧-٤٣٠.

^٢ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٥، ص ٦١-٧٦، ٢٢٨-٢٣٣، ٢٩٨-٣٠٣، ٣٧٩-٣٨٥، ٤٤١-٤٤٦.

^٣ من هذه التهم بدعة المسيئة الواحدة وأيضاً اتهامهم بالضلال في القرن العاشر، الدبس: تاريخ سورية،، ج ٥، ص ١٥٨، ٣٩٧.

^٤ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٦، ص ٢٢-١٣١، ٢٠٠-٢٨٠، ٤١٥-

^٥ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٦، ص ١٣٤-١٥٢، ١٧١-١٧٥، ٢٨٣-٣٠٦، ٣١٢-٣٢٤، ٣٧٩-٣٩٢، ٤٥٤-٤٦٩.

^٦ لدبس: تاريخ سورية،، ج ٦، ص ١٥٦-١٦٩، ٣٠٧-٣١٠، ٣٩٣-٣٩٤، ٤٧٠-٤٧١.

^٧ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٦، ص ٣٣٥، ٤٨٠-٤٩٩. أهم الأحداث الدينية تمثلت في اتحاد كنيسة الروم بالكنيسة الرومانية ص ٤٨٠.

^٨ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٦، ص ١٧٦-١٩٢، ٣٢٥-٣٣٥، ٤٠٦-٤١٢، ٥٠٤-٥١٨.

^٩ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٧، ص ١٧-٤٣، ١٤٩-١٩٧، ٣١٥-٣٦٦، ج ٨، ص ١٣٦-٢٠٢.

^{١٠} الدبس: تاريخ سورية،، ج ٧، ص ٦٥-٦٧، ٢٣٠-٢٣٣، ٢٨٢-٢٩٠، ج ٨، ص ١٣-٢٢، ٥٢-٧٨، ٢٣١-٢٣٣.

^{١١} الدبس: تاريخ سورية،، ج ٧، ص ٣٠٤-٣٠٨، ج ٨، ص ١٢٢-١٣٤، ٢٧٩-٢٩٦.

^{١٢} طبع هذا الكتاب في بيروت في المطبعة العمومية الكاثوليكية سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥ م.

الجزء العاشر والأخير: يتضمن "فهارس الأعداد والموضوعات لأجزاء كتاب تاريخ سورية الديني والدنيوي كافة من الجزء الأول وحتى التاسع، كما يتضمن الفهارس الهجائية"^١.

بعد التعرف على مضمون الكتاب بشكل مبسط لا بد من معرفة الدوافع التي حدثت بالدبس لتأليف هذا الكتاب، لم يضع الكاتب القارئ في حيرة واسعة؛ وإنما صرح عن أسباب عدة دفعته لكتابته هذا، فوضح في البدء غرضه من الجزء الأول والثاني (شعوب سورية القدماء)، فقال: "إن جل الغرض من كتابي هذا ولا سيما في جزئه هذا الأول الذي تم بعون الله، وفي جزئه الثاني المعقود العزم على تأليفه، إنما هو جعل الاكتشافات الحديثة معروفة لدى عامة الشعوب المتكلمين باللغة العربية، لنفهم وتقوية إيمانهم بواسطة هذه البيانات الحديثة المتسامية عن كل ردّ، وهي إنطاق الله الحجارة بصحة ما أوحاه لموسى^٢، وسائر من كتبوا الأسفار المقدسة، ولما لم يكن لنا بالعربية حتى الآن كتاب، يشمل تاريخ وطننا سورية القديم والحديث، ويستحق الإركان إليه، أردت أن يكون كتابي على سبيل تاريخ تثبته تلك الآثار، لاعتقادي أن هذا السبيل يغري المطالع غير الإكليركي أيضاً بالمطالعة أكثر من أن يكون الكتاب دينياً أو لاهوتياً، فيعثر أثناء مطالعته تاريخياً على بيانات سديدة لا ترد، تثبت له صحة رماية الأسفار المنزلة"^٣. هذا أول سبب دفع الدبس لتأليف هذا الكتاب.

أما الثاني فهو: "قد كان لي داع آخر لتأليف هذا الكتاب، وهو أنه ليس عندنا في اللغة العربية حتى الآن شيء من تفسير أسفار العهد القديم مطبوعاً - على ما أعلم - إلا تفسير المزامير، وقد كنت عنيت بطبع تفسير الأناجيل - أخذته عن أفضل المفسرين - وغيرها ... ولم يتهياً لي إشهار شيء من تفسير أسفار العهد القديم، فمشيت الآن على كل القسم التاريخي في الكتاب المقدس من سفر التكوين في تاريخ العبرانيين. وتطرقت إلى كل ما يلتحم بكلامي من آيات الكتاب غير الإخبارية، وتعمدت بيان كل غموض، وحل كل إشكال، فكان لنا بذلك تفسير لجزء كبير من الأسفار المقدسة، وعلى المنوال الحديث بعض الاكتشافات"^٤.

السؤال الذي يطرح نفسه: ما الأشياء التي أعطت تاريخ سورية الديني والدنيوي أهميته وميزته عن غيره من المؤلفات؟ هل ضخامته؟ أم غناه بمعلومات عن سورية وتاريخها الديني والدنيوي؟ أم هناك أمور أخرى؟

^١ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٩، ١٧-٥٠٢.

^٢ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١٠، ص ٤.

^٣ وهي إحدى ضربات الله لمصر عندما أمر الله إلى موسى أن يذهب إلى فرعون ويبيده العصا التي انقلبت حية ويضرب بها ماء النهر فيقلب دماً ليخفف من قسوته على بني اسرائيل، الدبس: تاريخ سورية،، ج ٢، ص ٩٩.

^٤ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ١٧.

^٥ الدبس: الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ١٨.

تتبع أهميته من:

١. مضامينه؛ لتناوله موضوعات شاملة عن تاريخ سورية ولبنان والعراق وفلسطين منذ بدء الخليقة حتى الزمن الحاضر، بالإضافة إلى تاريخ اليونان والفرس والخلافة العربية منذ ظهور الإسلام، مروراً بمختلف الحقب التاريخية التي مرت بها الخلافة المذكورة، وصولاً إلى المغول والتتار والحملات الصليبية والسلطنة العثمانية.

٢. تقديمه صورة عامة وشاملة عن التاريخ السياسي والعسكري والحضاري لسورية ويمكن ذلك بعرضه لأهم التقسيمات الإدارية لسوريا في القرون الأربعة الأولى^١، بالإضافة إلى تطرقه إلى الأحداث السياسية والحروب التي حصلت، وذلك عن طريق إيراد تراجم الملوك والخلفاء والسلطين^٢.

٣. أمدنا إلى جانب التاريخ السياسي بمعلومات عن التاريخ الكنسي الماروني، فمكانته الدينية كمطران مكنته من الاطلاع على العديد من الوثائق، فتحدث عن الشعب العبراني ونبوءاته وأنبيائه، واصفاً أجيال المسيحية الأولى، وأعمال الرسل والصراعات العقائدية والسياسية والمذهبية بما فيها الكنيسة المارونية، التي تمكنت من تأسيس أول بطريركية لها في أواخر القرن السابع الميلادي ولا تزال مستمرة إلى الآن^٣.

٤. إشارته إلى بطارقة هذه الطائفة وأساقفتها، وأهم الأحداث التي جرت في عهدهم^٤.

٥. بعده عن التعصب الديني، وموضوعيته أثناء حديثه عن الطائفة المارونية، يتجلى ذلك بقوله: "يشهد الله، ويعلم كل من عاشرني واطلع على دخيلتي، أنني والحمد لله منزه عن كل تعصب طائفي لغير الحق وهائم بالألفة والوفاق بين كل أصحاب المذاهب الدينية أيها كان، كلفاً بالراحة والتضافر على كل ما به الخير العام والخاص والنجاح والقوة التي لا تقوم إلا بالاتحاد والخضوع للسلطة الشرعية"^٥.

^١ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ١٣٣

^٢ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ١٣٣-١٣٧، ج ٣، ص ١٦-١٩٩، ٢٠١-٢١١، ج ٤، ص ٢٥-٤٤، ٩٤-١٢٨، ج ٥، ص ٢١-٥٢، ١٩٤-٢١٤، ج ٦، ص ٢٢-١٣١، ٢٠٠-٢٨٠، ج ٧، ص ٧١-٤٣، ١٤٩-١٩٧، ٣١٥-٣٦٦، ج ٨، ص ١٣٦، ٢٠٢.

^٣ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٣، ص ٢٢٢، ٢٨٧-٤٢٠، ج ٤، ص ٣٦٢-٢٦٧، ٤٥٤-٤٥٨، ج ٥، ص ٢٢١-١٩١، ٣١١، ٣٩٧.

^٤ خصص الدبس الجزء التاسع من كتابه للحديث عن هذه الطائفة عارضاً أهم أعمالهم وأحداثهم. الدبس: تاريخ سورية،، ج ٩، ص ١١٨.

^٥ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٥، ص ١١٨.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

٦. احتوائه مجموعة من الوثائق الخاصة بالطائفة المارونية، منها وثيقة إثبات قداسة القديس يوحنا مارون^١، بالإضافة إلى وثائق أخرى كثيرة، أمدت القارئ بمعلومات وافرة عن الأوضاع السياسية لبلاد الشام^٢.

٧. سعيه الدائم إلى إثبات حقيقة الأفكار التي يطرحها عن طريق عرض مجموعة آراء، فيلجأ أحياناً إلى ترجيح رأي على آخر، مثال ذلك الخلاف الذي ظهر حول أصل (صلاح الدين الأيوبي)^٣، فيقول: "الأظهر والأصلح ما قاله فيه المؤرخون المسلمون"^٤.

بينما في موضع آخر يرجح الآراء جميعها، مثال ذلك الخلاف حول ترقية (مار يوحنا مارون) إلى البطركية، يورد: "كل هذه الأقوال نراها محتملة الصحة، ولا يتسنى لنا أن نرجح أحدها"^٥.

وتارة يقول: "(ليس لمثلنا أن يرجح أو يضعف أقوال مثل هؤلاء العلماء والأعلام، ولا سيما لقصر يدنا عن الكتب اللازمة مطالعتها في هذه المسائل الغامضة)"^٦.

٨. ملاحظته للظواهر الطبيعية (كالحرائق والزلازل والطاعون والرياح)، وتأثيرها على الحياة الاقتصادية في ارتفاع الأسعار، وانتشار المجاعة والأوبئة والأمراض، مثال هذا خراب أنطاكية بسبب الزلزال^٧، والحريق الذي أصاب دمشق وما نتج من غلاء شديد بسبب تلك الكوارث حتى أكل الناس بعضهم، ونزح قدر كبير منهم^٨.

٩. رصده التطور الثقافي الذي شهدته البلاد بشكل عام والطائفة المارونية بشكل خاص، مشيراً إلى التبادل العلمي الحاصل بين الشرق والغرب^٩ في القرن الثامن عشر فيقول: "نحسب هذا القرن قرن الذهب في طائفتنا لكثرة علمائها فيه، ولوفرة ما خلفوه من التصانيف البديعة والتأليف النفيسة حتى أفادوا الغرب بتواريخ المشرق ونقلوا إليه ما لا يحصى من آثار الشرقيين وكتبهم، وكانوا كمشكاة

^١ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٥، ص ١٦٤-١٧٠، مثال آخر: ج ٤، ص ٤١، ٤٥٨-٤٦٠.

^٢ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ١٧٩-١٨٠، ج ٣، ص ٢٥-٢٦، ج ٤، ص ٤٠-٤١.

^٣ صلاح الدين الأيوبي: تم التعريف به ص ٦٥.

^٤ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٦، ص ٨٩، مثال آخر: ج ١، ص ٣٢، ج ٢، ص ٢١.

^٥ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٥، ص ١٢٩، مثال آخر: ج ٦، ص ٣٩.

^٦ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ٥٧.

^٧ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ٣٧٤-٣٧٥.

^٨ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٥، ص ٤٠٥، انظر أيضاً: الدبس: تاريخ سورية،، ج ٦، ص ٦١، ص ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٨، ج ٧، ص ٤١.

^٩ يعود الفضل في هذا التبادل الذي تم في تلك الفترة للمعهد العلمي الذي أنشأه لهم البابا غريغوريوس الثالث عشر والذي نبغ فيه عدد كثير من العلماء، الدبس: الدبس: تاريخ سورية،، ج ٨، ص ٨٠.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

استنار بضوئها أهل المشرق بعلوم أهل الغرب ورقوا مواطنيهم في مدارج العلم، وشهد لهم علماء الغرب، بالفضل واعتمدوا على ما أثبتوه إلى الآن وتفاخروا بهم أبناء جلدتهم، شاكرين لهم ما أوجدوا عليهم به"^١.

١٠. إفادته بذكره للمجامع العلمية التي عقدت للرد على أصحاب البدع الدينية^٢، وقيامه بتنفيذ المزاعم والأحداث الدينية^٣، وعرضه لمشاهير العلم الدنيويين والدينيين داخل سورية وخارجها^٤، بمعلومات عن التطور العلمي الذي أصاب الحياة الثقافية والعلمية.

١١. أمانته ودقته في استقصائه للحوادث، ففي حال عدم توافر المعلومات الكافية للحادثة التي يعرضها يكتفي بالقول "لا نعلم ما كان فيه غير ذلك"، وقوله أيضاً: "لم يصل إلينا كتابه برمته"^٥.

وعند الخروج عن السياق التاريخي أثناء عرض الحوادث يبرر ذلك: "... أننا خرجنا بعيداً عن غرضنا في كتابة سورية، ولكن إذا تبصر المطالع بتوفر الفائدة مما أتينا به أحل عذرتنا لديه محل القبول والاستحسان"^٦.

١٢. عدم نسيانه الحديث عن البناء والتجديد المتمثل بالأديرة والكنائس والمدارس التي أنشأها الموارنة من خلال سرد أحداث البناء، ومن بناها، والتعديلات التي طرأت عليها، والهدف منها، يقول في بناء المدارس: "... كل ما مر ذكره من المدارس أنشئ لتهديب الاكليركيين وتعليمهم ولم يكن في طائفتنا مدرسة لتعليم الشبان العالميين، ولما دعاني الله بوافر سخائه لا باستحقاقي إلى أسقفية بيروت كان أول اهتمامي إنشاء هذه المدرسة للعالميين"^٧.

^١ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٨، ص ٧٩.

^٢ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٣، ص ٤٣١، ٤٩١، ج ٤، ص ٨٩-٩١، ٢٠٧-٢١٣، ٢٣٦-٢٣٤، ٣٣٠-٣٥٧، ج ٥، ص ٨٦، ٢٤٨-٢٥٢، ٣١٦، ٤٦٢-٤٦٤، ج ٦، ص ٤٨٤-٤٩٩، ج ٧، ١٠٠، ١٢٧، ١٣١، ٣١٠، ج ٨، ص ١٠٧-١١٨، ٢٧٤-٢٧٧.

^٣ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ٨٥، ج ٥، ص ١٩١، ٢٦٤، ٣٩٧، ج ٦، ص ١٩٢، ٣٣٥، ٥١٨، ج ٧، ص ٨٥-٩٧.

^٤ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٣، ص ٢٨٣، ٤٧٩-٤٨٤، ج ٤، ص ٤٩، ١٣٠، ١٨٨-٢٠٣، ٢٦٨، ٣٢٨، ٣٩٢-٣٩٤، ج ٥، ص ٤٨، ٢١٧-٢١٩، ٢٣٨، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٠٥، ٣٦١-٣٦٥، ج ٦، ص ١٣٤، ١٤٤، ١٧١، والأمثلة كثيرة في جميع أجزاء الكتاب.

^٥ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ٥٠، ٢٥٩. مثال آخر ج ٣، ص ٣٠٥، ٤٧٩.

^٦ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ١٤٧. مثال آخر ج ٤، ص ٧٦.

^٧ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٩، ص ٤٨٩ ولمعرفة المزيد عن الأديرة والكنائس والمدارس انظر ج ٩، ص ٤٢٧-٤٣٩، ٤٨٧-٤٩٩.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

هذه الأسباب المذكورة أعلاه هي التي أعطت كتاب الدبس تلك الأهمية، أما أسلوب ومنهجه الدبس في التدوين التاريخي فيتلخص بـ:

أ. اتباع أسلوب سرديّ بسيط، واضح العبارة سلس، المحسنات اللغوية فيه قليلة. مال في بعض الأحيان إلى الاستطراد محدداً ذلك بقوله: "واستطردت إلى بيان كل ما التحم بكلامي من آيات الكتاب النبوية وغير الإخبارية"^١.

ب. اختلاف تقسيمات الكتاب في أول جزأين الذي تحدث فيهما عن - (تاريخ شعوب سوريا القدماء) -، عن الأجزاء الأخرى، وذلك بتقسيمه إلى أربع مقالات، الأولى افتتاحية، والثانية عن الحثيين، ومن ثم الفينيقيين، والرابعة عن العبرانيين، وتضمنت كل مقالة فصول عدة والفصول إلى أعداد، يقول الدبس: "وقد جزأنا هذه المقالة وما يليها إلى فصول، والفصول إلى أعداد، رغبة في زيادة التفصيل، وتيسيراً لوجدان المعاني المطلوبة"^(٢). يعود بعدها لاتباع أسلوب جديد قائم على تبويبه على أساس القرون، مقسماً الكتاب إلى أبواب، عنوان كل باب قرن من القرون، وكل باب يحتوي على قسمين الأول أفرده لتاريخ سورية الدنيوي، والقسم الثاني لتاريخها الديني، وكل قسم فيه فصول.

ج. أوضح رغبته في الاختصار، وعدم الإطالة خوفاً من إضجار القارئ، وقد صرح بذلك في مواضع كثيرة، منها أثناء: الحديث عن الإسكندر وحروبه، يقول: "خشية ملل القارئ نضرب عن تفاصيل ما قاساه في هذا السفر الشاق الطويل"^٣، وقوله أيضاً: "كان في هذا القرن (السابع عشر) كثيرون من المشاهير السوريين وغيرهم، أضربنا عن ذكرهم واجتزينا بذكر من تقدم رغبة في الإيجاز"^٤.

د. عدم لجوئه للتكرار بل اكتفى بذكر الحادثة في موضع واحد، مراعيّاً مساق التسلسل الزمني التاريخي؛ لذلك اكتفى بالقول: "ونرجى الكلام فيه إلى محله"^٥، وقوله: "لقد ذكرنا ذلك في عدد ١٢٧ فطالعه"^٦، وكذلك: "ونرجى الكلام فيه إلى تاريخ القرن التاسع عشر"^٧.

هـ. أسلوبه في تناول تراجمه:

^١ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ٢١، مثال آخر: ج ٤، ص ٣٧٣.

^٢ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ٢٣.

^٣ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٣، ص ٤٤.

^٤ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٧، ص ٢٢٩.

^٥ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٢، ص ٢٥.

^٦ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٣، ص ٣٢.

^٧ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٨، ص ٢٢.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

* فقد حدده بقوله: "قد اعتدنا أن ندون في فاتحة تاريخ كل قرن من القرون السالفة تاريخ الملوك الذين تولوا سورية فيه، وما كان فيها من الأحداث في أيامهم، فندون أولاً التاريخ الدنيوي، ثم نعقبه بالتاريخ الديني"^١.

* اختلف أسلوب عرضه لشخصيات كتابه تبعاً للشخص وأهميته، يتجلى ذلك في أثناء حديثه عن (إسكندر سايروس)^٢، فيقول: "قل ما كان من الأحداث في سورية في عهد هذا الملك، على أننا نطيل الكلام فيه؛ لأنه سوري"^٣، وقوله أيضاً: "أطلنا الكلام في القديس يعقوب السروجي"^٤، وإن لم يكن سورياً؛ لأنه من آباء الكنيسة السريانية، ولأن البحث في صحة عقيدته من المباحث العصرية"^٥، بينما يكتفي بالقول عند حديثه عن المبتدعين في القرن الثاني، فيقول: "وغير هؤلاء من المبتدعين الذين لا أهمية لبدعهم"^٦.

* اتصفت طريقته في عرض تراجمه بالشمولية؛ فهو لم يقتصر على من هم داخل سورية بل تجاوزها إلى خارجها، وذلك عن طريق ذكر مشاهير العلم في سورية، ينتقل بعدها إلى من عاصروهم في خارج سورية^٧.

و. الشخصيات التي ترجم لها موزعة بين فئتين (دينية ودنيوية):

١. الفئة الدنيوية:

- احتل أرباب الحكم نصف التراجم من (ملوك، وخلفاء، ووزراء).

- أهل الأدب في (الفقه والطب والتاريخ والنحو والشعر).

٢. الفئة الدينية:

- مثّلت في تراجم الرسل والأنبياء

- بطارقة

- أساقفة

^١ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٥، ص ١٩-٢٠.

^٢ لمعرفة المزيد عن هذه الشخصية انظر الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ٣١ وما يليها.

^٣ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ٣١ مثال آخر ص ٣٨.

^٤ لمعرفة المزيد عن هذه الشخصية انظر الدبس: تاريخ سورية،، ص ٤٢٠ وما يليها.

^٥ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ٤٣٠.

^٦ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٣، ص ٤٩٣.

^٧ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٥، ص ٢٩١-٢٩٧، ٣٦٥-٣٧٨، ٤٥٨ والأمثلة عديدة في جميع أجزاء الكتاب نذكر منها ج ٤، ص ١٨٨-٢٠٣، ٣٢٨.

ز. تباينت الطريقة التي عرض فيها حوادث الكتاب؛ فلجأ إلى اتخاذ موقف الرافض للحوادث، ومثال ذلك رفضه لدعوى (سعيد بن البطريق) و(غوليلمس) أسقف صور أن الموارنة أرعوا الضلال سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م، فيذكر بعض عرضه لمجموعة من الآراء التي تنفي هذا الادعاء فيقول: "إني أرى هذه الأدلة التي أوردتها حتى الآن تجاوزت حد الكفاية في دحض دعوى سعيد بن البطريق، وغوليلمس أسقف صور، على أن الموارنة أرعوا الضلال، ألهم الله من يحسدوننا على نعمته وفضله أن ينصفونا، ولا أقل من أن يجارونا في طريق الجدل المفروضة، ولا يحجوننا فيما بعد بأقوال سعيد وغوليلمس قبل أن يرد والأدلة الواضحة، والبيانات القاطعة التي جئنا بها هنا، وفي مواضع أخرى^١، وفي أحيان أخرى يقف موقف المرجح للحوادث التي لا قدرة له على إثباتها بالبراهين التاريخية، فيقول حول مسألة وجود جسد المسيح في القربان: "لا سبيل إلى إثبات هذه العقيدة بالبراهين العقلية إلا من قبيل قدرة الله أن يحيل الخبز جسداً والخمر دماً، فهذا لا مرية فيه، والله على كل شيء قدير"^٢، ونجده يلجأ إلى اتخاذ موقف الناقد، ومثال ذلك نقده للمؤرخين العرب لجهلهم في تاريخ بلادهم فيقول: "... ولذلك أصبح فقهاء وطننا حتى من عدّ عالماً، لا يفقهون تاريخ الأمم النائية والبلاد القاصية، ويغضون عن تاريخ بلادهم، وعلم أحداث أجدادهم، وقد تعددت اللجان العلمية الأوروبية وعمداء الدول، وأكثروا من الاحتقار في أرضنا والتتقيب عن آثار قدمائنا، ... وعن ذلك نحن غافلون، كأنه من ديار لم يسكنها أحد منا ..."^٣.

ح. تنوعت مصادره التي استقى منها معلوماته والتي ميزت أسلوبه بين:

* مؤلفات من سبقه من المؤرخين الذين شاهدوا الحدث وكتبوا عنه، ومثال ذلك قول: "نروي خبر القديس مارون عن توادوريطوس أسقف قورش الذي كان معاصراً ومجاوراً له ولا يبعد أن يكون عشيراً له"^٤، وما نقله عن أبي الفداء الذي شهد فتح طرابلس من قبل الملك المنصور قلاوون ويقول: "كنت حاضراً فيه مع والدي"^٥.

* المشاهدة والملاحظة التي قام بها بنفسه كونه شاهد عيان لبعض الأحداث والشخصيات، كقوله: (من نعرفه من الأساقفة والمبذعين)^٦، (قد رأيت)^٧، (قد سمعت)^٨، (طالعنا)^٩.

^١ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٦، ص ١٩٩، مثال آخر: ج ٥، ص ٣٩٨.

^٢ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٧، ص ٩٧، مثال آخر: ص ٨٨.

^٣ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ٢٠.

^٤ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ٣٦٤، ومثال آخر: ج ٦، ص ٤٩، ٥٨، ٦٠.

^٥ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٦، ص ٢٦٦، مثال آخر: ص ٣٠٤.

^٦ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٤، ص ٢٨٣-٣٠٣، ٤٠١-٤٣٧، مثال آخر: ج ٣، ص ٤٧٨.

^٧ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ٧١.

* استشهاده بالآيات القرآنية الكريمة والتوراة في تدعيم أقواله فيصرح بالقول: (ليس من تاريخ أقدم زماناً، وأصدق أنباء من أسفار التوراة التي كتبها موسى بإلهام الله).^٣

* تنوع أسلوب الدبس في الاقتباس من المصادر فلجأ أحياناً إلى ذكر اسم المؤلف دون ذكر اسم الكاتب (ابن خلدون)^٤، و(هيرودت)^٥، وفي موضع آخر يذكر اسم المؤلف والكتاب ويحدد المجلد ورقم الصفحة والطبعة، ومثال ذلك قوله: (كتاب الاكتشافات الحديثة لفيكور، مجلد ١، طبعة ٤، ص ٤٠-٤٢)^٦، وأحياناً أخرى يلجأ إلى الاختصار في النقل فيقول: (انتهى ملخصاً عن ابن الأثير وأبي الفداء في أحداث هذه السنين)^٧.

* إن معرفة الدبس باللغات السريانية واليونانية والعبرانية والفرنسية والعربية جعلته يستقي معلوماته من مختلف المصادر العربية والأجنبية.^٨

من خلال ما تقدم بالإمكان التعرف على منهج الدبس في التأريخ، والذي لم يختلف عن أنواع الكتابة التاريخية الشائعة في هذا الوقت، فهو في إطاره العام وفي فصوله الأولى مستمد من المراجع الأوروبية، ولكن أسلوبه يتغير عند البحث في تاريخ لبنان، فهو هنا يتحول إلى تاريخ محلي، لا يخرج عن نوع الكتابة التقليدية المألوفة التي تستند إلى مصادر محلية.^٩

٢- نعمان قساطلي (١٢٧٢-١٣٣٩هـ/١٨٥٥-١٩٢٠م):

أ. حياته:

هو نعمان بن عبده بن يوسف بن نقولا الكيراني القساطلي^{١٠} مؤرخ ولد في دمشق بمنطقة عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م^{١١} من أسرة عريقة في الثقافة وهواية الأدب والمطالعة وسرد الوقائع التاريخية^١.

^١ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٧، ص ٢٥٣.

^٢ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٢، ص ٢٠.

^٣ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٢، ص ٣٩.

^٤ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ٧١.

^٥ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٢، ص ٣٠٤.

^٦ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ٦٩، مثال آخر: ص ٧١، ٧٩، ٨٠، ج ٢، ص ٨٩، ٢٣٧.

^٧ الدبس: تاريخ سورية،، ج ٦، ص ٩٣، مثال آخر: ج ٥، ص ٢٨.

^٨ الدبس: تاريخ سورية،، ج ١، ص ١٦.

^٩ طريبن: التأريخ والمؤرخون،، ص ١٠٣.

^{١٠} لقب الكيراني نسبة إلى الكيران وهو نوع من المعاطف لقب القساطلي يعود إلى جده الأكبر الذي عمل بصناعة المياه. القساطلي: الروضة النعمانية في سياحة فلسطين وبعض البلدان الشامية، دار كنعان، دمشق، ط ١، ٢٠٢٠م، ص ١٣.

^{١١} كحالة: معجم المؤلفين،، ج ٤، ص ٣٤.

وأيضاً الزركلي: الأعلام،، ج ٨، ص ٣٨.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

تلقى مبادئ العلم الأولى في مدرسة الآسية^٢، واشتغل بتجارة المصاغ مع والده، ثم عمل في مهنة تسدية الحرير^٣، وكان تَوَاقُفاً إلى الأدب وأحب البحث والفلسفة، حضر مجالس أدباء عصره أمثال (ميخائيل مشاقة) فاقتبس عنهم الكثير.

في عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، تعرض لحادثة كادت تودي بحياته لولا اختباؤه في أحد الأفران سببها المجازر الطائفية التي تعرّض لها نصارى بلاد الشام في دمشق ولبنان التي عرفت بحوادث الستين، هذا الأمر كان بمثابة الدافع الرئيسي له فيما بعد لتأليفه كتاب (تاريخ مذابح سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م)^٤.
ب. أسفاره:

سافر إلى فلسطين سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، بناءً على طلب وجّه إليه من قبل اللجنة الإنكليزية لتخطيط فلسطين، ومهمته تحقيق المواقع الجغرافية فيها، وظلّ يعمل مع هذه اللجنة حتى أواخر عام ١٢٠٤هـ/ ١٨٧٧م، وذهب عام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م إلى مصر بهدف التجارة وبقي هناك اثني عشر عاماً، اقترن خلالها بزوجته ندى كليله ابنة أسرة كليله الدمشقية التي نزح بعضها إلى مصر بعد فتنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م^٥.

ج. مؤلفاته:

قضى مؤرخنا حياته في المطالعة والدرس والتدوين، ومراسلة الصحف والمجلات في مصر وسورية ولبنان، وقد طبع العديد من كتبه وقصصه وخطبه.

د. قصصه:

كان القساطلي رائداً من رواد القصة في سورية وقد نشر في مجلة الجنان ثلاث قصص في ثلاث سنوات ١٢٩٨-١٣٠١هـ/ ١٨٨٠-١٨٨٣م

* الفتاة الأمانة وأُمّها.

* مرشد وفتنة.

* أنيسة وأنيس^٦

هـ. كتبه تمثّلت ب:

^١ شقيقته سلمى أول طبيبة سورية نالت شهادة في التوليد وأمراض النساء من القصر العيني في كلية الطب بالقاهرة سنة

١٩٠٣ وترجمت كتاب (نصيحة والدّة) عن الفرنسية. الزركلي: الأعلام،، ج ٣، ص ١١٤

^٢ مدرسة الآسية كان يديرها القديس يوسف الدمشقي. الزركلي: الأعلام،، ج ٤، ص ١١٤.

^٣ يذكر جوزيف زيتون الذي أوجز السيرة الذاتية لنعمان قساطلي أن السبب الذي دفعه إلى مهنة تسدية الحرير لكونها المهنة الوحيدة التي لاتزال بيد المسيحيين الدمشقيين. جوزيف زيتون: السيرة الذاتية لنعمان قساطلي، المدونة الرسمية الوحيدة، ٢٨/٥/٢٠٠٥، ص ١.

^٤ جريدة العروبة: الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، صادرة عن دار البعث، حمص، عدد ١١، ص ١١

^٥ زيتون: السيرة الذاتية لنعمان قساطلي الدمشقي،، ص ١.

^٦ موسى: أدباء دمشق ،، ص ٢٧٩

- مذابح سورية ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م:

والذي نشر بتصريف في كتاب (حسر اللثام عن نكبات الشام)، لمؤلف مجهول نسبه بعضهم للقساطلي، وفيه مجمل الحرب الأهلية المعروفة بحوادث الستين، مع تمهيد في وصف البلاد الجغرافي والسياسي، وقد تحدث المؤرخ عنه في كتابه الروضة الغناء في دمشق الفيحاء عبارة " ولي في ذلك رسالة وافية سأنتشرها إذا وافق المولى". يتألف الكتاب من مقدمة وخاتمة وفصول عدة، في المقدمة قدم شرحاً عاماً للكتاب ذاكراً غايته ومصادره فيقول: " أما بعد فلما كانت حوادث الحرب الأهلية التي دارت رحاها في بلاد الشام سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م من أهم ما جرى في البلاد الشرقية في هذا العصر، وكان الذين شاهدوا بعضها أو سمعوا بها يعدون الآن بالألوف ولم يبق بينهم واحد لنشر حكاية هذه الحرب بالتفصيل في كتابه كما نشرها الإفرنج في كتبهم وجرائدهم. رأينا بعد الاستعانة بالله عز وجل أن نجمع من روايات النقات وكتابات الأدباء ونتيجة المباحث الشخصية والمشاهدة العيانية، ما يكفي لسرد وقائع السنة المذكورة وإيضاح ما حدث فيها من المصائب والأحوال خدمةً للتاريخ وحرصاً على الحقائق من الضياع، وليس لنا من نشر هذا الكتاب غاية غير كتابة تاريخ هذه الحوادث الخطيرة، لهذا لطفنا عبارته ما أمكن وتحاشينا نشر الآراء السياسية فيه واجتبتنا إلقاء اللوم على أحد الناس ما خلا الذين أثبت التحقيق أنهم ساعدوا على ارتكاب الفظائع وأمرت الدولة بإعدامهم أو نفيهم ساعة إيضاح الامر...^١ بعد تلك المقدمة يبدأ الفصل الأول بجغرافية بلاد الشام موضعاً ذلك بالقول: " لما كان ذكر الحوادث التي سنأتي لا يتم ولا يتضح للقارئ بدون أن يمهد له العلم بالبلاد التي حدثت فيها تلك الحوادث، فرأينا أن نأتي على خلاصة بما يهم القارئ في وصف بلاد الشام الجغرافي وإيضاح مواقع مدنها وقراها التي حصلت فيها الحروب، والأحوال وذكر طرف من أحوال الأهالي وعقائدهم وعوائدهم وغير ذلك مما كان سبباً للحرب"^٢ يأتي فيما بعد على ذكر حكومة بلاد الشام قبل حوادث ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠^٣ ومنشأ الدروز والموارنة،^٤ وأهم حكام لبنان من الموارنة،^٥ يتبعه تبيان الاقتتال الذي حدث سنة ١٢٥٦-١٢٦٢هـ/ ١٨٤٠م - ١٨٤٥م بين الدروز والموارنة متطرقاً لنهاية تلك الحرب ونتائجها^٦، شارحاً أسباب مذابح الستين^٧ مبيناً عدد القتلى والخسائر^٨، وما كان من الأتراك

^١ مؤلف مجهول: حسر اللثام عن نكبات الشام، مصر، ط١، ١٨٩٥، ص ١.

^٢ مؤلف مجهول: حسر اللثام،، ص ٢-٢١.

^٣ مؤلف مجهول: حسر اللثام،، ص ٢٢-٥٠.

^٤ مؤلف مجهول: حسر اللثام،، ص ٥١-٦٢.

^٥ مؤلف مجهول: حسر اللثام،، ص ٦٣-٨٧.

^٦ مؤلف مجهول: حسر اللثام،، ص ٨٩-١٢٢.

^٧ مؤلف مجهول: حسر اللثام،، ص ١٣٣.

^٨ مؤلف مجهول: حسر اللثام،، ص ٢٣٥.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وسياستهم العامة في لبنان^١، ليصل إلى احتلال الجيش الفرنسي لبلدان و خلاصة أعماله في بلاد الشام^٢، ومقررات مؤتمر بيروت ووقائعه^٣، ومن ثم إقرار نظام لبنان الحالي، وتعداد أهله وأقضيته ومحاكمه وكيفية تنصيب العمال فيه، وغير هذا مما تهم معرفته^٤. لم يتمكن أحد من إثبات أن هذا الكتاب هو من تأليف القساطلي، لذا سنكتفي بهذا الموجز ونشير إليه بعبارة مؤلف مجهول الهوية.

- مرآة سورية وفلسطين:

وهو ملخص عن رحلته إلى فلسطين عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م^٥ المسماة أيضاً (الروضة النعمانية في سياحة فلسطين وبعض البلدان الشامية). هذه الرحلة احتوت على العديد من الرسوم والمخططات التي عدت الأولى في عالم التأليف، وقد حققت هذه النسخة بشكل علمي، ووضعت بالمكتبة العربية^٦. وقد لخص القساطلي مضمون رحلته تلك بقوله: "... ولأجل أن يبقى ماشاهدناه من الآثار القديمة بهذه المدينة (مدينة القدس الشريف) وخلافها من مدن وقرى فلسطين مرسوماً دائماً في صفحات أفكارنا نضع رسوم بعض المجالات التي تمكنا من أخذ رسمها مع ضعفنا بهذا الفن، وحيث أن دفترنا هذا مذكرة لنا لا نراعي به شروط الترتيب، ولكن إن شاء الله إذا عدنا إلى وطننا سالمين سنرتبه ترتيباً حسناً، ونحفظه في مكتبتنا تذكراً لسياحتنا الحالية..."^٧ أما الغاية من هذا التأليف فهي: "وما قصدنا به أن نناطح زيد أو نقاوم عمرو، بل جلّ غايتنا أن نتخذ لذاتنا واسطة تحفظ حقائق ما نراه في أفكارنا، بحيث لا يقوى عليها النسيان السلطان العام المستولي على كل البشر..."^٨. الجزء الأول تحدث فيه عن جبل الجليل ومنطقة بئر السبع مع ذكر بعض أوصافه الحالية، كما تضمن جولة ميدانية في قرى الجليل واصفاً عاداتهم وتقاليدهم وأحوالهم الاجتماعية والأسر الإقطاعية^٩، والجزء الثاني خصص للقدس ونابلس^{١٠}، لينتهي الكتاب بكلام مقطوع ذكر فيه محقق الكتاب عبارة تم الجزء الثاني من

^١ مؤلف مجهول: حسر اللثام،، ص ٢٣٨-٢٤٤.

^٢ مؤلف مجهول: حسر اللثام،، ص ٢٥٢.

^٣ مؤلف مجهول: حسر اللثام،، ص ٢٥٥-٢٥٧.

^٤ مؤلف مجهول: حسر اللثام،، ص ٢٦٠-٢٧٦.

^٥ أثناء الحديث عن أسفاره، ذكر أن سبب سفره في عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م إلى فلسطين بطلب من اللجنة الإنكليزية لتحقيق المواقع الجغرافية فيها. انظر الصفحة السابقة.

^٦ تيسير خلف: موسوعة رحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين، ٨ أجزاء، دار كنعان للدراسة والنشر، د.م، ج ٥، ص ٥٠.

^٧ نعمان القساطلي: الروضة النعمانية في سياحة فلسطين وبعض البلدان الشامية، تحقيق: تيسير خلف، دار كنعان، دمشق، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٢٣.

^٨ القساطلي: الروضة النعمانية،، ص ٢٣.

^٩ القساطلي: الروضة النعمانية،، ص ٢٥ ومايليها.

^{١٠} القساطلي: الروضة النعمانية،، ص ١٨١-٢١٥.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

الروضة النعمانية ويليها الجزء الثالث إن شاء الله ، وكان ختام تحرير هذا الجزء في مدينة نابلس في ١٢٠٢هـ/١٨٧٥م^١

- الروضة الغناء في دمشق الفيحاء:

ويعدّ من الكتب الهامة التي تتحدث عن تاريخ دمشق السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعمراني ونظراً لأهميته سنبرز أهم النقاط الأساسية التي تضمنها القساطلي في كتابه هذا، بالإضافة إلى ما ذكر سابقاً هناك مؤلفات أخرى بعضها نشر مستقلاً، والآخر في مجلات (الجنان، والمقتطف، والطبيب، وصحف الجنة، ولسان الحال، والمحبة)^٢، وهي: (الكتب والخطب)، (البراهين الحلبية)، (تاريخ الزيادة)، (جغرافية جبل الدروز وحوار)، (خطاب العلم والدين)، (فلسفة الاقتصاد)، (الطب والتدابير الصحية في سورية)، (صناعات دمشق)، (الفوائد الأدبية).

تلك المؤلفات جميعها تدل على إحاطته الواسعة والشاملة بالتاريخ والعمران والاجتماع^٣.

مواصفاته: ألف قساطلي كتابه وله من العمر ٢٢ عاماً. طبع أول مرة سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م ليعاد طبعه مصوراً عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م. يتضمن الكتاب موجزاً عن جغرافية بلاد الشام موقعها، وألقابها، حدودها، مجموع سكانها، وأهم أنهارها، واصفاً ما قيل فيها من أشعار من قبل الشعراء المؤرخين^٤. ثم ينتقل إلى التاريخ السياسي لدمشق وعلاقاتها الاجتماعية، موضحاً دورها المركزي الذي لعبته منذ فتحها المسلمون^٥، مروراً بعهود الأمويين^٦ والعباسيين^٧ والأيوبيين^٨ إلى لحظة خضوعها للمصريين^٩،

^١ القساطلي: الروضة النعمانية،، هامش ٣٦٠، ص ٢١٥.

^٢ تم الحديث عن هذه الصحف والمجلات في الفصل الثاني.

^٣ موسى: أدباء دمشق،، ص ٢٧٩.

^٤ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٣-٥.

^٥ نذكر بعض هؤلاء المؤرخين والشعراء: أبو الطيب المتنبّي، ابن بطوطة، أبو الحسين بن جبير. القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٦.

^٦ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١١-٢٩.

^٧ استمرت مدة حكم الأمويين ٩١ سنة توالى عليها أربع عشرة خليفة أولهم معاوية ابن أبي سفيان وآخرهم مروان الثاني.

القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٢٩-٣٦.

^٨ أول الولاة العباسيين هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح جاء بعدهم حكم الطوليين بقيادة أحمد بن طولون الذي قويت شوكته بمصر فاستولى على دمشق ومن بعدهم الأخشيديون ومن ثم الصليبيون. انظر القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٣٧-٤٨.

^٩ أول حاكم من الأيوبيين هو نجم الدين أيوب أخو نور الدين، القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٤٩-٦٥.

^{١٠} القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٦٦-٧٧.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

لها منتهياً بالسيطرة العثمانية عليها^١، مع قيامه بتلخيص أحداث دمشق بين عامي (١٢٧٧-١٢٩٥هـ/ ١٨٦٠-١٨٧٨) فيقول "منذ سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠ إلى نهاية ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م حدثت في دمشق أمور مهمة، ففي سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م، ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م كانت الأعمال رائجة والمصنوعات جيدة، والذهب كثير بأيدي الناس، وفي سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م دهمها الجراد وأتلف أكثر مزروعاتها، ومنذ ذلك الوقت أخذت الأعمال بالتأخر شيئاً فشيئاً.....، وفي عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م أتاها الهواء الأصفر فمات نحو عشرة آلاف، وسنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م كان الغلاء شديداً وتوقفت الأشغال، ودام ذلك إلى سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧١م، وهبط سعر الحرير فلحق ضرر عظيم بأصحابه، وفي سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٧٣م انحسبت الأمطار فصار غلاء آخر.....، وفي عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٧م أخذت الأحوال تتأخر بسبب الحروب الأهلية وحرب الروس والدولة العثمانية، أما الآن فالراحة سائدة في دمشق (أي عام ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٨م)، والأهالي عائشون بالمحبة والألفة مع بعضهم آسفون لما جرى في حادثة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م التي سودت تاريخ مدينتهم^٢."

ينتقل بعد هذا الوصف الموجز عن تاريخ دمشق السياسي للحديث عن الناحية العمرانية، فيبين ما فيها من أبنية وكنائس وأديرة ومدارس وحمامات وأسواق، معدداً حاناتها وفنادقها والأبواب والحصون لينتهي بمزروعاتها وأشجارها وهوائها^٣.

ومن ثم يغني كتابه بالعديد من الأخبار التي تعكس الواقع الاجتماعي فيذكر (العادات والتقاليد المتبعة في الأفراح والأحزان، وأهم مصنوعاتهم، ومنتجاتهم، وتجارتهم) مما يمكن القارئ من تكوين صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية، وعن تركيبة المجتمع الدمشقي الموزعة حسب مهنة الشخص^٤. وبحديث قساطلي عن مدارس المسلمين والمسيحيين واليهود^٥ محدداً بالأرقام عدد الأساتذة والطلاب الذكور والإناث^٦، وما فيها من جمعيات أدبية ومكتبات^٧، يبرز مدى التطور الفكري والثقافي العام.

^١ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٧٨-٩٤.

^٢ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٥٨.

^٣ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٥٩-١٢١.

^٤ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٢١-١٢٩.

^٥ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١١٧-١٢١.

^٦ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١١٩-١٢٠.

^٧ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٢٠-١٢١.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وقد حوى الكتاب تراجم من مات في دمشق من صحابة وأولياء وعلماء وقديسين ومشاهير العلماء والمسلمين الذين نشؤوا في دمشق^١.

أما خاتمة الكتاب فهي قصيدة للشيخ (عبد الغني النابلسي)^٢ امتدح فيها دمشق يقول القساطلي: "قد امتدحت دمشق من كثيرين نظماً ونثراً ويضيق ذرعاً هذا المختصر عن ذكر كل ما قالوه، فلذا اكتفينا بوضع هذه القصيدة"^٣.

ويحدد تاريخ نهاية أحداث الكتاب فيقول: "هنا توقف القلم وانتهى ما رأيت لزوماً لسرده، فأرجو من أصحاب الفضل معاملتي بالرفق لأنني مقصر بضعفي وقصوري. كان الفراغ من تأليفه يوم الثلاثاء ختام سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٨م، وإن شاء الله سأردفه بكتاب آخر دعوته (مرآة سورية وفلسطين)"^٤.

ويعلل قساطلي سبب تأليفه للكتاب في المقدمة فيقول: "... أنه لما كانت دمشق أقدم مدينة لم ينخفض قدرها إلى الآن ولم ينحط عمرانها مع ما انتابها من تقلبات الزمان، مما دلّ على عناية حمدانية أوجبت لها التفضيل على غيرها من المدائن، انتدبتني علائقي الوطنية أن أفحص أخبارها كلما كنت استقري ما قيل في حقها في صحف الأخبار والتاريخ، كنت أستغرب ما يقال فيها إذ كان بعضه إيجازاً مخلّاً، وبعضه في بعضها أطناً مملّاً، فزادني ذلك ترسلاً للاستقصاء وحملي على أن أتبع ما قيل فيها وما يقال بتدقيق يستلزمه حسن الدليل، ولما كان كثيرون يتمنون أن يققوا على ملخص أخبارها وآثارها ومشتملاتها وليس لهم مورد لذلك يروي الغليل، تجشمت كل المصاعب لتلخيص ما جاء في حقها في كتاب يشفع لي عند ذوي العرفان، فتم بحوله تعالى المراد وسميته الروضة الغناء في دمشق الفيحاء"^٥.

هناك أمور أخرى بالإضافة إلى ما ذكر سابقاً جعلت من كتاب القساطلي مصدراً هاماً لا غنى عنه للباحث في تاريخ دمشق العمراني والسياسي والاجتماعي وهي:

- أعطانا الكتاب صورة صادقة وصحيحة عن تاريخ دمشق، فهو عندما ذكر الموقع الجغرافي لها حسب خطوط الطول والعرض، وطرق التجارة، وأسماءها وألقابها وحاراتها ومساجدها وأضرحتها

^١ نذكر منهم: ابن عساكر، ابن قيم الجوزية، كعب الأحبار، حنانيا الرسول، يوحنا الدمشقي، ميخائيل مشاقة. القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٣١-١٥٥.

^٢ عبد الغني النابلسي: زعيم المتصوفين وإمامهم ولد في دمشق سنة ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م، له مؤلفات عديدة منها شرح ديوان (ابن الفارض) توفي سنة ١١٤٤هـ / ١٧٣١م. عيود: أدب العرب،، ص ٢٧٧.

^٣ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٥٦.

^٤ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٥٨.

^٥ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٢.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وكنائسها وفنادقها وأسواقها وحصونها وعوائد أهلها، وما فيها من معارف وعلوم، ومن نبغ فيها من العلماء ودفن بها، ومن توالى على حكمها من الأمراء، وحرف أهلها وحياتهم، وما قام بين حكامها من صراعات، وما شهدته من فترات رخاء وازدهار، فإنه بتلك الأمور مجتمعة عكس مجريات الحياة الدمشقية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعمرانياً.

- تأتي الأهمية الكبرى لهذا الكاتب كون المؤلف كان شاهد عيان لمعظم الأحداث، فهو مثلاً كاد يذهب ضحية أحداث ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م لولا اختبائه في أحد الأفران^١، بالإضافة إلى علاقة القساطلي الوثيقة ببعض الشخصيات التي ترجم لها (كميخائيل مشاقة)^٢

- الصدق الذي تمثله شخصية المؤرخ الذي أعرب بشكل واضح وصريح عن غايته الأولى من هذا الكتاب، وهي خدمة الوطن فقط، فيورد: ".... وما أنا في ما أوردته فيه بمعتقدٍ لي ولا معتصمٍ من إخلالي، على أنني بجسارة أقول أنه حوى زبدة أقوال الرواة العدلون دون عدول يجئ به تعصب ديني أو ميل غرضي، وقد جعلته خدمةً لوطني العزيز ملتصماً من ذوي الانتقاد العفو عن القصور والتقصير، متوسلاً إليه تعالى أن ينفع به قارئيه، فإنه أكرم مسؤول وخير مأمول وهو حسبي وإليه أنيب"^٣

- الأمانة والدقة والموضوعية التي تجلّت بشكل واضح في العرض مثال ذلك عند تطرّقه لأحد الأديرة (اليسوعيين) التي قدمت مساعدات للمرضى واليتامى، يقول: "يجبر المؤرخ أن يذكر ذلك لئلا يضيع ذكر المسيحيين، وقد ذكرت ما ذكرته شهادة للحق وإجابة لدواعي الدقة"^٤. وأيضاً عندما عجز عن الحصول على معلومات كافية لتراجم علماء جيله، يقول: "وقد تعلق خاطرنا بسرد تراجم بعض من علماء جيلنا الحالي وأفاضله الذين نشأوا بدمشق، على أنه لسوء الحظ حال مانع وهو عدم حصولنا على أخبار مدققة عنهم، فعدلنا عمّا قصدنا ونحن آسفون)^٥.

- لم يكتف أثناء الحديث عن الوضع الاقتصادي بذكر أهم الأشجار والمزروعات والصناعات، بل أيضاً كان ملاحظاً لتأثير الكوارث الطبيعية الممثلة بالزلازل والأوبئة وما يرافقها من قحط وغلاء، وبالتالي زيادة في أعداد الموتى، وتأثير هذه الأمور جميعها على الحياة الاقتصادية^٦.

^١ لقد تم ذكر هذه الحادثة أثناء الحديث عن حياته الشخصية

^٢ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٥٠.

^٣ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٢.

^٤ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٠٤.

^٥ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٤٢.

^٦ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٤٣-٤٧-٥٠-٥٦-٦٣-٨٣-٩٠-١٤٣ وهناك أمثلة عديدة في النص

- زخر كتابه بالعديد من الأقوال والأشعار التي تغنت بدمشق وأنهارها وأبنيتها وسكانها^١.

أما منهجه العام فيتلخص:

* قسّم أحداث الكتاب إلى ثلاثة أبواب يحتوي كل منها عدة فصول، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة.

* لجأ إلى الإيجاز والاختصار في سرد الأحداث فقد اكتفى أحياناً بذكر عبارة (يطول شرحها)^٢، وقوله في عرض شخصياته: "وغير ذلك مما يطول شرحه اقتصرنا بالالاماع إليه لشهرته"^٣، وخير دليل على ذلك ما صرّح به في بداية الكتاب عندما قال: ".... فتمّ بحوله تعالى لي المراد وجاء بإيجازٍ يقضيه المقام"^٤.

* اتبع التسلسل التالي في عرض الشخصيات أولاً: ذكر الأسماء الكاملة للملوك والخلفاء وأهم ما جرى من أحداث في عهدهم، وما قيل فيهم من أشعار^٥، ومن ثم الصحابة والعلماء والقديسين، فاكتفى بذكر الاسم فقط وتاريخ الوفاة بالنسبة للصحابة الذين ماتوا ودفنوا في دمشق^٦، غير أنّه توسّع في تراجم القديسين ومشاهير العلماء المسيحيين ذاكراً لأسماءهم وعلومهم ومؤلفاتهم وبعضاً من صفاتهم^٧.

أما مصادره التي اعتمد عليها فهي:

- كتب المؤرخين السابقين، ويظهر ذلك بقوله: ".... وكلما كنت استقرأ ما قيل في حقّها في صحف الأخبار والتاريخ"^٨. وذكر في بعض الأحيان اسم المؤلف دون ذكر الكتاب الذي رجع إليه، مثال ذلك: (ملخصاً عن الواقدي)^٩.

وفي موضع آخر يحدّد معلومات المصدر كاملة، كقوله: " قال مكسيموس مونروند في المجلد الثاني من كتابه الحروب الصليبية ما ملخصه"^{١٠}. ويبين في عبارة أخرى اسم الكتاب والكاتب: "يقول الحافظ السهيلي في كتابه التعريف والأعلام"^{١١}

^١ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٦، ١٥٦.

^٢ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٤٤ - ٤٩ - ٥٥ - ٦٣ وهناك العديد من الأمثلة

^٣ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١١٥.

^٤ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٢.

^٥ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٠-٩٤.

^٦ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٣١-١٣٣.

^٧ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٤٢-١٥٥.

^٨ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٢.

^٩ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ١٦، مثال آخر ص ٤٨ الأمثلة عديدة في النص

- مشاهداته الخاصة لبعض الأحداث منها مجزرة النصارى ١٨٦٠ م.

هذا مجمل عام عن أهم الأفكار الرئيسية والأخبار والأحداث التي حواها الكتاب، وبعد التعرف على منهجه وأسلوبه يمكن القول إنه من الكتب التي لا غنى عنها كونه يلقي الضوء على حقبة هامة عن تاريخ مدينة دمشق، وما تعرضت له عبر تاريخها الطويل من التألق والازدهار والذبول والضعف نتيجة الغزوات والحروب الأهلية والاستعمار الذي قدم للبلاد ليعيث فيها فساداً وخراباً.

ثالثاً: نماذج عن تاريخ السير والتراجم:

١- طنوس الشدياق (.....-١٢٧٦هـ/.....-١٨٥٩م):

هو الشيخ طنوس بن يوسف بن منصور الشدياق الحنثي اللبناني الماروني، ولد في أوائل القرن التاسع عشر من سلالة قديمة أصلها من حصرون، درس مع إخوانه في مدرسة عين ورقة، وتعاطى التجارة، سافر إلى دمشق مدة ثم تطوع لخدمة الأمراء الشهابيين فأرسلوه إلى عكا ودمشق، فقام بأعباء خدمته بكل نشاط^١، عين فيما بعد قاضياً على نصارى جبل لبنان، كان الشدياق ضليعاً بالموثرات السياسية في أيامه، فاستخدمه الأمراء كعميل وجاسوس، وقد صعد ارتباطه بالأسرة الحاكمة وعلاقاته مع العائلات الإقطاعية الأخرى^٢، ودفعه اهتمامه بتاريخ الحكم الإقطاعي بجبل لبنان إلى تأليف كتاب عنوانه (أخبار الأعيان في جبل لبنان)، وقد ساعده المعلم (بطرس البستاني) في تنقيحه وتهذيبه وطبعه على نفقته الخاصة.

الصيغة العامة للكتاب: يتألف من جزأين، الأول ثلاثة أقسام حوى الأول خمسة فصول، والثاني خمساً وعشرين فصلاً، والثالث ثمانية فصول توزعت بين الجزأين الأول والثاني. تعود أحداثه إلى سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م، وهو يستعيد تاريخ أسر أعيان جبل لبنان منذ قدوم كل منها إلى لبنان.

كعادة مؤرخي ذلك العصر يبدأ الكتاب بتمهيد يتضمن توضيح السبب والدافع الرئيسي الذي جعل المؤلف يدون أحداث كتابه هذه، فيقول الشدياق موضحاً " ... إنني لما رأيت تواريخ لبنان مختلفة التبيان، إما لاختلاف المؤرخين أو لعدم الاعتناء بسديد النقل المبين، أو لجهلهم الخبر اليقين، أو لخوفهم من الولاة الظالمين، أخذت أفحصها فحسناً مدققاً، وأسردا سرداً محققاً، وجعلتها مجموعاً من

^١ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٤٧.

^٢ القساطلي: الروضة الغناء،، ص ٣، مثال آخر ص ٢٢، ٥.

^٣ شيوخو: تاريخ آداب اللغة العربية،، ج ١، ص ١٠٣. أيضاً كحالة: معجم المؤلفين،، ج ٢، ص ١٦. وأيضاً طربين: التأريخ والمؤرخون،، ص ٩٨-٩٩.

^٤ لويس، هولت: مؤرخو العرب والإسلام،، ص ٣٣٤.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

مستوفي المطلوب على أحسن أسلوب، ... ولما تم جمعه ولدّ للطلبة سمعه، (سميته بأخبار الأعيان في جبل لبنان)، وقسمته إلى ثلاثة أقسام: الأول في الجغرافية والثاني في أنساب الأعيان، والثالث في أخبار الولاية، ونسأل الله تعالى أن ينفع به طالبيه ويفيد أفئدة راغبيه^١.

- القسم الأول من هذا الجزء فيه خمسة فصول قدّم معلومات تفصيلية عن جغرافية لبنان من حيث (الحدود، السكان، المدن، الأنهار، وما فيها من مقاطعات)، وينتهي بجدول يعدد الذكور في المقاطعات الجنوبية والشمالية.

- القسم الثاني: أوجز في الخمسة والعشرين فصلاً نسب ثلاث وعشرين عائلة لبنانية من أمراء ومشايخ النصارى والدروز والإسلام والمتاولة^٢.

وفي ختام هذين القسمين يعرف الشدياق القارئ بتاريخ الانتهاء من تدوينها، فيقول "تم القسم الأول والثاني في جغرافية البلاد ونسبة الأعيان وأخبارهم، ويتلوها القسم الثالث في أخبار الولاية، وكان الفراغ من تصنيفه وطبعه سنة ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م وذلك بمساعدة المعلم بطرس البستاني، فإنه أخذ بيدي في تنقيحه وتهذيبه وتقديم نفقة طبعه وترتيبه"^٣.

ويقدم تبريراً وعذراً يوضح فيه السبب في عدم التعريف بنسب بعض الأعيان، فيقول: "اعلم إنني لم أستوفِ الكلام في نسبة بعض الأعيان؛ لأنني لم أجِد في كتب القديمين إلا ما ذكرته عنهم، وهذا هو احتجائي لدى الذين لم أدخل نسبهم في هذا المؤلف، وقد اعتمدت في ما أوردته على مؤلفين مشهورين، ورواة صادقين، من إسلام ودروز نصارى ممن سيرد ذكرهم في آخر الكتاب بالتفصيل إن شاء الله تعالى"^٤.

ليستعرض في القسم الثالث أخبار الولاية من أبناء هذه الأسر^٥، وفيه ثمانية فصول: خمسة في الجزء الأول، والثلاثة الباقية مضمون الجزء الثاني .

أفرد الجزء الثاني للأمراء (الشهابيين)^١ و(الأرسلانيين)^٢ (واللمعيين)^٣ وأهم الأحداث السياسية الحاصلة في عهد كل منهم.

^١ طنوس الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ١، ص ٥.

^٢ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ١، ص ٣١-١٩٢.

^٣ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ١، ص ١٩٧.

^٤ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ١، ص ١٩٧.

^٥ من هذه الأسر التتوحيين والمعنيين وبني عساف التركمانيين وبني سيفا الأكراد ، انظر الشدياق: أخبار الأعيان،

.....، ج ١، ص ٤٩٥-٥٢٩.

في الختام كان الفراغ من تبييض هذا المؤلف وطبعه سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م وذلك بمؤازرة ومساعي المعلم بطرس البستاني فإنه أخذ بيدي في تنقيحه وتهذيبه وتقديم نفقة طبعه وترتيبه والحمد لله أولاً وأخيراً وهو حسبي ونعم الوكيل.^٤

أما الفهارس في هذا الكتاب فهي ثلاثة:

الأول: للأشخاص والأسر والفئات والقبائل والشعوب.^٥

والثاني للأماكن والبلدان والأحياء^٦ مع ملحق للمؤسسات والمنشآت العامة^٧

والثالث مقابلة السنوات الهجرية بالميلادية.^٨

اتبع الشدياق الأسلوب الحولي القائم على ذكر الأخبار سنة تلو الأخرى، غير أنه ركز حوادثه على الزعماء، ورجال الإقطاع، والأسر الحاكمة، فكل أسرة تكاد تكون حلقة خاصة ومستقلة في سلسلة تاريخه.

هذا التقسيم جعل المؤرخ يقع في التكرار، فاضطر إلى ذكر الحادثة عدة مرات، وذلك أدى إلى وقوعه في الخطأ، مثال ذلك أثناء الحديث عن (حنا بيدر) جعله عند كلامه عن العائلة النكدية^٩، ثم جعله كاثوليكياً عندما ذكر ولاية الأمير (وسف الشهابي)^{١٠}.

كتب الشدياق بأسلوب سلس جيد العرض وألفاظ سهلة واضحة، كان مشوشاً في بعض الأجزاء بسبب التكرار، مائلاً إلى الاختصار مبتعداً عن الحشو والتطويل، دافعه الأساسي هو المنفعة العامة فقط، وليس له أي غاية شخصية، ودليل ذلك تعبيره الصريح عن ذلك بالقول:

^١ لما توفي الأمير أحمد المعني وانقطعت به السلالة المعنية سنة ١٦٩٧م اجتمعت أكابر جبل لبنان على تعيين الأمير بشير ابن الأمير حسين الشهابي وبايعوه على الولاية. الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ٢، ص ٣١١-٤٩٤.

^٢ أول أمرائهم أرسلان بن مالك بن بركات توفي في سنة ١٧٨٧م. الشدياق، أخبار الأعيان،، ج ٢، ص ٤٩٥-٥٢٩.

^٣ أول أمير عليهم هو حيدر إسماعيل اللامي ولي على نصارى نهر إبراهيم إلى نهاية المقاطعات الجنوبية من قبل أسعد باشا عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م. الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ٢، ص ٥٣٠-٥٤٣.

^٤ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ٢، ص ٥٤٣.

^٥ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ٢، ص ٥٤٧-٥٨٥.

^٦ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ٢، ص ٥٨٦-٦١٢.

^٧ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ٢، ص ٦١٣.

^٨ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ٢، ص ٦١٤-٦٣٢.

^٩ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ١، ص ١٦٨.

^{١٠} الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ٢، ص ٣٣٩.

"خلا تاريخنا من كل ميلٍ ومين بين أخبار الزمان
وجاء بعون مولانا سديداً مفيداً ماله في النفع ثاب^١."

ويبين مصدر معلوماته فيقول: "... واعتمدت بما حدث في زمني على سمعي وعياني، وسبرت ما جاء به الرواة، ووقفت على ما حدثني به السراة وقد تجردت له النهار والليل، وجردت في تأليفه الميل، فإنه القلم الذي لا بد منه^٢."

وذكر أسماء عدد منهم (كالقلاعي، والدويهي، ابن سباط و) غيرهم، كما أن احتكاكه مع الأعيان اللبنانيين مكنه من الاعتماد على الروايات الشفوية، والمحفوظات في توثيق أحداثه^٣.

ومما يعطي كتابه تلك الأهمية هو الآتي:

- لم يكن الشدياق فقط شاهد عيان لأحداث كتابه، بل أيضاً كان يسهم في الحوادث الطائفية التي أنجر إليها اللبنانيون سنة ١٨٤١م، فقد شارك في معارك الشويفات الحاصلة معبراً بالقول: " فتحققت مفعول الدسائس وكانت هذه الواقعة غير خالية من الخيانة وسوء التدبير والجبانة^٤."
- ثقة الأمراء، وذلك يعود إلى كونه ضليعاً في الشؤون السياسية الجارية في عصره، مما دفع الأمراء الشهابيين إلى إرساله بالعديد من المهام السرية إلى الولاة ورؤساء الأحزاب، مثال ذلك قوله: " لقد أرسلني الأميران (يقصد بهما: حسن علي وسليمان سيد أحمد) إلى عبد الله باشا يتلمسان منه إطلاق سراح المشايخ المحجوزين عنده^٥."
- قدم الشدياق صوراً شاملة وواضحة عن أهم التقسيمات الإدارية والإقطاعية الموجودة في لبنان مبيناً التركيبة الاجتماعية العامة، ويتجلى هذا بتقديم تفصيلات عن الأسر والمشايخ والمقاطعات الجنوبية والشمالية^٦.
- يعطي الكتاب تفصيلات حول أصل العائلات وقيامها في لبنان، والتي يندر وجودها في أيّ مكان آخر، كما أنه لم ينظر إلى لبنان بأنه عبارة عن إقليم موحد تحكمه عائلة أميرية واحدة، بل رآه ككل تركيباً من العائلات لكل منها ملكه الخاص من السلطة، وكلها متوازنة بصورة معقدة ومرتبطة مع بعضها^٧.

^١ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ١، ص ٥.

^٢ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ١، ص ٥.

^٣ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ١، ص ٤ / أنظر أيضاً، لويس، هولت: مؤرخو العرب والإسلام،، ص ٣٣٤.

^٤ الشدياق، أخبار الأعيان،، ج ٢، ص ٤٨٥ - ٥٣٤، مثال آخر ج ٢، ص ٤٩٠.

^٥ الشدياق، أخبار الأعيان،، ج ١، ص ١١٩.

^٦ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ١، ص ١٩-٢٩.

^٧ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ٢، ص ٤٩٥ - ٥٢٩. لويس، هولت: مؤرخو العرب والإسلام،، ص ٣٣٤.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

تلك هي أهم النقاط التي تضمنها كتاب الشدياق، والذي من خلاله تمّ التعريف بمنهجه في التأريخ لجبل لبنان.

ومن مؤلفاته أيضاً مختصر لتاريخ البطريك (أسطفهان الدويهي)، و(قاموس في اللغة العامية)، و(ديوان الشعر)^١.

توفي في عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م بعد أن طبع تاريخه بسنتين، وله من الأولاد نجا وفارس^٢.

٢- عبد الرزاق البيطار (١٢٥٣-١٣٣٥هـ / ١٨٣٤-١٩١٦م).

أ. حياته:

هو العلامة المصلح المؤرخ الأديب الشيخ عبد الرزاق بن حسن بن محمد بن حسن بن إبراهيم عبد الله، الشهير بـ البيطار، الدمشقي الميداني، ولد في دمشق في حي الميدان سنة ١٢٥٣هـ - ١٨٣٤م^٣.

- انحدر البيطار من أسرة علمية عريقة بالعلم والعلماء، وصفها العديد من المؤرخين منهم محمد أديب تقي الدين الحصني^٤ حينما ذكر البيوتات العريقة في دمشق "ومن الأسرة الشهيرة في العلم والفضل في حي الميدان ودمشق بنو البيطار، قيل أن أصلهم من بلاد الغرب -يعني المغرب- خرج من رجال هذا البيت جماعة من أجلة العلماء والشعراء^٥ ولا بد من ذكر وصف صديق البيطار (القاسمي)^٦ له

^١ كحالة: معجم المؤلفين،، ج ٢، ص ١٦.

^٢ الشدياق: أخبار الأعيان،، ج ١، ص ١١١.

^٣ محمد بن ناصر العجمي: أديب علماء دمشق الشيخ عبد الرزاق البيطار (حياته وإجازته)، دار البشائر الإسلامية، البحرين، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٧/أنظر أيضاً الزركلي: الأعلام،، ج ٣، ص ٣٥١.

^٤ محمد تقي الدين الحصني (١٨٧٥-١٩٤٠): الدمشقي مؤرخ أصل أسلافه من الحصن من قضاء عجلون با لبلقاء، ولد في دمشق، وولي نقابة الأشراف، توفي فيها من آثاره (منتخبات التواريخ في ثلاثة أجزاء). كحالة: معجم المؤلفين،، ج ٩، ص ٣٦.

^٥ الحصني: منتخبات التواريخ لدمشق، تقديم: كمال سليمان الصليبي، ٣ أجزاء، دار الأفق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م، ج ٢، ص ٧٦.

^٦ جمال الدين القاسمي (١٢٣٨-١٣٣٢هـ / ١٨٦٦-١٩١٤م): جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي الحلاق، عالم مشارك في أنواع العلوم، ولد بدمشق ونعلم بها، انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس في البلاد السورية فأقام في عمله أربع سنوات، ثم رحل إلى مصر وزار المدينة، وعاد إلى دمشق وانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامّة، من تصانيفه (تفسير القرآن الكريم) وغيرها. كحالة: معجم المؤلفين،، ج ٣، ص ١٥٧.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

بقوله: " ولا غرور فالشيخ الأستاذ حفظه الله، نزهة المجالس، وفريد عصره لطفاً، ورقة حاشية، وحسن محاضرة، وتبحراً في كل موضوع..."^١

- تعلم القراءة والكتابة منذ نعومة أظفاره ثم حفظ القرآن الكريم وجوّده على يد شيخ قراء الشام (أحمد الحلواني ت ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م)^٢، يقول البيطار: "قد حفظت عليه القرآن الشريف ثم اخذت عليه تجويده بمقام الإتقان"^٣. انتقل بعدها إلى حفظ المتن في مبادئ العلوم على يد والده الشيخ حسن البيطار، وبعد وفاته قرأ على شقيقه الثاني عبد الغني البيطار^٤ علم القراءات، لازم فيما بعد دروس محمد الطنطاوي فأخذ عنه العلوم العربية والشرعية، متوسعاً في المعقول والمنقول، ومتعمقاً في علم الميقات والفلك والحساب، صحب الأمير عبد القادر الجزائري فقرأ عليه، وأخذ عنه الفصل بالعدل في القضايا، ومن أبرز ماحل بساحته من الحوادث والمتاعب في حياته أن العهد الذي عاش فيه غلبت عليه سمة الجمود والتقليد لمن سبق، فالأقوال كانت تلقى بالتسليم دون تعرضها للتحقيق والتدقيق لمعرفة الصحيح من السقيم، فاستمر البيطار على طريقة معاصرة متأثرة بها، إلى أن ألهمه الله الأخذ بالكتاب والسنة وعدم قبول رأي أحد من دون حجة فكان من أول العلماء الذين أخذوا بالدليل،^٥ هذا الأمر جعله عرضة للحساد والمنافسين الذين استعانوا بالسلطة الزمنية، ليحطوا من قدره عند العامة.^٦ وقد أفاض صديقه القاسمي في ذكر حادثتين كادت أن تطيح بالشيخ وحياته.^٧

^١ القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره،، ص ٣٩٠.

^٢ أحمد الحلواني: أحمد بن السيد علي بن السيد محمد الشهير بالحلواني شيخ قراء دمشق الشام، ولد سنة ١٢٢٨هـ في دمشق، اتصل نسبه بالسيد سليمان السبسي المنسوب لسيدنا العارف بالله السيد أحمد الرفاعي شيخ الطريقة الرفاعية، له رسالة في التجويد سماها (المنحة السنية)، ثم شرحها شرحاً لطيفاً سماه (اللطائف البهية)، توفي ١٣٠٧هـ/البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

^٣ حلية البشر،، ج ١، ص ٢٥٤.

^٤ عبد الغني البيطار: حسن بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد البيطار، ولد سنة أربعين ومائتين وألف، نشأ في حجر والده، ثم قرأ القرآن الشريف على شيخ القراء في الديار الشامية الشيخ أحمد الحلواني، ثم قرأ على والده كتب النحو والصرف والفقه والحديث والتفسير والتوحيد وغير ذلك، وقد تتلمذ على يد عدد كبير من الشيوخ، توفي مساء يوم الثلاثاء سابع عشر رجب عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف ودفن في دمشق بترية باب الله. البيطار: حلية البشر،، ج ٢، ص ٨٧٣-٨٨١.

^٥ كحالة: معجم المؤلفين،، ج ٢، ص ١٣٩.

^٦ مجلة المقتبس: الشيخ عبد الرزاق البيطار، عدد ٩٥، ١-٢، ١٩١٤.

^٧ القاسمي: جمال الدين وعصره،، ص ٣٨٤-٣٨٨.

ب. أسفاره:

عَرَفَ البيطار قدر الرحلة وفضلها، فهاهو يقول في أحد مؤلفاته: "قد قيل: إن المرء ببلدته ضائع، والليث في غيضته جائع، فعليك بالتغرب لترى الدُّنيا، وتترك المئى، وإياك وخبث الطويّة، وخوف المنيّة، فإنها لأتدفع في الوطن والحضر، ولا في الغربة والسّفر..."^١ رحل إلى العديد من البلدان كالقاهرة، وقد أشار إلى تلك الزيارة صديقه العلامة (جمال الدين القاسمي) بقوله: (رحلتنا إلى الأقطار المصرية، كان سبب العزم عليها أني في أواخر سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، دعيت مع الشيخ عبد الرزاق أفندي البيطار على قرية تل منين...) ^٢ أما بيروت فزارها أكثر من مرة، منها سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، في حين ذكر أن رحلته إلى بيت المقدس كانت في سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م. أما استانبول فزارها عدة مرات سنة ١٣٠٦هـ والثانية ١٣١٥هـ/١٨٩٧م أما الثالثة فحصلت لمبايعة السلطان (محمد الخامس)^٣

ج. وظائفه: ذكر حفيده محمد بهجة^٤ "أن البيطار بعيداً عن التربع في المناصب والاعتزاز بالمظهر الكاذب عرض عليه العديد من الوظائف في الإفتاء والقضاء، رفض كل وظيفة غير خدمة العلم الصحيح، ونشره بين طبقات الأمة بالتعليم والإرشاد والتصنيف."^٥

- درس البيطار في جامع كرم الدقاق بالميدان^٦، وكانت مجالسه الخاصة والعامة مملوءة بالفوائد العلمية والأدبية، وكان مقصد العلماء والأعيان والأدباء^٧

^١ عبد الرزاق البيطار: المنظر البديع في رحلة الجيدور وحوار أيام الربيع، نسخة مكتبة (حفيد الشيخ محمد بهجة البيطار، ٣/ب)، العجمي: أديب علماء دمشق،، هامش ١، ص ٢٠.

^٢ القاسمي: جمال الدين القاسمي وعصره،، ص ١٤٠، ١٣٣.

^٣ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٦٩، ٢٠٥. ج ٢، ص ٧٨٣، ج ٣، ص ١٤٤٤

^٤ محمد بهجة البيطار: (١٣١١-١٣٩٦هـ / ١٨٩٤-١٩٧٦م) ولد بدمشق لأسرة دمشقية عريقة تعود جذورها إلى الجزائر قبل أكثر من مئة عام، والده هو الشيخ محمد بهاء الدين بن عبد الغني الشهير بالبيطار، ترك بهجة ١٥ كتاباً وتحقيقاً لبعض كتب شيوخه منها (كتاب قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لجلال الدين القاسمي)، وحقق كتاب جده (حلية الشر في تاريخ القرن الثالث عشر). أسامة شحادة: عالم الشام محمد بهجة البيطار، مجلة البيان، عدد ١، الخميس ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص ١.

^٥ العجمي: أديب علماء دمشق،، ص ١١٧.

^٦ كرم الدقاق: لا يزال في حي الميدان الفوقاني شرقي الطريق العام، في المحلة التي تعرف بالقبيبات مقابل حمام الدرب، وعرف بذلك الاسم نسبة إلى بانيه في العهد المملوكي القاضي كريم الدين. قتيبة الشهابي: معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشيدات ومواقعها وتاريخها كما ورد في نصوص المؤرخين، ٣ أجزاء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د. ط، ١٩٩٩م، ج ١، ص ١٢١.

^٧ محمد ظريف الصواف: موسوعة الأسر الدمشقية أسرة البيطار، مديرية أوقاف دمشق، ١٣/ ٢٨٦.

د. وفاته:

قال محمد كرد علي: "نكب البيطار بفقد ولديه^١ الوحيدين في آخر حياته، فزهد ذلك في العالم وَرَحَرَحَهُ عن التأليف والتدريس"^٢ وفي عاشر ربيع الأول سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٦ م، توفي في دمشق ودفن في تربة باب الله بالميدان^٣

هـ. مؤلفاته:

١. إنتاجه العلمي: تبلغ تأليفه بضعة عشر كتاباً، بعضها ديني وأكثرها أدبي، وأكبرها تاريخي، وأهمها كتاب (رجال القرن الثالث عشر)^٤

٢. له رسالة بعنوان (رواية الفقير عبد الرزاق البيطار عن شيوخه بخطه في دار الكتب المصرية برقم ١٧٥٧٨)^٥.

٣. كان للشيخ مؤلفات في الرحلة منها:

* الرحلة القدسية.

* الرحلة البعلية^٦.

* المنظر البديع في رحلة الحيدور وحوار أيام الربيع، وهي بخطه، وتقع في ٣٦ (ورقة) وهي في مكتبة حفيده الشيخ محمد بهجة البيطار، التي آلت إلى مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث^٧.

٤. تأليفه الدينية منها: أ-المنة في العمل بالكتاب والسنة. ب-المباحث الغرر في حكم الصور. ج-اللعة في الاقتداء حال التشهد في صلاة الجمعة^٨.

^١ يذكر الشيخ عاصم ابن الشيخ محمد بهجة البيطار أن له ولدين الأول الشيخ أحمد، والثاني سعدي وقد توفيا في حياته، وله من البنات ثلاث: شفيقة، وميمونة وهي والددة محمد بهجة البيطار، وكاتبة. العجمي: أديب علماء دمشق،، هامش ١، ص ١٢٤.

^٢ المقتبس: الشيخ عبد الرزاق البيطار،، عدد (٩٥).

^٣ كحالة: معجم المؤلفين،، ج ٣، ص ١٣٩.

^٤ البيطار: حلية البشر،، ج ١، المقدمة، ص ١٩.

^٥ العجمي: أديب علماء دمشق،، ص ١٢٣.

^٦ القاياتي: نفحة البشام في رحلة الشام،، ص ١٥٤.

^٧ العجمي: أديب علماء دمشق،، هامش ١، ص ١٢٤.

^٨ البيطار: حلية الشر،، ج ١، المقدمة، ص ١٩-٢٠.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

٥. أما إنتاجه الشعري: اهتم البيطار بالموسيقى العربية، وكان مرجعاً فيها، فنظم بعض القصائد والموشحات المشهورة، وله العديد من القصائد بعضها وجد في كتاب حلية البشر، ومقطوعات في كتاب أعلام الأدب والفن^١.

٦. بالإضافة إلى موهبة التأليف، كان للشيخ موهبة أخرى هي عنايته بجمع الكتب والمخطوطات، واقتناؤه للنفيس منها، قيل في ذلك: (اشتدَّ وَلَعُ الشيخ عبد الرزاق البيطار بالمخطوطات القديمة التاريخية والأدبية حتى أنه جمع منها في داره بالميدان نحو ألف مخطوط، وألف مطبوع...، وقد فُقدَ قسم وبقي آخر)^٢

و. أهم شيوخه:

ذُكر أن للمؤلف رسالة موجودة في دار الكتب المصرية بخط يده أوجز فيها شيوخه بقوله: "إنني بحمد الله قد أخذت عن مشايخ كثيرين واتصل سندي بهم بسيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه أجمعين، منهم بل أفضلهم مئة عليّ: سيدي الوالد الشيخ حسن البيطار تغمده الله برحمته وأحسن إليه في دار القرار...، وإن الجميع بحمد الله قد أجازوا لي بالإجازة العامة بما تجوز لهم روايته عن مشايخهم الكرام، وأساذنتهم السادة العظام، في جميع الكتب والفنون والعلوم الشرعية والحديثية والتفسيرية والآلية"^٣. وسنستعرض بعض هؤلاء الشيوخ:

* حسن البيطار (١٢٠٦-١٢٧٢هـ / ١٧٩١-١٨٥٥م)

خير من يصفه ولده الشيخ البيطار، فيقول: (حسن بن إبراهيم بن حسن بن محمد بن حسن بن إبراهيم بن عبد الله الشافعي، الأشعري، النقشبندي، الميداني، إقامة ومدفناً، الوالد الأعظم، والسيد الأفخم والأكرم، والعالم النحير الجامع في العلوم العقلية والنقلية، ... المقتدي بالكتاب والسنة المحمدية، ... ولد سنة ست ومئتين وألف، شب في حجر والده، وحينما بلغ سن التميز وجهه والده لتعلم القرآن الكريم... تفقه على يد عدد كبير من الشيوخ، وقرأ كثيراً من العلوم الآلية والشرعية، اعترف له شيوخه بالإجازة، وألزموه بالتدريس والإفادة،... حضر عليه البيطار جملة من الفنون من نحو

^١ جندي: كتاب أعلام الأدب والفن،، ج١، ص ٢٢٢.

^٢ فيليب دي طرازي: خزائن الكتب العربية في الخافقين، طبعة وزارة التربية، لبنان، ١٩٤٧، ج١، ص ٢٨٣. أنظر أيضاً العجمي: أديب علماء دمشق،، ص ١١٩.

^٣ رسالة رواية الفقير عبد الرزاق البيطار، نسخة دار الكتب المصرية، رقم ١٧٥٧٨، ق ١٢٤-١٢٦، العجمي: أديب علماء دمشق،، هامش ١، ص ١٩.

^٤ لمعرفة المزيد عن شيوخ البيطار انظر العجمي: أديب علماء دمشق،، ص ١٧-١٨-١٩.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

وصرف، وعروض وقواف، وفقه وحديث، وغير ذلك من كتب الرقائق والوعظ والأدب^١ توفي بدمشق، ودفن في تربة باب الميدان، من آثاره (إرشاد النفس في فضل الجهاد)^٢

* محمد الطنطاوي (١٢٤١-١٣٠٦هـ / ١٨٢٦-١٨٨٩م):

هو الشيخ محمد بن الشيخ مصطفى ابن الشيخ يوسف بن الشيخ علي الطنطاوي الأزهرى، فلكي مشارك في العلوم العقلية والنقلية، ولد في طنطا^٣، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، سافر بلاد إلى الترك، رحل إلى الشام سنة ألف ومئتين وخمس وخمسين، وقرأ على يد عدد من الشيوخ، صحب الأمير عبد القادر الجزائري^٤ في سنة ألف ومئتين وستين عاد إلى مصر، ودخل الجامع الأزهر وانقطع لطلب العلم بهمة وجد واجتهاد على يد عدد من المشايخ، من ثم رجع إلى الشام واستوطن دمشق في محلة الميدان سنة ألف ومائتين وخمس وخمسين، جلس في حجرة جامع (سيدنا صهيب الرومي)، فأقبل عليه الطلبة، له العديد من الآثار، توفي في عام ألف وثلاثمائة وستة، ودفن في تربة باب الصغير، وله العديد من القصائد^٥.

- مؤلف البيطار الأهم والذي نال شهرة واسعة في مجال التاريخ هو (كتاب حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) لذا سيتم التطرق بشكل موجز لأهم الموضوعات التي تضمنها الكتاب ومن ثم سنتعرف على المنهج، والأسلوب، والأهمية :

أ. مواصفات الكتاب:

الكتاب جامع لتاريخ بلاد الشام وحوادثها متضمن تراجم مجموعة أعيان من العلماء والمشهورين والأمراء الذين برزوا في القرن الثالث عشر الميلادي، كما احتوى على ترجمة لطائفة من رجال القرن الرابع عشر الميلادي وهم أحياء، وقد اشتمل على فوائد وفرائد عديدة، كتبه البيطار في شبابه، وكهولته، وشيخوخته، توقف فيه صاحبه على كثير من كتب التراجم فيجد القارئ ما لا يجده في غيره من كتب المصنفين، وقد عمل حفيد المؤلف محمد بهجة البيطار^٦ على نشره كاملاً دون تصرف فيه بزيادة أو نقص أو تغيير إظهاراً لأمانة النقل، غير أنه عمد إلى إضافة الحواشي لاستدراك ما فات المؤلف كتسمية ما لم يكن معروفاً من مؤلفات الأعلام وإضافة سنة وفاة من ترجم لهم في حياتهم،

^١ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ٤٦٣ وما يليها، وأنظر العجمي: أديب علماء دمشق،، ص ١٧.

^٢ كحالة: معجم المؤلفين،، ج ١، ص ٥٣١.

^٣ طنطا مدينة بمحافظة سوهاج بمصر، محطة للسكك الحديدية. الحموي: معجم البلدان،، مج ٥، ص ٢١٧١.

^٤ البيطار: حلية البشر،، ج ٣، ص ٧٢٥.

^٥ البيطار: حلية البشر،، ج ٣، ص ١٢٨٦. القاياتي: نفحة البشام،، ص ١١٨.

^٦ محمد بهجة البيطار: تم التعريف به ص ٢٠٩.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

ترك البيطار الكتابة والتصحيح في كتابه هذا قبل وفاته بأكثر من عشر سنين بسبب ما حلّ بيده اليمنى من مرض^١.

ب. الخطة العامة للكتاب:

صنف البيطار كتابه هذا في ثلاثة أجزاء موجودة كلها، ومحقة من قبل حفيده.

بدأ الجزء الأول من الكتاب بالتسبيح والتحميد والشكر لله تعالى، طالباً منه أن يعم جميع تابعيه بوافر إحسانه، وأن ينعم عليهم بما يجذبهم بجوده ورضوانه، فهو المجيب لكل طالب وسائل، والقريب الذي من دعاه فقد استمسك بأنفع الوسائل^٢. ينتقل بعدها إلى التعريف بنفسه قائلاً: أما بعد فيقول العبد الفقير، والضعيف الحقيّر، المتبرئ من كل حول وقوة، والمتبوء نفسه، لخدمة ذوي الفضل والفتوة، الأسير الفاني والكبير الجاني، المفتقر إلى عفو مولاه المحسان الغفار، عبد الرزاق ابن المرحوم حسن إبراهيم البيطار أصلح الله خلل خاله، ونشله بمنه وكرمه من نكبة أو حاله، أن أحلى ما يتحلى به جيد الإنسان، وأولى ما يتحلى فيه الأديب الولهان، علم يكتسي به ويكتسبه، وفضل يتزين به وينتخبه، وفائدة يبيض غابر عمره بتسويدها، وعائدة تصرف نقد أيامه ولياليه بتقيدها.....الخ^٣

من ثم يعرض السبب الذي دفعه إلى كتابه هذا بقوله " ... قد كنت معروفاً بجمع أخبار السادة والأعيان، مشغولاً بالنقاط آثارهم المزيّنة بعقود الجمان، حتى رقت من أخبارهم أوراقاً شتى، بيد أنني إذا أردت الوقوع على مراد منها لا أجمع به حتى وحتى، فمن لي أن أجمعها في كتاب تعذب مطالعته، و تقرب على الطالب مراجعته، وإن أقصر الوطر، على ترجمة أعيان القرن الثالث عشر؛ لأن الأمين المحبي رحمه الله ترجم أهل القرن الحادي، كما أن القرن الثاني قد ترجمه المرادي، فأردت أن أتطفل عليهما بديوان يكون لكتابهما ذيلًا، وإن كنت أعلم أنني لست لذلك أهيلًا، ولكن من أعزب الغريب، وأعجب العجيب، هو أنني رأيت أن بعض الناس قد ضنوا بتراجهم أن تصاغ في قالب إحياء أخبارهم، ونشر مطوي أوصافهم وجميل آثارهم، لأنهم وإن كانوا في زمانهم أشهر من نار على علم، إلا أنهم إذا لم تقيّد أسماؤهم في دفاتر نثرتها الأيام في مطوى العدم"^٤

ولكي لا يضع القارئ في حيرة وضح البيطار المنهج الذي اتبعه في كتابة تراجمه وتواريخه بقوله: "اقتصرت على ذكر من وصلت إليه، وطويت غالباً ذكر من لم يكن أعلم ماله وعليه، وحسب الطالب أن يقتصر على من وصلت إليه قوته وحوله، وإن يعلم ما لا يدرك كله لا يترك جله، ولم أزل

^١ البيطار: حلية البشر،، ج ١، المقدمة، ص ١٩-٢٠.

^٢ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٣-٤.

^٣ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٤.

^٤ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٥.

أقدم في هذا العزم رجلاً و أُوخّر أخرى، وأتردد في الإقدام والإحجام ولا أدري أيهما أخرى، إلى أن تذكرت ما قيل، من بديع الأقاويل، إن مرجاة، فهو من الملام بمنجاة، فحققت ما كنت أردت، وأظهرت من الفكر ما أضمرت، وشرعت في كتابة هذا الكتاب معتمداً في التسهيل على رب الأرباب، ووسمته وسميته، بعد ما أتممته وأنهيته حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، والأمل ممن نظر فيه، ورأى ركافة نثره و قوافيه، أن يرحم بحسب التأويل جامع، أو يصون عن استماع كلامه مسامحه، والأولى أن يلتبس له عذراً، ويسبل على ما بدا له منه سراً، ... فإني كلفت نفسي الصغيرة شيئاً كبيراً، وأقحمتها في نفس الأمر أمراً عسيراً، محافظة على إحياء ذكر هؤلاء السادة الأفاضل، والقادة الحائزين لأعلى الشمائل لسيرتهم أن تتلى كما تتلى السور، ورأيتُ أن أرتبه على حروف المعجم لأعلى الأعوام، ليكون على قريب المراجعة سهل المرام، والله أسأل أن يجعله خالصاً من شوائب الملام، وأن ينعم على جامع و مطالعه والمسلمين بحسن الختام^١.

بعد هذا التمهيد البسيط الذي وضح فيه الأسباب التي دفعتني إلى هذا الكتاب، والمنهج المتبع ابتداءً بأول تراجمه في حرف الألف بالشيخ إبراهيم بن حسن بن محمد بن حسن بن إبراهيم البيطار جد المؤلف من خلال ذكر الاسم الكامل وأهم صفاته، وأخلاقه، وأساتذته، ومؤلفاته، وما قاله وما قيل عنه من أشعاره، ومكان وفاته^٢.

يتابع البيطار تراجم الأعيان والمشايخ لمن هم في حرف الألف، متبعاً الأسلوب ذاته غير أنه عندما يصل إلى ترجمة الشيخ (أحمد مسلم بن الشيخ عبد الرحمن الكزبري الشافعي الدمشقي)^٣ بعد مقدمة تقرير طوييلة، ذكر فيها ميلاده، وفاته، مؤلفاته وأخلاقه ويضع عنواناً (ذكر أول من جلس للحديث تحت قبة النسر) عرض خلالها لمحة مختصرة عن تاريخ المسجد الأموي، وما قيل عنه من قبل المؤرخين كابن عساكر والنعمي^٤ وغيرهم، متطرقاً لتراجم سلسلة من المحدثين في جامع بني أمية تحت قبة النسر ناقلاً نبذاً من تراجمهم من تاريخ المحبي والمرادي^٥، لينهي حرف الألف بترجمة للشيخ أنيس الحمصي الواعظ رئيس المؤذنين في جامع بني أمية^٦.

^١ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٥-٦.

^٢ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٦.

^٣ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٩ ومايليها

^٤ النعمي (٨٤٥-٩٢٧هـ/١٤٤٢-١٥٢١م) عبد القادر محمد بن عمر بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن نعيم، أبو المفاخر، مؤرخ دمشق في عصره من علماء الحديث، مولده ووفاته في دمشق، من كتبه (الدارس في تاريخ المدارس)، (تذكرة الأخوان في حوادث الزمان) وغيرها من المؤلفات. الزركلي: الأعلام،، ج ٤، ص ٤٣.

^٥ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ١٤٦، ١٦٦.

^٦ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٣٦٦.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

يحتل حرف الباء من ص ٣٦٨-٤١٢ وأول تراجمه في حرف الباء هو الشيخ بلبل أفندي بن عاشر أفندي الواعظ في جامع بني أمية، وآخرها هو الشيخ بدر الدين أبو النور عثمان بن سند النجدي الوائلي ثم النصيري المالكي^١.

أما حرف التاء فقد حظي الشيخ تقي الدين الدمشقي الشافعي من ذرية تقي الدين الحصني بالترجمة الأولى، وانتهى بالسيد توفيق أفندي البكري نقيب السادة الأشراف لمحروسة مصر^٢.

ترجم في حرف التاء لشخصين فقط هما ثعيلب بن سالم المصري الشهير بالغشي، والشيخ ثونبي بن عبدالله بن محمد مانع العرش الهاشمي العلوي الشبيبي^٣.

يتابع على المنوال نفسه تسلسل الحروف الجيم^٤، والحاء^٥، والخاء^٦، والدال^٧، والذال^٨ وبنهاية تراجم هذا الحرف ينتهي الجزء الأول من الكتاب بعبارة بحمده تعالى، قد تمّ هذا الجزء الأول من حلية البشر، وتراجع مزائده وفوائده في مقدماته، ويليه الجزء الثاني وأوله راشد بن سعيد الرواحي^٩ كتبه الضعيف محمد بهجة البيطار^{١٠}.

ذكر أن الجزء الثاني ابتداء بحرف الراء المهملة، والسيد راشد بن سعيد الرواحي من أذكاء أدباء البحرين وعمّان احتل هذا الحرف حوالي ٢١ صفحة^{١١}.

انتقل بعدها إلى حرف السين المهملة، والقاضي سالم بن محمد الدرمني من علماء البحرين وعمّان وينهي بالشيخ سلمان الفيومي، المالكي، الأزهري^{١٢}.

أفرد حرف الشين ليتّرجم لثلاث شخصيات فقط هم: السيد شاكر بن علي بن سعد بن علي بن سالم العمري الحنفي الدمشقي، والشيخ شاكر بن خليل بن ناصر بن محمد المجذوب الرفاعي

^١ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٤١٢.

^٢ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٤١٣-٤٣٢.

^٣ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٤٣٣-٤٣٤.

^٤ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٤٣٥-٤٦١.

^٥ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٤٦٢-٥٦٩.

^٦ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٥٧٠، ٥٩٧.

^٧ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٥٩٧-٦١١.

^٨ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٦١٢-٦١٣.

^٩ انظر ترجمته، البيطار: حلية البشر،، ج ٢، ص ٦٢٥.

^{١٠} البيطار: حلية البشر،، ص ٦١٣.

^{١١} البيطار: حلية البشر،، ج ٢، ص ٦٢٦-٦٤٧.

^{١٢} البيطار: حلية البشر،، ج ٢، ص ٦٤٨-٦٩٥.

الميداني، والشيخ شعبان بن عبدالله بن شعبان الإنطاكي^١، أما فيما يخص حرف الصاد فالشيء اللافت ما ذكره البيطار أثناء ترجمته للشيخ صادق أفندي، الواعظ الحنفي حيث يقطع المؤلف ترجمته تحت عنوان مطلب تطرق فيه إلى قصة محمد بهاء الله رئيس البابية، عارضاً خلالها ملخص الرسالة بعد تعريبها من اللغة التركية إلى العربية، تضمنت مبدأ ظهور البابية وادعائهم الألوهية وأمور أخرى تخص تلك الطائفة، لينهي هذه الرسالة بقوله: "هذا ملخص الرسالة مع حذف ما لا حاجة إليه مما لا ارتباط له بأمر الديانة والاعتقاد"^٢. ثم يتابع بعدها عرض تراجمه ليصل إلى حرف الطاء^٣ والظاء^٤. هذان الحرفان احتلا حوالي (١٩) صفحة في هذا الجزء، بينما احتوى حرف العين (١٧٤) ترجمة، لينتهي الجزء الثاني بعبارة المحقق: "قد انتهت تعليقاتي على هذا الجزء الثاني من حلية البشر بعد صلاة العشاء من يوم الجمعة في ١٨ شوال، سنة ١٣٨٢هـ / ٢٣/٣/١٩٦٣"، يليه الجزء الثالث والشيخ محمد بن السيد إسماعيل بن الشهاب أحمد المثني، وعند الوصول إلى ص (١٤٢١) وضع محقق الكتاب حفيد مؤلفنا تحت عنوان (استدراك) تطرق فيه لترجمة الشيخ محمد بن حسن بن إبراهيم الشهير بالبيطار الدمشقي الميداني وهو الأخ الأكبر للمؤرخ محمد البيطار، فيقول: "فات مؤلفنا العلامة أن يترجم لشقيقه الأكبر الشيخ محمد البيطار مع أنه ترجم لولده الشيخ محمود، وأنا أنقل ترجمته عن منتخبات التواريخ لتقي الحصني، وروض البشر للأستاذ الشطي، ولما كتبه هو بقلمه رحمه الله تعالى"^٥. وبعد عرض طائفة من المشايخ والأمراء والأعيان من هم في حرف الميم يتابع تسلسل الحرف متبعاً نفس الأسلوب في عرض تراجمه حرف النون^٦، والهاء^٧، والواو^٨، وأخيراً الياء^٩، وذلك بوضع مقدمة عرف فيها بالاسم الكامل، وأهم صفاته، أخلاقه، أساتذته، تلاميذه، مؤلفاته، أشعاره، وبحرف الياء آخر الحروف ينتهي الجزء الثالث بمستدركات، وضع المحقق ترجمة لمن لم يترجم له وهم الشيخ محمد الشطي^{١٠} وأحمد الشطي^{١١}، محمد جميل الشطي^{١٢}.

^١ البيطار: حلية البشر،، ج ٢، ٦٩٧-٧٠٠.

^٢ البيطار: حلية البشر،، ج ٢، ٧٠٦.

^٣ البيطار: حلية البشر،، ج ٢، ٧٤٧-٧٥٨.

^٤ البيطار: حلية البشر،، ج ٢، ٧٥٩-٧٦٥.

^٥ البيطار: حلية البشر،، ج ٢، ١١٤٣.

^٦ البيطار: حلية البشر،، ج ٣، ص ١٤٢١.

^٧ البيطار: حلية البشر،، ج ٣، ١٥٦٩-١٥٧٤.

^٨ البيطار: حلية البشر،، ج ٣، ١٥٧٥-١٥٨٠.

^٩ البيطار: حلية البشر،، ج ٣، ١٥٨٠-١٥٨١.

^{١٠} البيطار: حلية البشر،، ج ٣، ١٥٨١-١٦٢١.

^{١١} البيطار: حلية البشر،، ج ٣، ١٦٢٣.

- بلغ عدد التراجم التي احتواها الكتاب حوالي ألف وستمئة وست عشرة سيرة وترجمة.

بعد التعريف بشكل مختصر بما تضمنه الكتاب من تراجم، لابد من التساؤل عن الأسباب التي تعطي كتاب البيطار أهمية كبيرة؟ هل ذلك يا ترى يعود لكون الكتاب اختص بذكر تراجم الأعيان وشيوخ القرن الثالث عشر؟ أو أنه يعد كتاباً تراثياً غنياً بالمعلومات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية جعلته مرآة العصر لتلك الفترة؟ أم توجد أسباب أخرى؟

هناك أسباب كثيرة تؤكد أهمية هذا الكتاب نذكر منها:

١. يعدُّ مصدراً مهماً مختصاً بتاريخ تراجم بلاد الشام في القرن الثالث عشر، وهو سجل حافل بالأوان الحياة الشامية، وما يمثلها في البلاد العربية.

٢. دقته وأمانته في عرض تراجمه، دليل ذلك ما كتب أثناء ترجمة السيد أبي العرفان بن الصهبان الشافعي الأشعري، نقل البيطار كلاماً كتبه (المؤرخ الجبرتي) في (كتابه عجائب الآثار)^١، غير أن مؤلفنا أدخل عليه بعض التغيير، فصرح بذلك بقوله: " انتهى كلام الجبرتي مع بعض التغيير"^٢، وقوله أيضاً عند قيامه ببعض الاختصارات عبارة "انتهى كلامه ملخصاً"^٣.

٣. قربه من الواقع وموضوعيته، يتجلى ذلك واضحاً في مقدمة كتابه التي صرح فيها بالسبب الذي دفعه إلى تأليف كتابه هذا بقوله: "لا أقصد بذلك سوى إحياء أخبارهم يقصد (الأعيان) ونشر مطوي أوصافهم وجميل آثارهم، إنهم إذا لم تقيد أسماؤهم في دفاتر، نثرتها الأيام في مطوى العدم"^٤

٤. قدّم الكتاب معلومات عن الأوضاع السياسية التي لحقت بالبلاد العربية والأمثلة في الكتاب كثيرة نذكر منها الاحتلال الإنكليزي لمصر^٥، احتلال فرنسا لتونس^٦، الفتنة التي حدثت بين النصاري

^١ البيطار: حلية البشر،، ج ٣، ١٦٢٥.

^٢ البيطار: حلية البشر،، ج ٣، ١٦٢٦.

^٣ الجبرتي (١١٦٧-١٢٤٠هـ/ ١٧٥٣-١٨٢٥م) أبو العزم عبد الرحمن بن إبراهيم بن حسن بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الجبرتي الزيلعي العقيلي المصري الحنفي من قرية جبرت توفي ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م، لديه العديد من المؤلفات منها (عجائب الآثار في التراجم والأخبار في ثلاثة أجزاء)، (مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين). خليل شيبوب: عبد الرحمن الجبرتي، دار المعارف للطباعة والنشر، د.ط، ١٩٤٨م، ص ٢٧.

^٤ البيطار: حلية البشر،، ج ٣، ص ٧٢٥/ ج ٣، ص ١٣٩٣، والأمثلة كثيرة في النص ج ١، ص ١٣-١٥

^٥ البيطار: حلية البشر،، ج ٣، ص ٧٢٥/ ج ٣، ص ١١٨٥-١٤٠١.

^٦ البيطار: حلية البشر،، ج ٣، ص ٧٢٥، ج ١، ص ٥.

^٧ البيطار: حلية البشر،، ج ٢، ص ٨٠٠، ج ٣، ١٢٤٠، ١٢٤٢.

^٨ البيطار: حلية البشر،، ج ٢، ص ٧٩٩، ج ٣، ١٤٥٦.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

والدروز في جبل لبنان،^١ مبيناً أثر تلك الأوضاع السياسية وانعكاسها على الوضع الاقتصادي، مثال ذلك الغلاء الذي أصاب البلاد الشامية بعد قدوم حملة إبراهيم باشا إلى بلاد الشام.^٢

٥. لخص السمات العقلية التي يسيطر عليها أصحاب الكرامات، ودليل ذلك ما ذكره أثناء ترجمته للشيخ إبراهيم بن محمد الزمزمي يقول:

"ومن فوائده سنة ثلاث وعشرين ومئتين وألف أن من حصل له صداع فقال ويده على رأسه لا إله إلا الله مئة وخمسة وستين مرة زال عنه الصداع... الخ"^٣.

٦. تتأكد القيمة التاريخية للحلية كمصدر هام للتأريخ الثقافي والعلمي، كونه يذكر بشيء من التفصيل التأليف والتصانيف والمتون والحواشي والملخصات والشروح التي كان يجري تدريسها في القرن التاسع عشر، كما يورد أسماء كثير من المدارس التي ازدهرت بالمعرفة العلمية والثقافية آنذاك كالسليمانية والمدرسة الظاهرية وجامع بني أمية.^٤

ويشرح مدى التطور العلمي الذي شهدته مصر خلال الحملة الفرنسية وبعدها، وما صاحبها من نهضة علمية تمثلت في عهد محمد علي بإرسال البحوث العلمية، ترجمة الكتب، انتشار الصحف، إحصار المعلمين من الخارج، تلك الأمور مجتمعة أسهمت في خلق جيل جديد وعصر جديد^٥ وهناك العديد من الأمثلة^٦.

٧. تأتي أهميته الكبرى من كونه عاصر معظم الأحداث التي كتبها، وشاهد أكثرها مثال ذلك قوله: "يقول الحقيير: أي: البيطار، كنت شاهداً وحاضراً في هذه المجالس والدروس"، وأيضاً "كما رأيت بخطه، واجتمعت به فرأيت، أرسل لي، سمعت من لفظه"^٧. والأمثلة كثيرة في النص

٨. احتواء الكتاب على مجموعة من الوثائق، والبيانات، منها البيان الذي أصدره إبراهيم باشا بعد استيلائه على عكا^١، وأيضاً البيان الذي كتبه الفرنسيون إلى مصر^٢

^١ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٢٧، ٢٨ وهناك العديد من الأمثلة على الأوضاع السياسية انظر ج ٢ ٩٧٦، ج ٣، ص ١٤٦١.

^٢ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ١٥، ٢٩، ١٠٥.

^٣ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٣٣، ومثال آخر ج ٢، ص ٤٦٨، ج ٣، ص ١٤١٢، ١٤٦٨.

^٤ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٤٨، ٦٥، ٩٦. وانظر أيضاً، ^٤طربين: الحياة العلمية في بلاد الشام في القرن الثالث عشر الهجري من خلال (كتاب حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق البيطار) ضمن كتاب المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام، ٣ أجزاء، جامعة دمشق، ١٩٧٨م، ج ٢، ص ٦٥٢-٦٥٣.

^٥ البيطار: حلية البشر،، ج ٢، ص ٧٤، ٦٣ وما يليها، مثال آخر ج ١ ص ٦٣٦.

^٦ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ١٩٦، ٢٩٨، ج ٣، ص ١٤٩٩، ١٥٥٥، الأمثلة كثيرة في النص

^٧ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٤٩٨، ٣١، ج ٢، ص ١٠٢٧، ج ٣، ص ١٥٥٥

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

٩. الشعر هو أهم نشاط ثقافي اهتم به البيطار، وأسهب كثيراً في ذكره الشعر والشعراء، فنلاحظه تارة يقول: (قال بعضهم، من نظمه، أنشد لنفسه، فأجابه المترجم بقوله، وله، قال بعض الأفاضل)^٣.
١٠. نظرة المؤلف شمولية انتظمت في العالم العربي الإسلامي، فقد ترجم لأعيان المجتمع وعلمائه في مختلف حواضر بلاد الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وتونس والجزائر والهند وفارس وقبرص والبوسنة.^٤

بعد توضيح أهمية هذا الكتاب، لابد من معرفة أسلوب البيطار في التدوين

* العصر الذي عاش فيه البيطار كان عصر جمود وتقليد لمن سبق، وقد تأثر بهم، فاتبع الأسلوب ذاته الذي تبعه الأمين والمحبى قبله، وذلك من خلال مقدمة تفريط طويلة يفتح بها كتابه، ينتقل بعدها إلى ترجمة أبناء عصره حسب الحروف الهجائية.

* اتبع منهجاً علمياً يقوم على الإيجاز والتفصيل في ذكر الأحداث ورصدها، مثال ذلك ما ذكره عند ترجمة جمال الدين الأفغاني^٥ "هذا مجمل من أقوال السيد الأفغاني، أتيناها وفقاً لما افتراه عليه الجاهلون، ولو سلكنا في تاريخه مسلك التفصيل لأدى بنا إلى التطويل"^٦

ومثال آخر: قوله في خالد أبو البهاء ضياء الدين النقشبندى الدمشقي: "لو أردت ذكر عشر معشار ما مدح به ذلك الأستاذ، لخرجت عن منهج السداد، وتحولت عن الإيجاز الذي هو المراد"^٧. واتبع أسلوب الاختصار في ذكر قصائده التي تطرق لها في الكتاب، مثال ذلك قوله: "وهي طويلة هذا القدر فيها وفيه الكفاية لطالب الدراية والرواية"

^١ البيطار: حلية البشر،، ج ٢، ص ٩٦٢ هناك أمثلة كثيرة نذكر منها ج ١ ص ٢٧١-٢٧٦، ٤٢٠، ٤٢٣

^٢ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ١٠٥.

^٣ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ٤٧١، ٤٩٩، ٥١٥، ٥٢٥، ج ٢، ٦٣٤، ٦٨٧، ٧٢٢، ٧٣٨، ج ٣، ١١٩٤.

والأمثلة عديدة في النص

^٤ طريبن: التأريخ والمؤرخون،، ج ٢، ص ٦٤٨.

^٥ جمال الدين الأفغاني جمال الدين الأفغاني ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧: مصلح ديني مسلم من بلاد الأفغان تعاون مع الشيخ محمد عبده في إصدار مجلة العروة الوثقى في العاصمة الفرنسية، حث المسلمين على التحرر من الاستعمار وبعد أحد أبرز رجال الإصلاح في القرن التاسع عشر وأكبر داعية إلى الجامعة الإسلامية، وقد شن حملة دعائية واسعة للتبشير بها. / البعلبكي: معجم أعلام المورد،، ص ٦٠.

^٦ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٤٥.

^٧ البيطار: حلية البشر،، ج ١، ص ٥٨٥ أمثلة كثيرة في النص منها ج ١ ص ٢٧٥، ٤٠٦، ٥٤١، ج ٢، ٦٧١، ٨٨٩، ج ٣، ١٣٨١.

*^١ يتبع المؤلف وهو يترجم لشخصيات عصره التالي: نبذة عن حياة المترجم الثقافية والعلمية من سن التميز حتى الوفاة مستعرضاً شيوخ المترجم ومواد التدريس التي أخذها عن كل منهم، إضافة إلى أهم المؤلفات التي صنفها المترجم أو ألفها.

* مال في مؤلفه إلى استخدام أسلوب العصر الذي تغلب عليه العامية، من خلال ذكر الأمثال الشعبية؛ لتأكيد أقواله مثال ذلك: "يندم حيث لا ينفع الندم"^٢، وأيضاً "إن المرء ابن وقته وساعته"^٣ * نجد في الكتاب العديد من الكلمات التركية، وهي كثيرة في أجزاء الكتاب كلها منها (الشنك، كتحدا، الخندار).

بعد ذكر الأهمية والمنهج سنورد الأسلوب المتبع في تناول الشخصيات الموجودة في الكتاب:

- لم تقتصر تراجمه على الأمراء والأعيان بل أرّخ لمن ليس لهم آثار تذكر، كترجمته لبعض أهل الظروف المعروفة ونقله بعض ما يروونه من حكايات غريبة، وأمور مبتدعة^٤، وطوي ذكر ما لم يكن يعلم ماله وما عليه، كقوله عند حديثه عن أحد الشخصيات: (لم أقف على وفاته)، (وقوله لم أقف إلا على هذا القدر من هذه القصيدة)^٥.

- ترجم لإمرتين فقط الأولى هي السيدة رقية بنت المرحوم الشيخ إبراهيم بن الشيخ مصطفى السعدي^٦، والثانية مريم بنت محمد بن طه العقاد الحلبي الشافعية^٧.

- تباينت المساحة التي عرض عليها تراجمه، وذلك يعود إلى أهمية الشخص الذي يترجم له ففي حين احتلت ترجمته لشخصية إبراهيم باشا خمساً وعشرين صفحة^٨ نجد أن شخصية الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد الله الحنبلي الدمشقي لم تتجاوز أربعة أسطر، وهناك عديد من الأمثلة^٩.

^١ البيطار: حلية البشر،، ج٣، ص٧٢٥، ج١، ص ٥٧٩-٥٧٨ وهناك العديد من الأمثلة منها ج١، ص٩٩، ١٠٥، ١١٨، ٢٨٣، ٣٠١، ٥٠٨، ج٢، ٧٧٠، ٨٥٨، ٨٦٠، ٨٨٦، ٩٢٥، ج٣، ١٤٤٢، ١٥٨٣.

^٢ البيطار: حلية البشر،، ج٣، ص٧٢٥، ج١، ص٥.

^٣ البيطار: حلية البشر،، ج٣، ص٧٢٥، ج٢، ص٨٥٣.

^٤ البيطار: حلية البشر،، ج٣، ص٧٢٥.

^٥ البيطار: حلية البشر،، ج٢، ص ٩١٦، ج٣ ١٢٢٥ وهناك أمثلة كثيرة منها ج٢ ٩٤٨، ١٠٤٩، ١١٢٩.

^٦ البيطار: حلية البشر،، ج٢، ص ٦٣٥.

^٧ البيطار: حلية البشر،، ج٣، ص ١٥١٦.

^٨ البيطار: حلية البشر،، ج١، ص ١٥-٢٩ والأمثلة كثيرة منها ج١ ص ٤٦، ٦١، ج٢ ٨٢١، ٨٣٥، ٨٢٣، ٩١٥، ج٣ ١٢٨٨، ١٢٩٨، ١٣٧١، ١٣٨٢، ١٤٢٣، ١٤٤٩.

^٩ البيطار: حلية البشر،، ج١، ص ٣٠ هناك العديد من الأمثلة منها ج١، ٣٢، ٣٤، ٩٢-١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٦، أيضاً ج٢، ٦٢٥، ٦٣٠، ٨٢١، ٨٣٥، ج٣، ١٢٤٧.

منهجية البحث والتأريخ وأبرز المؤرخين في بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي

- لقد اختلفت أحكامه عن الشخصيات التي يترجم لها سلباً أو إيجاباً، فهو لم يقف موقف الناقل فقط بل عمل إلى إبداء رأيه في شخصيات كتابه، وأبرز ما يمثل ذلك وصفه محمد سليم باشا الصدر الأعظم والي دمشق الشام، بقوله: (كان رجلاً أحمقاً سفاكاً للدماء ليس له تبصرة في الأمور)^١، وقوله أيضاً في إبراهيم باشا بن محمد علي بأنه: (غشوم ظالم، وظلوم غاشم، خليفة الحجاج في أفعاله، وناهج منهجهم في أقواله وأحواله، محتو على القساوة مجبول على الغلظة والقساوة إلخ^٢.

فيما يخص موارده التي اعتمد عليها في كتاباته والتي ميزت أسلوبه فقد تباينت بين:

* كتابات من سبقه من المؤرخين الحوليين والتراجم، ويلاحظ وجود تنوع عند البيطار في طريق الاقتباس فهو أحياناً يلجأ لذكر اسم المؤلف وكتابه، مثال ذلك (العقود الجوهريّة في ملامح الحضرة الرفاعيّة لـ أحمد عزت باشا^٣، وفي موقع آخر يعرف باسم المؤلف دون الكتاب مثال: (نجدّه في ترجمة الجبرتي)، ذكره المحبي^٤، ويلجأ في مكان آخر إلى ذكر اسم الكتاب دون ذكر المؤلف مثال (قال صاحب التاج)^٥.

* الملاحظة والمشاهدة اللتان كان يقوم بهما بنفسه في الأحداث التي عاصرها، مثال ذلك قوله: (كنت زرتّه ونزلت داره، تصفحت، اجتمعت به)^٦

من خلال ما تقدم تم التعرف على منهج البيطار في التاريخ، الذي يتميز به عن غيره؛ فهو من العلماء البارزين في عصره وبلده، موصوفاً بعلو المكانة العلمية التي ميزته عن علماء وقته، فهو المقرئ والشاعر والأديب الذي تشتاّق الناس إلى مجالسه ومسامرته، وفي الدور الأخير من حياته كان من كبار دعاة الإصلاح.

ومما سبق نجد أن الأهمية الكبرى لمؤرخي بلاد الشام في القرن التاسع عشر الميلادي تكمن في تقديمهم أصدق الصور عن مجمل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كونهم شهود عيان لأحداث ذلك العصر.

^١ البيطار: حلية البشر،، ج٣، ص ١٢٤٤.

^٢ البيطار: حلية البشر،، ج١، ص ١٥.

^٣ البيطار: حلية البشر،، ج١، ص ٤٩٨٢.

^٤ البيطار: حلية البشر،، ج١، ص ٣٧، ١٣٧.

^٥ البيطار: حلية البشر،، ج١، ص ١٤٠ هناك أمثلة كثيرة في جميع أجزاء النص

^٦ البيطار: حلية البشر،، ج١، ص ٧١، ج٢، ص ٧٨٠، ج٣، ص ١٤٣٩ وهناك أمثلة كثيرة في النص

الخاتمة:

عاشت بلاد الشام في القرن التاسع عشر جملة من التطورات والأحداث كان لها تأثيراتها المباشرة على النهضة الفكرية التي شهدتها البلاد ممثلة بالمدارس، الجمعيات، الطباعة، والصحافة، والإرساليات التبشيرية تمثلت بدخول فئات ومجموعات تحكمت في شؤونها، أول تلك المجموعات مثلت بدخول العثمانيين بلاد الشام عام ١٥١٧م، وكانت السمة الغالبة عليه والتي استمرت قرابة ثلاثة قرون هي الجهل والتخلف والركود الذي شمل مناحي الحياة (السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية) كافة.

فالوالي أو الباشا كان يتمتع بالسيطرة الاسمية فقط، وكان نظام الالتزام يتحكم بأمور الزراعة، ويثقل كاهل الفلاحين بالضرائب، أما الفرد فكان مسحوقاً تحت أعباء الجهل والفقر والظلم، والعلم ظلّ مقتصرًا على المساجد والكتاتيب، في وقت انتشرت فيه الزوايا والطرق الصوفية التي لقيت تشجيعاً من قبل الحكام العثمانيين، والتي انحرفت عن طريقها الصحيح ليدخلها مظاهر السحر والشعوذات، غير أن هذا الأمر لم يستمر طويلاً فقد شهدت البلاد تحولاً جديداً عام (١٢١٣هـ/١٧٩٨م) تمثل بحملة نابليون بونابرت على أرض مصر حاملاً معه نظاماً وأفكاراً جديدة، أيقظت الشعور والحس الوطني، ومثلت أول تصادم حضاري بين الشرق والغرب، وقد ألقت تلك الحملة بظلالها على بلاد الشام عن طريق إبراهيم باشا الذي دخل البلاد عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣١م حاملاً معه أفكاراً تقدمية ونهضة كبيرة، كان لها تأثيرات جمّة على الحياة الاجتماعية والأدبية والاقتصادية والسياسية، تبعها قيام الحكم العثماني بحركة إصلاح عرفت باسم (التنظيمات العثمانية)؛ لتشهد البلاد على أثرها تطوراً جديداً شمل كافة مجالات الحياة وخاصة من الناحية (الفكرية)، تجلّى أبرزها بإدراكهم ضرورة تعليم المرأة، وافتتاحهم المدارس لتعليم الإناث، مؤكدين على أهمية أن تكون اللغة العربية لغة التدريس، موضحين مساوئ التعليم باللغة التركية. بعد هذه الجولة التاريخية عن تلك المرحلة، وطبيعة تياراتها الفكرية، ننقل إلى التعريف بأسلوب الكتابة التاريخية -وهذا هو جوهر البحث- لتبيان أهم التطورات التي شهدتها تلك الحركة، والتي يمكن إيجازها بالتالي:

كما هو متعارف عليه أن مؤرّخي بلاد الشام في فترة خضوعهم للحكم العثماني اتبعوا في كتابتهم التاريخية أسلوب الاجترار والترديد والنقل عن أسلافهم السابقين دون أي تجديد. أما القرن التاسع عشر فشهد كثرة في المؤلفات التاريخية المكتوبة التي نمت على يد مجموعة كبيرة من مسلمين بسورية، مسيحيين في جبل لبنان، بالإضافة إلى بعض الكتبة الذين عملوا في خدمة الأمراء والباشوات، فأوجز بعضهم عن التاريخ السياسي لجبل لبنان وآخرون أرّخو للمدن والأقاليم والعائلات، ومنهم من حلل أسباب الانفجار الطائفي لحوادث الستين التي شهدها القرن التاسع

عشر، متبعين منهجاً علمياً قائماً على التحليل والمقارنة للأحداث، معتمدين في تحليل الحدث على أهم ما توصلت إليه المكتشفات الأثرية الحديثة، كما أنهم استعانوا بالعلوم المساعدة لتفسير التاريخ، فقد صرح (الشهابي) أنه اعتمد في أول جزأين من كتابه على الفرمانات الرسمية التي تدور بين الولاة في جبل لبنان، كما حاول مؤرخو تلك الفترة الابتعاد قدر الإمكان عن (الأسلوب الحولي)، وذلك من خلال تقسيم كتبهم التاريخية إلى موضوعات، وأبواب، وعصور، وهذا ما ظهر جلياً في كتاب (الدبس) الذي أَرخ لأحداث سوريا حسب القرون، مفصلاً كل قرن على حدا. غير أن أهم ما يميز كتابات مؤرخي القرن التاسع عشر أن معظمهم كانوا شهود عيان لأفكار العصر وأسلوبه واتجاهاته الحضارية والسياسية، بل كانوا مشاركين فيها، وعليه قدمت كتاباتهم التي تركوها لنا أصدق الصور عن مجمل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبلاد الشام في القرن التاسع عشر.

- جاءت كتاباتهم سهلة، بسيطة وواضحة، استخدم بعضهم اللغة العامية والكلمات التركية، متبعين أسلوب الاستطراد والاسترسال والإيجاز حيناً آخر.
- رصدوا النشاط السياسي خلال فترة الحروب الأهلية التي تعرضت لها البلاد، فحللوا أسبابها، وحوادثها، ونتائجها.
- زخرت مؤلفاتهم برصد حالة الفقر الناجم عن الغلاء وارتفاع الأسعار وما أصاب البلاد من كوارث طبيعية، وتأثيرها المباشر على الحالة الاقتصادية العامة، كما وصفوا لنا المحاولات التي قامت بها الدولة العثمانية لتحسين الأوضاع بإصدار مجموعة من القوانين؛ لتدعيم الزراعة والصناعة والتجارة.
- أما فيما يخص الأوضاع الاجتماعية فقدموا تحليلاً شاملاً لوضع الأقليات الدينية، وأساليب الحكم العثماني في التعامل معهم، مع عرض معلومات قيمة عن أصل العائلات وقيامها في لبنان.
- وفي النهاية فإن للحركة التاريخية أهمية بالغة، ليست فقط لأنها علماً من العلوم نمت وكبرت مع المسيرة الإنسانية بل لأنها مرآة عكست مجريات الدول والحضارات ليستطيع المرء من خلالها التعرف على الأمم السالفة وإدراك مدى التطور الذي عاشوه، للاستفادة وأخذ العظة والعبرة. فنحن ندرس الماضي لكي نفهم الحاضر، ونخطط للمستقبل؛ فالتاريخ هو سياسة الماضي وعلى ضوء ذلك يكون الحاضر جزءاً من اختصاص المؤرخ؛ لأنه نتيجة وثمره للسياسات الماضية.

مصادر البحث

التقاويم السنوية:

١. سالنامه دولة عليّة عثمانى ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م
٢. سالنامه ولاية بيروت سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م.
٣. سالنامه نظارة المعارف، جزء ٢، سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م.
٤. سالنامه ولاية بيروت ١٣١١هـ/١٨٩٣م.
٥. سالنامه ولاية سورية عام ١٢٨٨هـ/١٨٧٣م، ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م، ١٢٩٧هـ/١٢٩٨هـ/١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، ١٣٠٨-١٣٠٩/١٣١٢-١٣١٣هـ/١٨٩٥م، ١٣١٤هـ/١٨٩٦م
٦. سالنامه ولاية حلب ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م.

المصادر:

١. ابن الجوزي (عبد الرحم بن علي): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق عبد القادر عطا (محمد)، دار الكتب العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.
٢. ابن العديم (كمال الدين أبي القاسم): زبدة الحليب في تاريخ حلب، تعليق: المنصور (خليل)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
٣. ابن العماد (عبد الحي بن أحمد): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
٤. ابن الفرضي (الحافظ بن الوليد): تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: معروف (بشار عواد)، دار العرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٢٠٠٨م.
٥. ابن القلانسي (حمزة بن أسد بن علي): تاريخ دمشق، تحقيق زكا (سهيل)، ثلاثة أجزاء، دار إحسان للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٣م.
٦. ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون): المقدمة، تحقيق: زكي (أحمد)، القاهرة دار الكتب العربية، ط ١، ١٩٦٠م/ وأيضاً تحقيق كاترمبر (١م)، طبعة باريس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٢م.
٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: عباس (إحسان)، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
٨. ابن طولون (شمس الدين محمد بن علي): تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني، تحقيق: أيّيش (أحمد)، منشورات مكتبة مؤمن قرشي، أبو ظبي، ط ١، ٢٠٠٩م.

٩. ابن عساكر (علي بن حسن بن هبة الله الشافعي): تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل وأخبار بنوآحيتها من واديها وأهلها، تصحيح: بن الطرهوني (محمد بن رزق)، نسخة المكتبة الظاهرية، در النشر، د.ط، د.ت.
١٠. ابن منظور (محمد بن مكرم): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق النحاس (روحية)، وآخرون، جزءان، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٨٤م.
١١. ابن منظور: لسان العرب، ١٥ مجلد، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
١٢. الأزدي (أبو زكريا يزيد بن محمد): تاريخ الموصل، تحقيق: جبية (علي)، منشورات دار إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط، ١٩٦٧م.
١٣. الأزدي (علي بن ظافر): أخبار الدولة الحمدانية في الموصل وحلب وديار بكر والشغور، تحقيق، الرواق (تميمة)، دار حسان، دمشق، ط ١، ١٩٨٥م.
١٤. الأصفهاني (حمزة الحسن): تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، د.م، د.ط، د.ت.
١٥. الألوسي (محمد شكري): المسك الأذخر وتراجم علماء بغداد في القرن الثاني والثالث عشر، مطبعة الآداب، بغداد، د.ط، ١٩٣٠م.
١٦. البستاني (بطرس): الجمعية السورية للعلوم والفنون (١٨٤٧م-١٨٥٢م)، تحقيق: قزما (يوسف خوري)، الحمراء للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ١٩٩٠م.
١٧. البستاني (بطرس): قاموس محيط المحيط، جود للطباعة، بيروت، د.ط، ١٩٨٣م.
١٨. البستاني (عبد الله): ربحانة الأنس في تهنة المطران يوسف الدبس، بيروت، د.ط، ١٨٨٧م.
١٩. بن سعد (محمد): الطبقات، عني بتصحيحه، وسحو (إدوارد)، طبع في مطبعة بريل، ليدن، د.ط، ١٢٢١هـ.
٢٠. البيطار (عبد الرزاق): حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق: (البيطار محمد بهجية)، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م.
٢١. الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل النصر، تحقيق: قمبة (مفيد محمد)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م.
٢٢. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق: الخطيب (عبد الكريم)، مطبعة ابو الفتوح، القاهرة، ١٩١١م.
٢٣. الجزائري (طاهر): إرشاد الألباد إلى تعليم ألف باء، مطبعة حسن طباره، ١٣٢١هـ.
٢٤. الجوالقي (موهوب بن احمد): المعرب في الكلام الأعجمي، تحقيق: المنصور (خليل عمران) دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
٢٥. الجواهري (اسماعيل بن حماد): الصحاح، تحقيق العطار: (أحمد عبد الغفور)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، د.ت.

٢٦. حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، اعتنى به: عبد القادر عطا (محمد)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.
٢٧. الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت): معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.
٢٨. الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت): معجم البلدان، ٥ مجلدات، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٧٧م.
٢٩. الخطيب البغدادي (حافظ أبي بكر أحمد بن علي): تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
٣٠. داوود (إقليمس يوسف): القلادة النفيسة في فقيده العلم والكنيسة، جمعهُ: طرازي (فيليب)، مجلس معارف ولاية بيروت، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩١م.
٣١. الدبس (يوسف): تحفة الجيل في تفسير الأنجيل، نشره الفعالي (يولس)، ٤ أجزاء، سلسلة تراث الأجداد، منشورات المكتبة البوليسية، جونية، ط ١، ٢٠٠٩م.
٣٢. الدبس (يوسف): سفر الأخيار في سفر الأحبار، المطبعة العمومية، بيروت، د.ط، ١٨٦٨م.
٣٣. الدبس (يوسف): مواظ سيادة المطران يوسف الدبس، المطبعة العمومية، بيروت، ١٨٤٧م.
٣٤. الدمشقي (ميخائيل): تاريخ حوادث الشام ولبنان، تحقيق: سبانو (أحمد غسان)، دار قبية، د.م، ط ٢، ١٩٨٢م.
٣٥. الدويهي (مار أسطفان): تاريخ الطائفة المارونية، تحقيق الشرتوني (رشيد الخوري، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعية، بيروت، د.ط، ١٩٨٠م.
٣٦. السخاوي (محمد عبد الرحمن): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق الخشت (محمد عثمان)، مكتبة ابن سينا، د.ط، د.ت.
٣٧. السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم (محمد أبو الفضل)، جزآن، دار أحياء الكتب العربية، ط ١، ١٩٦٧م.
٣٨. الشدياق (طنوس): أخبار الأعيان في جبل لبنان، جزآن، تحقيق: البستاني (فؤاد أفرام)، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، د.ط، ١٩٧٠م.
٣٩. الشدياق (طنوس): أخبار العيان في جبل لبنان، تحقيق: البستاني (فؤاد أفرام)، جزآن، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، د.ط، ١٩٧٠م.
٤٠. الشطي (محمد): أعيان دمشق في القرنين الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر، المكتب الإعلامي، دمشق، ط ٢، ١٩٧٢م.
٤١. الشطي (محمد): روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر، دار اليقظة، دمشق، ١٩٤٦م.

٤٢. الشهابي (الأحمد): أحمد باشا الجزار مع نابليون بونابرت، تحقيق جمال الدين (عبد العزيز)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٤٣. الصفي (خليل أبيك): الوافي بالوفيات، تحقيق: الأرناؤوط (أحمد مصطفى تركي)، ٢٩ جزء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٤٤. الطباخ (راغب): أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تعليق: كمال (محمد)، دار القلم العربي، حلب، ط١، ١٩٨٨م.
٤٥. طيفور (أحمد): تاريخ بغداد، تحقيق الكوثري (محمد بن زاهر بن الحسن)، الحسيني (عزت العطار)، دار الثقافة الإسلامية، د.ط، ١٩٤٩م.
٤٦. العلاف (أحمد حلمي): دمشق في القرن العشرين، تعليق: نعيمة (جميل)، دمشق، ١٩٧٦م.
٤٧. العورة (إبراهيم): تاريخ سليمان باشا العادل، تعليق: المخلصي (الخوري قسطنطين)، مطبعة دير المخلص، لبنان، د.ط، ١٩٣٦م.
٤٨. فريد (محمد): البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس الدولة الخديوية، تحرير شلق (أحمد زكريا): دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م.
٤٩. فريد (محمد): تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: حقي (احسان)، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
٥٠. القاسمي (جمال و خليل): قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: القاسمي (ظافر)، جزآن، دار طلاس للنشر، د.م، ط١، ١٩٨٨م.
٥١. القرمانلي (أحمد بن يوسف): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.
٥٢. القساطلي (نعمان): الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٨٧٩م.
٥٣. كرد علي (محمد): خطط الشام، ستة أجزاء، مكتبة النوري، دمشق، ط٣، ١٩٨٣م.
٥٤. الماروني (يوحنا): مختصر المقالات اللاهوتية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ط، ١٨٧٧م.
٥٥. المسعودي (علي بن حسن): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: داغر (يوسف أسعد)، الشركة العالمية للكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
٥٦. مشاقة (ميخائيل): البراهين الإنكليزية ضد الأباطيل البابوية، بيروت، د.ط، ١٨٦٤م.
٥٧. مشاقة (ميخائيل): الرسالة الشهابية في الصناعة الموسيقية، تحقيق جبراي، (إيزيس فتح الله)، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٩٦م.
٥٨. مشاقة (ميخائيل): رسالة البراهين على ضعف الإنسان، بيروت، د.ط، ١٨٥٣م.
٥٩. مشاقة (ميخائيل): مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان، تحقيق عبده (خليل)، شخاشيري (ملحم)، طبع بمصر، د.ط، ١٩٠٨م.
٦٠. المعلوف (عيسى اسكندر): تاريخ زحلة، مؤسسة هنداوي، مصر، د.ط، ٢٠١٢م.

٦١. المعلوف (عيسى اسكندر)، دواني القطوف في تاريخ بني معلوف، المطبعة العثمانية، بعداء، د.ط، ١٩٠٧م.
٦٢. المقرئزي: (أحمد بن علي): اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق عطا (محمد عبد القادر)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
٦٣. مؤلف مجهول: حسر اللثام عن نكبات الشام، مصر، ط ١، ١٨٩٥م.
٦٤. النديم (محمد بن اسحاق): الفهرست، منشورات مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ط، ١٩٩٩م.
٦٥. النصولي (أنيس): أسباب النهضة العربية الحديثة في القرن التاسع عشر، تحقيق: الطباع (عبد الله)، دار ابن زيدون، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م.
٦٦. نوفل (نعمة الله نوفل): التنظيمات العثمانية المنشورة المعروفة بـ (الدستور)، مجلدان، المطبعة الأدبية، د.ط بيروت، ١٣٠١هـ/١٨٨٣م.
٦٧. النويري (أحمد بن عبد الوهاب): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٣٨م.

المراجع العربية:

١. أبو الفتوح (رضوان): تاريخ مطبعة بولاق (لمحة تاريخ الطباعة في بلدان الشرق الأوسط)، المطبعة الأميرية، القاهرة، د.ط، ١٩٥٣م.
٢. أبو الفضل (محمد عبد الفتاح): الصحوة المصرية في عهد محمد علي، القاهرة، د.ط، ١٩٩٨م.
٣. أبو حنا (حنا): طلائع النهضة في فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، د.ط، ٢٠٠٥م.
٤. أرسلان (شكيب): لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، مطبعة المنارة، مصر، ١٣٥١هـ.
٥. اسطفان (خير الله): زبدة البيان أو خلاصة تاريخ ام مدارس سورية ولبنان (عين ورقا)، المطبعة التجارية السورية الأمريكية، نيويورك، د.ط، ١٩٢٣م.
٦. الإسكندري (عمر)، حسن (سليم): تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، القاهرة، د.ط، ١٩٩٦م.
٧. اسماعيل (عادل): خوري (اميل): السياسة الدولية في الشرق العربي، أربعة أجزاء، بيروت، د.ط، ١٩٦٠م.
٨. الأسود (ابراهيم): تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مجلدان، مطبعة جاورجيوس، بيروت، د.ط، ١٩٢٥م.
٩. أنيس (محمد): الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٦-١٩١٤م)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٨٥م.

١٠. البحراوي (محمد عبد اللطيف): حركة الإصلاح العثماني في عهد محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م)، دار التراث، القاهرة، د.ط، ١٩٧٨م.
١١. البديري (أبي البقاء عبد الله): نزهة الأنام في محاسن الشام، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
١٢. برج (محمد عبد الرحمن): دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، ١٩٧٤م.
١٣. البرجس (حمود البرجس): فلسطين والقدس في التاريخ، الكويت، د.ط، ١٩٨٧م.
١٤. بركة (بسام): الترجمة إلى العربية ودورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية، المركز العربي للبحوث والدراسات السياسية، قطر، د.ط، ٢٠١٢م.
١٥. برو (توفيق): العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، جامعة الدول العربية، القاهرة، د.ط، ١٩٦١م.
١٦. البستاني (سليمان): الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢م.
١٧. البهي (محمد): الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، ط٤، د.ت.
١٨. بهيجة (محمد): التميمي (رفيق): ولاية بيروت، جزآن، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٧م.
١٩. بيضون (جميل) وآخرون: تاريخ العرب الحديث، دار الأمل، د.ط، د.ت.
٢٠. البيطار (محمد بهجة): الثقافات الصفراء والبيضاء، مطبعة ابن زيدون، دم، ١٩٥٠م.
٢١. بيهم (محمد): الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، مطبعة الباني الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٥٠م.
٢٢. ترحيني (محمد أحمد): المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.
٢٣. التتوني (محمد): التفاعل الاجتماعي في ولاية حلب بين العثمانيين والعرب ضمن كتاب (الحياة الاجتماعية في الولايات العربية)، مكتبة نوبل، دمشق، د.ط، ٢٠٠٢م.
٢٤. التتوني (محمد): بلاد الشام إنان العهد العثماني، بيروت، د.ط، ٢٠٠٤م.
٢٥. الجبوري (نايف): موقف نصارى بلاد الشام من الإصلاحات في الدولة العثمانية (١٨٣٩-١٩١٤م)، دار الحامد، عمان، د.ط، د.ت.
٢٦. جحا (فريد): الحياة الفكرية في حلب في القرن التاسع عشر، الأهلية للطباعة والنشر، ط١، د.ت.
٢٧. جلال (محمد فؤاد): التربية القومية، المطبعة النموذجية، مصر، د.ط، د.ت.
٢٨. الجليلي (محمد السيد): الاستشراق والتبشير (قراءة تاريخية موجزة)، دار القاهرة، د.ط، ١٩٩٩م.
٢٩. الجمل (شوقي): علم التاريخ نشأته وتطوره، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.
٣٠. الجميل (سيار): العرب والأتراك، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، د.ت.

٣١. جوزيف (أبو نهر): المسيحيون وهاجس الحرية في العهد العثماني (خطاب للجماعات المسيحية في الشرق الأدنى في زمن التحولات)، مركز الشرق للبحوث والمنشورات، بيروت، د.ط، ٢٠١٣م.
٣٢. حاج (اثاسيوس): الرهبانية الباسيلية الشويرية في تاريخ الكنيسة والبلاد، مطبعة الكريم الحديثة، جونيه، د.ط، ١٩٣٧.
٣٣. الحافظ (محمد مطيع): إياضة (نزار): (تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر)، البحري، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.
٣٤. حرير (إيليا): التحول السياسي في تاريخ لبنان الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، ١٩٨٢م.
٣٥. حسن (محمد عبد الغني): التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د.ت.
٣٦. الحسني (علي): تاريخ سورية الاقتصادي، مطبعة بدائع الفنون، دمشق، د.ط، ١٣٤٢هـ.
٣٧. حسون (علي): العرب والدولة العثمانية، الرؤيا للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.
٣٨. حسين (محمد كامل): طائفة الدروز تاريخها وعقائدها، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ١٩٦٠م.
٣٩. الحصري (ساطع): البلاد العربية والدولة العثمانية (محاضرات أقيمت على طلاب معهد الدراسات العربية)، جامعة الدول العربية، د.ط، ١٩٥٧م.
٤٠. الحصري (ساطع): محاضرات في نشوء الفكرة القومية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٥٩م.
٤١. حوراني (ألبرت): الفكر العربي في عصر النهضة (١٧٩٨-١٩٣٩) دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٩.
٤٢. الخالدي (أحمد سامح): أنظمة التعليم، جزآن، مطبعة بيت المقدس، د.ط، ١٩٩٣م.
٤٣. خالدي (مصطفى)، فروخ (عمر): التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغزي)، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، ١٩٥٣م.
٤٤. خضر (عبد العليم عبد الرحمن): المسلمون وكتابة التاريخ، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط١، ١٩٩٣م.
٤٥. خواتمي (محمد): المطبعة المارونية في حلب بدايات عهد جديد في حياة الطباعة عام ١٨٧٥م، الأرشيف الرقمي لجمعية العاديات ١٠/١/٢٠١٦م.
٤٦. الخوري (بشاره خليل): حقائق لبنانية، درعون، لبنان، د.ط، ١٩٦٠م.
٤٧. الخوري (شاكر): مجمع المسرات، مطبعة الاجتهاد، بيروت، د.ط، ١٩٠٨م.
٤٨. خوري (غادة يوسف): المؤسسون الرواد للجامعة الأمريكية في بيروت، مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط، بيروت، ١٩٩٤م.

٤٩. خوري (يوسف): مختارات في القوانين العثمانية، دار الحمراء، بيروت، د.ط، ١٩٩٠م.
٥٠. دباغ (عائشة عبد القادر): الحياة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٧٢م.
٥١. دروزة (محمد غرة): نشأة الحركة العربية الحديثة، ٦ أجزاء، المطبعة العصرية، صيدا، ١٩٧١م.
٥٢. الدسوقي (محمد كمال): الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، د.ط، ١٩٧٦م.
٥٣. دهمان (محمد أحمد): معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، بيروت، ط ١، دمشق، ١٩٩١م.
٥٤. الدوري (عبد العزيز): الأعمال الكاملة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠٠٥م.
٥٥. الدوري (عبد العزيز): التكوين التاريخي للأمة العربية (دراسة في الهوية والوعي)، دار المستقبل العربية، القاهرة، د.ط، ١٩٨٥م.
٥٦. الدوري (عبد العزيز): نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زيد للتراث والتاريخ، الإمارات، د.ط، ١٩٩٩م.
٥٧. دي طرازي (فيليب): أصدق ما كان عن تاريخ لبنان، جزءان، مطابع جوزيف سليم، بيروت، ١٩٤٨.
٥٨. الدين (صالح زاهر): تاريخ المسلمون الموحدين الدروز، المركز العلمي للأبحاث التوثيق، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.
٥٩. رافق (عبد الكريم): بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، د.م، د.ط، د.ت.
٦٠. رافق (عبد الكريم)، دراسات اقتصادية واجتماعية في تاريخ بلاد الشام، مكتبة نويل، دمشق، د.ط، ٢٠٠٢م.
٦١. رافق (عبد الكريم)، فلسطين في العهد العثماني في القرن الثامن عشر البحري/التاسع عشر الميلادي، عام ١٩١٨م، مستهل من الموسوعة الفلسطينية، ٥ محليات، د.ط، د.ت.
٦٢. رستم (أسد): آراء وأبحاث، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، بيروت، ط ٢، ١٩٦٦م.
٦٣. رستم (أسد): لبنان في عهد المتصرفية، دار النهار، بيروت، د.ط، د.ت.
٦٤. رضا (محمد): كلمات في التربية، مصر، د.ط، ١٣٢٩هـ.
٦٥. الرفاعي (شمس الدين): تاريخ الصحافة: جزءان، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت.
٦٦. الروقي (عايض بن حزام): حرب محمد علي في الشام وأثره في شبه الجزيرة العربية، مكة المكرمة، د.ط، ١٩٨٦م.
٦٧. الرئيس (رياض): المسيحيون والعروبة، دار رياض الرئيس، لندن، ط ١٢، ١٩٩١م.

٦٨. زكي (عبد الرحمن): حملة الشام الأولى والثانية (صفحات من تاريخ مصر ذكرى البطل ابراهيم باشا)، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، القاهرة، د.ط، ١٩٩٠م.
٦٩. زيادة (نقولا): أبعاد التاريخ اللبناني، المنظمة العربية للتربية والثقافة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، د.ط، ١٩٧٢م.
٧٠. زيدان (جرجي): تاريخ آداب اللغة العربية، ٤ أجزاء، تعليق: ضيف (شوقي)، دار الهلال، القاهرة، د.ط، د.ت.
٧١. زيدان (جرجي): تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ٣ أجزاء مؤسسة هنداوي، القاهرة، د.ط، د.ت.
٧٢. زين (نور الدين زين): نشوء القومية العربية في دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، دار النهار للنشر، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.
٧٣. سركو (ماري دكران): دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٥هـ - ١٨٧٦-١٩٠٨م)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠١٠م.
٧٤. السكيف (ماري): الامتيازات الأجنبية وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية على سورية (بلاد الشام)، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية العشرين، منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق، د.ط.
٧٥. السلمي (محمد): منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدرسه، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٩٨٨م.
٧٦. سمايلوفتش (أحمد): فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ١٩٨٠م.
٧٧. السنهوني (محمد أنور): مذهب الفرق الكلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ط، د.ت.
٧٨. سوسن (سليم): الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د.ط، ١٩٨٥.
٧٩. شبار (عصام): تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين، دار مصباح الفكر للطباعة، بيروت، د.ط، ١٩٨٧م.
٨٠. الشبلي (عبد الجليل): الإرساليات التبشيرية، منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ط، د.ت.
٨١. الشدياق (سليم فارس): كنز الرغائب في منتحبات الجوائب، مطبعة الجوائب، الأساتنة، ٧ أجزاء، ط١، ١٣١٤هـ.
٨٢. شرف (شرف تقي الدين): النصيرية (دراسة تحليلية)، بيروت، د.ط، ١٩٨٣م.
٨٣. الشلق (أحمد زكريا): العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة (١٥١٦-١٩١٦م)، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
٨٤. شمس الدين (نجم زين العابدين): تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار المنيرة، عمان، د.ط، د.ت.

٨٥. الشهابي (مصطفى): القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميها، معهد الدراسات العربية العالمية القاهرة، د.ط، ١٩٦١م.
٨٦. الشهابي (أحمد): الحركات السكانية في لبنان، دار الشمال، بيروت، د.ط، ١٩٨٧م.
٨٧. شيبون (خليل): عبد الرحمن الجبرتي، دار المعارف للطباعة والنشر، د.ط، ١٩٤٨م.
٨٨. صابات (خليل): تاريخ الطباعة في الشرق العربية، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٥٨م.
٨٩. الصباغ (ليلي): دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مطبعة ابن حيان، دمشق، د.ط، ١٩٨١م.
٩٠. الصباغ (ليلي): معالم الحياة الفكرية في الولايات العربية في العصر العثماني ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)، منظمة المؤتمر الإسلامي، استانبول، د.ط، ١٩٩٩م.
٩١. صفوت (مصطفى محمد): محاضرات في المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، معهد الدراسات العالمية، جامعة الدول العربية، ١٩٥٨م.
٩٢. صلاح (أحمد هريدي علي): دراسات تاريخ العرب الحديث، دار الوفاء، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٩٣. الصلح (عماد): أحمد فارس الشدياق (آثاره وعصره)، دار النهار، بيروت، د.ط، ١٩٨٠م.
٩٤. صليبيا (جميل): الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث، المطبعة الكمالية، د.م، ١٩٥٩م.
٩٥. ضاهر (مسعود): الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية (١٦٩٧-١٨٦١م)، الفارابي للنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.
٩٦. ضومط (أنطوان): التأريخ في العصور الوسطى الإسلامية، دار الحداثة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م.
٩٧. ضومط (أنطوان): حوادث ١٨٦٠م في لبنان ودمشق، لجنة بيروت الدولية، المحاضرة الكاملة، ١٨٦٠-١٨٦٢م، جزآن، مؤسسة مختارات، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
٩٨. طرازي (فيليب وي): خزائن الكتب العربية في الخافقين، جزآن طبعة وزارة التربية، لبنان، ١٩٤٧م.
٩٩. طربين (أحمد): التأريخ والمؤرخون العرب والإسلامي العصر الحديث، د.ط، د.ت.
١٠٠. طربين (أحمد): ملامح التغير الاجتماعي في بلاد الشام في القرن التاسع عشر من خلال نفحة الشام للشيخ محمد عبد الجواد القاياتي، معهد الإنماء العربي، بيروت، د.ط، ١٩٨٣م.
١٠١. العارف (عارف): تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ١٩٥١م.
١٠٢. العارف (عارف): تاريخ غزة، مطبعة دار الأيتام، القدس، د.ط، ١٩٤٣م.
١٠٣. عالي (عبد الرحيم): مئة عام في تاريخ الصحافة (لسان الحال)، جروس بروس، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.
١٠٤. عامر (محمود): تاريخ الدولة العثمانية، منشورات جامعة دمشق، د.ط، ٢٠٠٤م.

١٠٥. عبد الرزاق (عيسى عبد الرزاق): التنصير الأمريكي في بلاد الشام (١٨٣٤-١٩١٤م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
١٠٦. عبد الكريم (أحمد عزت): التقسيم الإداري لسورية في العهد العثماني، منشورات جولييان كلية الآداب، عين شمس، د.ت.
١٠٧. عبود (مارون): أحاديث القرية، كتاب نت، د.م، ١٩٤٥م.
١٠٨. عتريسي (طلال): البعثات اليسوعية مهمّة في أعداد النخبة السياسية في لبنان (دراسة وثائقية تاريخية)، الوكالة العالمية للتوزيع، د.م، ط١، ١٩٨٧م.
١٠٩. عثمان (محمد فتحي): المدخل إلى التاريخ الإسلامي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٨٨٨م.
١١٠. عثمان (هاشم): الصحافة السورية ماضيها وحاضرها (١٨٧٧-١٩٧٠)، د.م، د.ط، د.ت.
١١١. العجمي (محمد بن ناصر): أديب علماء دمشق الشيخ عبد الرزاق البيطار (حياته وإجازته)، دار البشائر الإسلامية، البحرين، ط١، ٢٠٠٠م.
١١٢. العزاوي (قيس): الدولة العثمانية قراءة جديدة في عوامل الانحطاط، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
١١٣. العقيلي (أنطوان): ثورة وفتنة في لبنان، بيروت، د.ط، ١٩٣٨م.
١١٤. العلبي (أكرم حسن): يهود الشام في العصر العثماني من خلال سجلات المحاكم الشرعية من الوثائق التاريخية بدمشق، (٩٩١-١٣٣٦هـ/١٥٨٣-١٩٠٩م)، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، د.ط، ٢٠١١م.
١١٥. علي (أحمد اسماعيل): تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى العصر الأموي (دراسة اقتصادية - اجتماعية - فكرية - عسكرية)، دار دمشق للتوزيع والطباعة، دمشق، ط٣، ١٩٩٤م.
١١٦. عمر (عبد العزيز عمر): درجات في تاريخ العرب الحديث (الشرق العربي من الفتح العثماني - نهاية القرن الثامن عشر)، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، ١٩٧١م.
١١٧. عنان (محمد عبد الله): مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٤م.
١١٨. العودات (حسين): العرب والنصارى، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٢م.
١١٩. عوض (ابراهيم): دائرة المعارف الاستشرافية (أصالي وأباطيل)، مكتبة البلد الأمين، مصر، ط١، ١٩٩٨م.
١٢٠. عوض (عبد العزيز): الإدارة العثمانية كولاية سورية (١٨٦٤-١٩١٨م)، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٦٩م.
١٢١. عيد (بيار): الدور التربوي للاكليروس الماروني في جبل لبنان خلال القرن التاسع عشر، معهد العلوم الاجتماعية، بيروت، د.ط، ١٩٨٥م.

١٢٢. العيدروس (محمد حسن): تاريخ العرب الحديث، د.م، د.ط، ٢٠٠٠م.
١٢٣. غرايبة (عبد الكريم): سورية في القرن التاسع عشر (١٨٤٠-١٨٧٦م) معهد الدراسات العربية العالمية، جامعة الدول العربية، د.ط، ١٩٦١م.
١٢٤. غرايبة (عبد الكريم): سورية في القرن التاسع عشر (١٨٤٠-١٨٧٦م) معهد الدراسات العربية العالمية، جامعة الدول العربية، د.ط، ١٩٦١م.
١٢٥. غنام (رياض): مقاطعات جبل لبنان في القرن التاسع عشر، دار بيسان، بيروت، د.ط، ٢٠٠٥م.
١٢٦. الغنام (سليمان بن محمد): قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١-١٨٤٠م) في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسورية، جدة، ص ١٦، ١٩٨٠م.
١٢٧. فهد (بطرس): بطارقة الموارد وأساقفهم في القرن التاسع عشر، جزءان دار لحد خاطر، بيروت، د.ط، ١٩٨٦م.
١٢٨. القاسمي (ظافر): جمال الدين القاسمي وعصره، المطبعة الهاشمية، دمشق، ط ١، ١٩٦٥م.
١٢٩. قاسمية (خيرية) روجي الخالدي: رمز الحركة العثمانية في فلسطين نهاية الحكم العثماني ضمن كتاب سورية في القرن الثامن والتاسع عشر، د.م، د.ط، ١٩٩٢م.
١٣٠. قبيسي (حسان): الدولة والتعليم في لبنان، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، بيروت، د.ط، ١٩٩٩م.
١٣١. قدورة (وحيدة): ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط ١، ١٩٩٨م.
١٣٢. كنعان (حسني): أبو خليل القباني باعث النهضة الحديثة في كتاب نظرية المسرح، عزيز: الخطيب (محمد كامل)، وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، د.ت.
١٣٣. كوثراني (وجيه): الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠م، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط ١، ١٩٧٨م.
١٣٤. كوثراني (وجيه): العلماء وطرق الصوفية والتنظيم الحرفي، ضمن كتاب الحياة الاجتماعية، مكتبة نوبل، دمشق، ٢٠٠٢م.
١٣٥. مبيض (مهند): فكرة التاريخ عند العرب في العصر العثماني، دار ورد للنشر، الأردن، ط ١، ٢٠٠٧م.
١٣٦. المحاسني (زكي) وآخرون: دراسات في تاريخ النهضة العبية الحديثة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت.
١٣٧. المحافظة (علي): الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (١٧٩٨-١٩١٤م)، الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، ١٩٨٧م.

١٣٨. المحافظة (علي): الحركات الفكرية في عصر النهضة الفكرية في فلسطين والأردن، الأهلية للنشر، بيروت، د.ط، ١٩٨٧م.
١٣٩. محمد (حرب): العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٩م.
١٤٠. محمود (سيد محمد السيد): تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار، منشورات مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
١٤١. مروة (أديب): الصحافة العربية نشأتها وتطورها، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، ١٩٦١م.
١٤٢. مسعد (بولس): الدولة العثمانية في لبنان وسورية (١٥١٧-١٩١٦م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت.
١٤٣. المشوط (محمد عليان): تاريخ الصحافة السورية والعربية، المطبعة الجديدة، دمشق، د.ط، ١٩٨٦.
١٤٤. مصطفى (شاكر): التاريخ العربي والمؤرخون (دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٨م.
١٤٥. مضيان (ماجد بن صالح): أثر أهل الذمة الفكري في الدولة العثمانية من (٩٢٦-١٤٣٤هـ/١٥٢٠-١٩٢٤م)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٠٠م.
١٤٦. مضية (سعيد): رواد التنوير في فلسطين، مؤسسة الانتشار العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
١٤٧. مطر (الياس): العقود البرية في تاريخ الملكة السورية، مطبعة المعارف، د.م، ١٨٧٤م.
١٤٨. مكليستر (ر.أس): نظرة عامة في ثقافة البحر المتوسط الأول ضمن كتاب تاريخ العالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت.
١٤٩. الملاذي (سهيل): الطباعة والصحافة في حلب، دار يعرب، دمشق، د.ط، ١٩٦٩م.
١٥٠. المنجد (صلاح الدين): ولاية دمشق في العهد العثماني، دمشق، د.ط، ١٩٤٩م.
١٥١. موسى (خليل): أدباء دمشق في العصر الحديث، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٨م.
١٥٢. موسى (منير مشابك): الفكر السياسي العربي في العصر الحديث (سورية في القرن التاسع عشر-١٩١٨م)، مكتبة السائح، طرابلس، ط٢، ١٩٩٥م.
١٥٣. مؤلف مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سورية، دار قتيبة للنشر، دمشق، ١٩٨٠م.
١٥٤. النابلسي (شاكر): عصر التكايا والرعايا (وصف المشهد الثقافي في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٨م)، دار الفارس، الأردن، ط١، ١٩٩٩م.
١٥٥. النبهان (محمد فاروق): الاستشراق تعريفه ومدارسه وآثاره، منشورات النهضة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، د.ط، ٢٠١٢.
١٥٦. النجار (حسين فوزي): التأريخ والسير، دار الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ط١، ١٩٦٤م.

١٥٧. نجم الدين (محمد يوسف): المسرحية في الأدب العربي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ١٩٥٦م.
١٥٨. نصار (حسين): نشأة التدريب التاريخي عند العرب، منشورات اقرأ، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
١٥٩. نصيرات (فدوى أحمد): المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر (١٨٤٠-١٩١٨م)، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.
١٦٠. نعيصة (يوسف جميل): مجتمع مدينة دمشق ١٧٧٢-١٨٤٠م، جزءان، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.
١٦١. هلال (فؤاد)، (قفش نديم): دليل حلب (دراسات تاريخية واجتماعية واقتصادية)، الإصدار الخامس، ٢٠٠٠م.
١٦٢. الوافي (محمد عبد الكريم): منهج البحث في التدوين التاريخي عند العرب، جامعة قاربونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٠م.
١٦٣. الوالي (الشيخ طه): بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، ١٩٩٣م.
١٦٤. اليازجي (كمال): رواد النهضة الأدبية في لبنان الحديث، بيروت، ١٩٦٢م.
١٦٥. الياس (جوزيف): الصحافة اللبنانية (المعجم المصور ١٨٥٨-١٩٥٨)، دار النضال، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
١٦٦. الياس (جوزيف): تطور الصحافة السورية في مائة عام، النضال للطباعة، بيروت، د.ط، ١٩٨٢م.
١٦٧. الياس (جوزيف): موجز عن تاريخ الطباعة وملحق بأقدم المطبوعات العربية في إيران منذ ظهور الطباعة حتى عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م.
١٦٨. ياغي (أحمد اسماعيل): العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، السعودية، ط١، ١٩٩٧م.

المراجع المعربة:

١. أنطونيوس (جورج): يقظة العرب (تاريخ حركة العرب القومية)، ترجمة: الأسد (ناصر الدين)، عباس (إحسان): دار العلم للملايين، بيروت، ط٨، ١٩٨٧م.
٢. أوزنوتا (يلماز): تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة سلمان (عدنان محمود)، مراجعة: الأنصاري (محمود)، مجلدان، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، د.ط، ١٩٨٨م.
٣. اينالجيک (خليل): تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: الأرنؤوط (محمد)، دار المدار الإسلامي، لبنان، ٢٠٠١م.

٤. بازيلي (قسطنطين): سورية ولبنان وفلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمة: معصراني (طارق) دار التقدم، موسكو، د.ط، ١٩٨٩م.
٥. برنارد (الويس)، هولت (ب.م)، مؤرخو العرب والإسلام حتى العصر الحديث، ترجمة: زكار (سهيل)، دار التكوين، دمشق، ٢٠٠٨م.
٦. جب هاملتون، بوون (هارولد): المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة: مصطفى (أحمد عبد الرحيم)، ٣ أجزاء، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
٧. حتي (فيليب)، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: رافق (عبد الكريم)، حداد (جورج)، جزآن، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٥٧م.
٨. حتي (فيليب)، لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا، مراجعة؛ زيادة (نقولا)، ترجمة: فريحة (أنيس)، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.
٩. الحصري (ساطع): فن التربية، تعريب مظلاوي (كامل)، مطبعة الحكومة، دمشق، ١٩٢٥م.
١٠. خوري (فيليب): أعيان المدن القومية والعربية، ترجمة: الرزاز (عفيف) مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، د.ط، ١٩٩٣م.
١١. دموفسكي (الويس): الرسوم الفلسفية، ترجمة: الدبس (يوسف)، المطبعة العمومية، بيروت، د.ط، د.ت.
١٢. روجان (يوجين): العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، ترجمة: الجندي (محمد ابراهيم)، كلمات عربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
١٣. روزنثال (فرايز): التأريخ عند المسلمين، ترجمة: علي (صالح أحمد)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
١٤. سعيد (إدوارد): الاستشراق والمفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: عناني (محمد)، رؤية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠٠٨م.
١٥. سيزاكين (فؤاد): تاريخ التراث العربي، ترجمة: حجازي (محمد فهمي)، جزآن الرياض، د.ط، ١٩٩١م.
١٦. شيلشر (ليندا): دمشق في القرنين الثامن والتاسع عشر، ترجمة: الملاح (عمر) و (دينا)، مراجعة: مارديني (عفاف)، دار الجمهورية، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.
١٧. كوبان (هيلينا): لبنان ٤٠٠ سنة من الطائفية، ترجمة: سمر (عطا الله)، منشورات هاني لايت، لندن، د.ط، د.ت.
١٨. كوثوف (ل.ن): تكون حركة التحرر الوطني في المشرق العربي (منتصف القرن التاسع عشر - ١٩٠٨م، ترجمة: أحمد سعيد، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م.
١٩. لوتسكي (ف): تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة: البستاني (عفيف): دار الفارابي، بيروت، ط٧، ١٩٨١م.

٢٠. مدحت (علي حيدر): مدحت باشا، مرآة حيدر، ترجمة: قصاب (سوسن آغا)، استانبول، مطبعة الهلال، ١٠٣٢هـ.
٢١. يوليان (أ.ن): الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان، ترجمة: كرم (عاطف)، منشورات دار الكشف، بيروت، ط١، ١٩٤٨م.

المراجع الأجنبية

1. Abdel nourJ abbour:La contribution des LibanaisaIa renaissance Littrairearab au XIX<s<These de Doctorat d'Etat-paris-1952.
2. Bacel (p): Abdallah Zaher, Echos, d'orient, n11, 1908.
3. G.F.De sehnurror Bibliotketa Arabica 1842.
4. Salibi, S.K. Maronite Hestorite of medieval, Beirut, 1959.
5. Silvestro, Desay, Biblothequede, Mile Baransilevs tre Desay, Paris-1842.
6. Tanzimal ou histoire des refomes dans lempire
7. Tibi Bassam, Arab nationalism: Acritical Enquiry,London,Oxford University-1961.
8. Tibawi ,Abdul Latif ,American Interests in Syria 1800-19 London : Clarendon press, 1966.
9. Victoria Khazami-Le nseig nement au Liban, These d'univesite, Paris, 1952.

المجلات:

١. يني (بني هاشم): إنتاج المستشرقين واثره في الفكر الإسلامي الحديث، مجلة الفكر العربي، عدد ٢٣، حزيران، ١٩٨٣م.
٢. شحادة (أسامة): عالم الشام محمد بهجة البيطار، مجلة البيان، عدد ٩، الخميس ١٤٣٨هـ.
٣. الصواف (محمد ظريف): موسوعة الأسر الدمشقية أسرة البيطار، مديرية أوقاف دمشق ٢٨٦/١٣
٤. جندي (أدهم): كتاب اعلام الأدب والفن، مطبعة مجلس صوت سورية، دمشق، ١٩٨٥م.
٥. مجلة المشرف، السنة الثالثة والسنة الرابعة، ١٩٠٠م-١٩٠١م، العدد ١٢ وأيضاً عدد ٢١ والعدد الخامس، ١٩٠٩م-١٩١٤م.
٦. شيخو (لويس): الآداب العربية في القرن التاسع عشر، مجلة المشرق، السنة العاشرة، ١٩٠٧م.
٧. مجلة الهلال: مذكرات الدكتور فاندريك، ج ٤، سنة الرابعة عشر، كانون الثاني، ١٩٠٦م.
٨. العنجر الصادق: البيان السنوي لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، ١٢٩٧هـ/أعمال السنة الأولى، طبع بمطبعة ثمرات الفنون.
٩. حلاق (حسان): جمعية المقاصد الخيرية، جريدة النهار، عدد ١١.

١٠. قباني (عبد القادر): مجلة الكشاف، المجلد الأول، السنة الأولى، عدد ٢، مطبعة وزنكرغراف طيارة، بيروت، ١٩٢٢م.
١١. المقدس (جرجس الخوري): *التعليم قديماً وحديثاً في سورية*، المقتطف، السنة ٢٩، الأعداد ٥-٤-٧، سنة ١٩٠٦م.
١٢. داهش (عبد الله بن محمد): ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلدان الجزيرة العربية، مجلة الدارة، الرياض، عدد ٣، السنة العاشرة، ١٩٨٤م.
١٣. بن علي (ياسين): خروج الوهابية على الخلافة العثمانية (قراءة تاريخية ومناقشة شرعية): مجلة الزينونة، عدد ١، ٢٠١٤م.
١٤. نعيسة (يوسف): تجارة دمشق في النصف الأول من القرن التاسع عشر، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العددان ٤١، ٤٢، ١٩٩٢م.
١٥. مجلة المقتطف، السنة السابعة، والمجلدان السادس والسابع
١٦. المشرق: العوائد اللبنانية، السنة الثانية، ١٨٩٩م.
١٧. جدعون (أندريه): تاريخ التعليم في لبنان، ونشأة المدرسة اللبنانية عبر التاريخ (نعتين معلم حيث لا يوجد معلم)، مجلة اتحاد أور، ١٨ نوفمبر، ٢٠١٧م.
١٨. الأنسي (عبد الباسط): دليل بيروت ١٩٠٩م، تقويم الأقبال، السنة الأولى.
١٩. جريدة ثمرات الفنون، عدد ٦٨٦، ١٨٣٨م.
٢٠. مجلة المنار، مجلد ١٩، ج ٨.
٢١. المقتطف، مجلد السابع، حزيران ١٨٨٢م.
٢٢. جريدة الأقدام، العدد، ١٤٩٤هـ تاريخ ٧ أيلول، ١٨٩٨م.
٢٣. معلوف (عيسى اسكندر): *مجلة العروس*، نشرين الأول، ١٩٢٠م.
٢٤. مجلة التربية والتعليم، دمشق، السنة الأولى، ج ١١، ١٢.

رسائل الماجستير:

١. الأبيض (أنيس): الحياة العلمية ومركز العلم في طرابلس منذ الربع الأخير في القرن التاسع عشر حتى الانتداب الفرنسي، رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، الجامعة اللبنانية ١٩٥٨م.
٢. حمودي (نهاد): حلب في اواخر العهد العثماني (رسالة ماجستير): إشراف: غرايبة (عبد الكريم)، دمشق، د.ط، ١٩٥٨.

الموسوعات:

١. البدوي (عبد الرحمن): موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
٢. البعلبكي (منير): معجم أعلام المورد (موسوعة لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
٣. خلف (تيسير): موسوعة رحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين، ٨ أجزاء، دار كنعان للدراسات والنشر، د.م، د.ت.
٤. دائرة المعارف الإسلامية، مادة تنظيمات، دار المعارف، بيروت، ١٩٣٣م.
٥. الزركلي (خير الدين): الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ٨ أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
٦. سركيس (يوسف البان): معجم المطبوعات العربية والمعربة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، د.ت.
٧. الشهابي (فتية): معجم دمشق التاريخي، ثلاثة أجزاء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.
٨. العفيفي (نجيب): المستشرقون، ثلاثة أجزاء، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٦٤م.
٩. غربال (محمد شفيق): الموسوعة العربية الميسرة، مجلدان، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٥م.
١٠. كحالة (عمر رضا): معجم المؤلفين (تراجم مصنفين اللغة العربية)، ٤ أجزاء، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.
١١. معلوف (لويس): المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، ط٢٧، ١٩٨٤م.
١٢. المنجد (صلاح الدين): معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
١٣. نوفل (عبد الله حبيب): تراجم علماء طرابلس الفيحاء وأدباءها، مطبعة الحضارة، طرابلس، د.ط، ١٩٢٩م.

المذكرات:

١. البارودي (فخري): مذكرات البارودي، تحقيق: حكيم (دعد)، جزءان، منشورات وزارة الثقافة، د.ط، ١٩٩٩م.
٢. مدحت باشا: مذكرات مدحت باشا، ترجمة: حتاتة (يوسف كمال) المطبعة الهندية، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.

المخطوطات:

١. السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ابن اصبع): التعريف والإعلام فيما أبهم من القرآن من الأسماء والأعلام، مخطوط في الأزهر الشريف، رقم النسخة ٣٠٤٦١١.

مواقع الانترنت:

<https://ottama.historians.uchicago.edu/en/historian/mihail-mishaqa>

Abstract:

The uniqueness of the research is to clarify the advantages of the historical fabrication of the Levant in the nineteenth century, which was full of events. First, an idea was presented about the general conditions of the Levant from the political, economic and social aspects, to reveal the features of intellectual life. The first was represented by the religious and traditional religious institutions. Later, modern and modern private schools were introduced. Modern modern science was borrowed from some European countries, and the most important intellectual currents were highlighted. Newspapers and magazines and what the impact of these factors combined, whether negative or positive to the community in general and the movement of history in particular, as the reader senses that the writings of the historians of that period came in line with the spirit of the times and ideas and trends of civilization and political participants and thus submitted their writings believe images of political life and especially The period of civil wars, as their writings separated us from what happened to agriculture, industry and trade of development, and in terms of social life, the research provides a comprehensive analysis of the situation of the Christian minorities and the methods of Ottoman rule in dealing with them. It may appear to the reader that the study is general in appearance, but it is in fact a study based on many sources and documents that provided accurate research information, enabling the achievement of the goal in clarifying the advantages of the historical movement of the Levant in the nineteenth century

**Syrian Arab Republic
Damascus university
Faculty of Arts and Humanities
Department of History**



**The Methodology of research and history and
the most prominent historians in the Levant
in the nineteen century
(1215/ 1317AH, 1800/ 1899AD)**

**Research project prepared for the Doctorate degree in
the history of modern contemporary Arabs**

Prepared by the student:

Rana Mohammed Saleh

Supervised by:

Pro.Dr. Mahmoud Ali Amer

2018-2019